الفيصل

مجلة ثقافية شهرية – العدد (٢٢١) – ذو القعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (221) APR. 1995



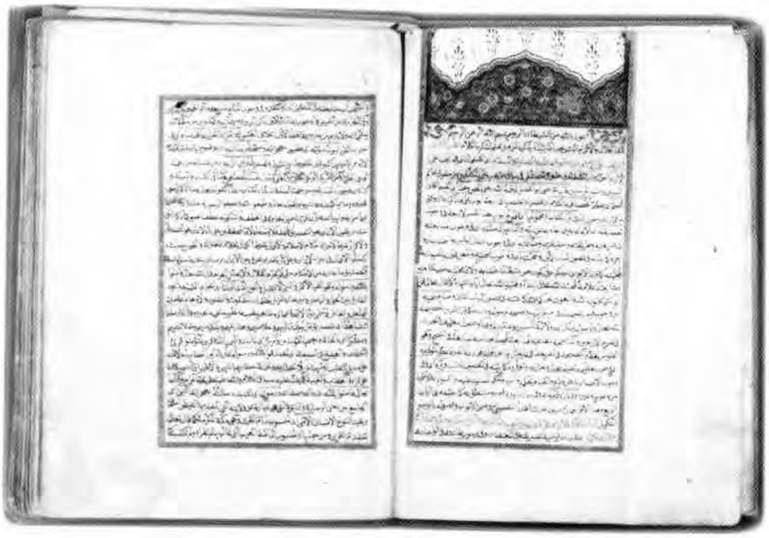
مؤسسة الملك فيصل الخيرية
تميز النهج وعالمية الإنجاز

أدونيس في محاكمة فكرية

الاعتقادات الشعبية: خطر على الثقافة الطبية

شرح الشفا

لعلي بن سلطان بن محمد الهروي القاري المتوفى سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٦م



فـقيـه حنفي، من صـدور العلم في عـصره، ولد في مـدينة هراة وسكن مكة المكرمة وتوفي بهـا. قيل: كان يكتب في كل عام مصحفًا وعليه طرر من القراءات والتـفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام.

صنف كـتبًا كـثيـرة منها «شـرح الشفـا في تعريف حـقوق المصطفى» للقاضي عـياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، وهو من الكتب المتـداولة المشـهـورة في السـيـرة النبـوية، تحدث فيهـا المؤلف عن المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خُلقـه، وأخـلاقه، ومـكانتـه، ووجـوب الإيمان به، وطاعتـه والعـمل بسنتـه، وعن الصلاة عليـه، ومـا يجب للنبي عليـه السلام، ومايجوز ومايمتنع عليه.



وقـد تناول المؤلف علي القـاري هذا الكتـاب بشـرحـه من الناحية اللغوية والنحـوية مستشهدًا بالآثار والشعـر ومضيفًا إلى ما أورده القـاضي عياض من الأحاديث والأخـبار، وما ورد من القـرآن الكريم من الإشـارة إليـه ﴿صـلى الله عليـه وسلم﴾، وماخصه الله تعالى من الكرامات والمعجزات.

جاء في نهاية المخطوطة أن المؤلف فرغ منها في أواسط شهر رمضان المبارك عام أحد عشر بعد الألف من الهجرة النبوية بمكة المكرمة. وقد وقع الفراغ من نسـخها في أواسط صفر سنة ست وسـبـعين ومـائة وألف، وهي بخط مـحـمـد بن عبدالله.

والمخطوطة من مـقـتنيات مـركـز الملك فـيـصل للبحوث والدراسات الإسـلامية في الرياض، برقم ٣١٦٧.

إعداد: د. عابد سليمان المشوخي

في العدد القادم:

- الخيال العلمي أدب القرن العشرين
- ثقافتنا بين الأصالة والتغريب
- رواية الصحة والتعليم

البريد

THE MAIL

مستقبل الثقافة أم ثقافة المستقبل ؟

لاشك في أن مجلة «الفيصل» تحقق نجاحات متتابعة، وكما هو معلوم فإن الاحتفاظ بمستويات النجاح يعد الأكثر أهمية، وهو في الوقت نفسه أمر صعب، فضلا عن التقويم الموضوعي المستمر، والأخذ بالرأي الجيد الذي يقدمه كل قارئ حريص على مستوى مجلته. وحتى لا أطيل، أكتفي بعرض ثلاث ملاحظات:

الأولى: المقالات المتعلقة بالأدب يطغى عليها الشعر والقصة، والمعروف أن الأدب لايقتصر على هذين المجالين، بل هناك المقامة والخطبة أيضا، وذلك مالم ألحظ أن «الفيصل» تهتم به.

الثانية: للدكتور حسن ظاظا موضوعات جيدة عن اليهود ، ولكن التركيز بهذه الصورة يوحي بأن في الأمر نوعا من المبالغة.

الثالثة: معظم الموضوعات التي تطرحونها، وبخاصة في مجال الثقافة، يدور محورها حول الماضي، بالرغم من أن هذا العصر بتحولاته الحادة يتطلب استكشاف المستقبل وتمهيد الطريق للشباب.

فاطمة عالي الوالي

السمارة - الصحراء المغربية

وجهة نظر

يتطلع الشباب المسلم إلى الكلمة الحقة والمسؤولة في المطبوعات الفكرية القيمة كمجلة «الفيصل»، وإنني أرى أنه لاينبغي إيراد «بعض الأفكار» التي ليست في صالح شباب الأمة الإسلامية، وأشير في هذا الصدد إلى ما نُشر عن د. زكي نجيب محمود في العدد (٢٠٨)، وما جاء عنه في باب مناقشات وتعليقات في العدد (٢١٦) من آراء الأخ مبارك عزام الذي بيّن ونبه إلى ضرورة تحديد الموقف من «الأفكار المسمومة».

ليس الدكتور زكي نجيب محمود وحده من سلك ذلك الطريق، بل هناك قائمة طويلة من الأسماء اللامعة، ومن أراد الاطلاع على المزيد من تلك الأسماء، يمكنه الاستعانة بكتاب جمال سلطان، الصادر عن مركز الدراسات الإسلامية في برمنجهام - بريطانيا، بعنوان «أدب الردة قصة الشعر العربي الحديث»، كما أن لديه - أي جمال سلطان - مؤلفات أخرى تعالج القضية موضوع حديثنا، ومنها«فصول في الصحوة»، و«الغارة على التراث»، و«فقه الخلاف»، و«فقه الحركة»، و«غزو من الداخل».

عبدالرحمن صالح المديهيم

الرياض

كشاف الفيصل عمل جليل

المطبوعات الفكرية والثقافية الكبرى - مثل مجلتنا «الفيصل» - لايستغني عنها كل متابع لقضايا الفكر والثقافة وكل مهتم بها، ويحتفظ بها كمرجع، للعودة إلى موضوعاتها المختلفة، من حين إلى آخر، لإعادة قراءتها وفق منظور جديد، أو للاستفادة بها في الدراسات والبحوث.

ومما لاشك فيه أن من الصعوبات بمكان الاستفادة من الموضوعات القيمة في هذه المطبوعات، دون مرشد أو دليل، وبخاصة إذا طال الزمن، وتراكمت أعداد المطبوعة بعضها فوق بعض. ولذلك فإنني أشيد بما تقومون به في «الفيصل» من إعداد كشاف، هو بمثابة فهرس وتصنيف لمواضيع المجلة، وهو السبيل الأمثل للوصول إلى الموضوعات المطلوبة، والتيسير على القارئ في البحث، والاستفادة من ذخائر المعرفة.. إنه بحق عمل جليل يُفتخر به.

محمود حسن محمد ربّاع

القويسمة - عمّان - الأردن

حقوق القراء

من حق المطبوعة على قرائها أن يسجلوا إعجابهم بها، وأن يعبروا - في حدود معقولة - عن مشاعر الغبطة تجاه مطبوعاتهم، مثلما يحق لهم الإفصاح عن الرأي الآخر، والتصريح بعدم الرضا عن بعض ماينشر. ويتوجب على المطبوعة إفساح مساحة لهؤلاء وأولئك.

وأعتقد أن صفحة البريد، دون غيرها من الأبواب، هي المساحة التي تستوعب وجهات النظر هذه. وفي تقديري أن صفحة البريد إذا أحسن توظيفها، تفتح آفاقًا رحبة لموضوعات جديدة. وبهذه المناسبة لدي اقتراحان:

الأول: أدعو فيه «الفيصل» لنشر موضوع شامل وموثق عن «قصة البريد».

الثاني: حبذا لو خصصتم زاوية تربوية تتناول موضوعات يستنير بها المعلم والطالب على حد سواء، وحبذا لو تستضيفون فيها شخصيات مهمة لإثراء هذا الموضوع البالغ الأهمية.

عبدالله حسن حنش الرزقي

العرضية - ثريبان

المملكة العربية السعودية

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على البعض الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة

ويأبى الله



تحتاج الأمة العربية والإسلامية إلى قفزات واسعة تضيِّق الفجوة المعرفية بينها وبين العالم المتقدم، التي نتجت عن سنوات الركود والتخلف التي قعد فيها المسلمون عن الإبداع والابتكار، مكتفين أو قانعين بالتقليد والتبعية، مبهورين بما يحققه الآخرون من تقدم في مجالات الحياة كافة. ويمكن القول إن المسلمين قد توافر لهم وسائل تحقيق هذه القفزات المأمولة، إذ لم تخل سنوات التخلف من أسس فكرية، مصدرها علماء ومفكرون شعروا بما عليه حال الأمة فعكفوا على تقويمها، ومحاولة إصلاح معوجها، وحاولوا كذلك تأسيس مرتكزات يمكن أن تنهض عليها الأمة، وتقيل عثرتها، إضافة إلى أن هناك تراثًا علميًا ثرًا خلفته الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها وتوهجها، استند إلى مبادئ الإسلام وقيمه، ومنظوره الذي يقوم على أساس التفاعل الواعي مع الآخرين، وأخذ أفضل ماعندهم، والإضافة عليه، مستشرفين آفاق المستقبل، مدفوعين بآمال عريضة في أن يسود الإسلام العالم وينتشر نوره في أرجائه. وكان لهم ذلك، لأنهم آمنوا بإمكان التزام تعاليم الإسلام وتطبيقها على أرض الواقع، دون اتخاذ مسوغات تحول دون هذا الالتزام والتطبيق.

إن المتأمل في تاريخ هذه الأمة يجد كثيرًا من المواقف التي ترمي إلى أن تبقى الأمة على هامش التاريخ، دون أن يكون لها مكانة بين الأمم بدءًا بمحاولات الاستعمار وما صاحبه من حروب ومحاولات تشويه تاريخها، ومسخ هويتها والحيلولة دون أن تسير على طريق العلم الذي وجه إليه الإسلام، وجعله من أوجب الواجبات، وأقرب القربات، وفضّله على العبادات إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب».

وليس أشنع من أن يقع الإنسان تحت وطأة الجهل في وقت أصبح فيه العالم (قرية صغيرة)، يستطيع فيها الإنسان أن يسمع بل ويشاهد ويدرك الأمور عن كثب، ويتابع الحدث وقت حدوثه في أي مكان من هذا العالم. ورغم أن هذه الفرصة لم تكن متاحة لأسلافنا إلا أنهم كانوا يكرهون الجهل، ويستعيذون منه، ويقطعون الفيافي بحثًا عن الحقيقة. بينما نجد اليوم أن بعض المسلمين وبخاصة مَنْ وقعوا تحت تأثير ثقافة الآخر، وسخّروا أنفسهم لخدمتها لايعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولايعرفون شيئًا عن تاريخه، بل لعلّ أكثرهم لايحسن تلاوة آية أو فهم حديث، غير أنك تفاجأ به يناقش ويجادل وينافح وكأنه من أعلام الإسلام الذين توافرت لهم شروط الاجتهاد، وليتها تهمة مني لهم، لكنها ـ للأسف ـ ظاهرة يكشفها النقاش.

والغريب أن يفاخر كثير منهم بما يعرضه من جهل دون خجل ومواراة.

وهذا الواقع يدفعني إلى الموازنة بين عصرين مختلفين ومجموعتين متفاوتتين، إحداهما تلك المجموعة التي لايدفعها إلا معرفة الحق حتى لاتبهت ولاتظلم، على الرغم من العوائق التي كانت أمامها والتي كانت تحول كثيرًا دون معرفة الحقيقة أو الاطلاع عليها، والأخرى تلك التي أتيحت لها المعلومات والمصادر جميعها، غير أنها تعرض عنها، وأسباب ذلك تُعرف من خلال الموازنة بين الموقفين.

فقد ذكر الأستاذ طه المدور في كتابه «الديانات والحضارات» أنه في سنة ١٨١٥م سافر مندوبان من نجد وقابلا والي مصر آنذاك محمد علي باشا، فأمر رهطًا كريمًا من علماء رجال الأزهر بفتح باب المناظرة بينهم وبين الشيخين، نشر علماء الأزهر على إثر ذلك بيانًا أعلنوا فيه أنهم لم يروا شذوذًا في المبادئ التي يدعو إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وصرح العلماء بعد ذلك قائلين «إذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن وهابيون»، وكان هذا البيان من الأزهر، ردًا وبلاغًا للأمة بعد أن كثر الهرج والتأويلات المدفوعة بدوافع متشابكة متعارضة فقيل ماقيل عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي أتت لتطهير البلاد من الأوثان، والخرافات، وعبادة الشجر، والشرك الذي يمسخ الإنسان، ويحوله من إنسان كرّمه الله إلى مسخ يعبد شجرة أو حجرًا وغيرها، بينما يحث الإسلام على استعمال العقل والتمتع بنعمه في معرفة هذه الأصول العقدية الصحيحة على طريقة إبراهيم عليه السلام عندما توصل بعقله إلى الحقيقة، ونبذ غيرها في محاورة فكرية ذاتية قصها علينا كتاب الله عز وجل.

وقد وجدت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب كثيرا من المخلصين من أبناء الأمة الذين نافحوا عنها، وبيّنوا حقيقتها، ويحق لي أن أستشهد هنا بهذا الكلام الذي كتب في «المقتطف» في مارس ١٩٠٩م، أي من نحو مائة عام، حيث يقول كاتبه الذي وقع اسمه بإمضاء باحث دمشقي: «هم أولئك الطائفة الحنابلة التي تتمذهب بمذهب الإمام أحمد وعقيدته لم يخرجوا عنها قيد شبر، وهم يتبرأون من الشرك، ولاهمّ لعلمائهم إلا البحث في الأصول والفروع، وهم لا يأكلون لحم أخ بغيبة، ولايمشون بنميمة، ولاتبدو على ألسنتهم بوادر القذف، وهم ليسوا بثعالب رواغة يمكرون أو يخدعون، وهم جادون في طلب العلم أينما حلوا وحيثما وجدوا، وبالجملة فماذا يقال عن إخلاص قوم عرفوا بالتمسك بالإسلام، وهم في مقدمة كل طوائفه إيمانًا وإيقانًا».

بل إن كثيرًا من المنافحين عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يوردون ما أثر عن المؤرخ الجبرتي في: «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» الذي قال بعد أن استعرض مايدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأصحابه: «أقول إن كان كذلك فهذا ماندين به نحن أيضا، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين»، ويتضمن عدد «المقتطف» الصادر في أغسطس ١٩٠٠م مقالة تحوى الاستشهاد بما قاله الجبرتي؛ وقد كانت «المقتطف» من المنابر التي تحاور عبرها الفريقان، فقرأت في عدد سبتمبر ١٩٠٢م منها ردًا كتبه صالح بن دخيل بن جاد الله النجدي على مقالة نشرت للقس المستشرق زويمر، فنّد فيه أسباب وصف الوهابية الذي يطلق على الشيخ وأتباعه، ومما قاله: «إني وقفت على ماجاء في مقتطفكم في المجلد السابع والعشرين في الجزء الثالث عن مقالة القس الدكتور زويمر التي تليت في جمعية فيكتوريا الفلسفية في أصل الوهابية وتاريخهم وعقائدهم، واضطرابه في ذلك، فأحببت أن أنبه على مقالته. فأما أصل الوهابية فنسبتهم لوالد صاحب الدعوة النجدية العلامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لقّبه وأتباعهُ بذلك بعض معاصريه، بغيا وحسدًا، ليعمي على الجهال أنهم مبتدعة ضالون ليستوحش السالك على أثرهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. وتركوا نسبتهم لاسم الشيخ نفسه حيث يكونون محمدية فيحصل لهم نوع تشريف لمشاركة اسم النبي صلى الله عليه وآله وصحبه».

فقد أراد المستشرقون محاربة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى اتباع الدين الصحيح الذي لا ابتداع فيه، و ترك ماهم عليه من ضلال، فصوروه على أنه هو المبتدع، رامين من ذلك إلى شق الصف، وتعميق الجهل بالدين القويم في النفوس، وصولاً إلى مبتغاهم في زعزعة العقيدة الصحيحة، ليذهب ريح المسلمين، وتتضعضع قواعدهم، فيسهل عليهم التسلل إلى ديارهم، ونهب خيراتها، وتسخير أهلها لخدمتهم، وهذا كان مقدمة الاستعمار الذي جثم على صدر الأمة الإسلامية ردحًا من الزمن.

إلا أن يتم نوره

إن المثقف ثقافة إسلامية بسيطة يعرف بل يدرك أن هناك مذاهب فقهية، وأن هناك عقيدة واحدة هي عقيدة «التوحيد» دلّ عليها القرآن، وفسرتها النصوص الصريحة الواضحة من السنة «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني». ولئن زعم أحد بوجود المذهب الوهابي، فإن كل أحد يعرف الفقه وفروعه يدرك أنه لاوجود لهذا المذهب، وأن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إنما جاءت لتصحيح مسار خاطئ شارك فيه من يريد لهذه الأمة الانحطاط والتردي.

وهاهم ماانفكوا في زرع بذورالشك والاتهام وتلفيق مبادئ واتجاهات متعددة بعيدة كل البعد عن الإسلام، وهو منها براء.

فرسالة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أطلق عليها في الغرب المحمدية، وسمّي أتباعه المحمديون، وهم في طرحهم هذا، يستخدمون الأوصاف والمصطلحات التي نعتوا بها رهبان الكنيسة عندما تصادموا مع معطيات العلم وأصول العقل، وكان هذا التصادم من أسباب انتشار مصطلح مايعرف بالأصولية والتطرف.

وليس غريبا عليّ بل وعلى الكثيرين أن يروا كتابات أناس من أبناء جلدتنا وقد تبنوا مثل هذه المواقف وعرفوا دينهم عن ذلك الطريق، وهنا تظهر فداحة المشكلة، لأن أولئك الذين جهلوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بداياتها معذورون لأنهم افتقدوا وسائل المعرفة الميسرة، وعلى الرغم من ذلك اجتهد كثير منهم لمعرفة الحقائق وتجليتها، أما أن يكون التجهيل في عصر فيه طرق العلم ميسورة وطرق الخلاف مباحة، فهذه هي المفارقة. لأن في إمكان أي أحد أن يأتي ولو بنص واحد ذكره الشيخ ثم يظهر ما أخطأ فيه بمعيار النصوص الشرعية بعد أن يذكر النص الخاطئ، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر، وهذه هي السنة المحمودة التي سار عليها سلفنا الصالح ونما في ظلها الاجتهاد فكان خيراً للإسلام والمسلمين.

دفعني إلى كل هذا مقالة طالب فيها كاتبها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالتخلي عن جائزة الملك فيصل العالمية التي نالها لخدمة الإسلام، لأنها جائزة - حسب زعمه - تُروج للمذهب الوهابي. وبصرف النظر عن تحليل الدوافع الكامنة خلف هذا الانزلاق الذي يقع فيه كثير من الكُتّاب إلا أني أقول إن كثيرين من أبناء الأمة لم تعد تواجههم أي مشكلة في معرفة الحقيقة والتوصل إليها، إذ إن كثيراً منهم أصبح يعرف الأعمال الجادة ويثمنها، ويستطيع أن يربط بين مقدمات الأشياء ونتائجها، مميزاً بذلك بين الروابط الحقيقية والروابط الوهمية، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوة معروفة للقاصي والداني، وتأثرت بها دعوات مختلفة في العالم الإسلامي، وقد انكشفت أساليب التضليل والمغالطات، وأصبح بإمكان أي إنسان أن يحصل على تراث الشيخ من ألفه إلى يائه، ويتبين مافيه حتى لايصيب قوماً بجهالة فيصبح نادماً من النادمين.

أما جائزة الملك فيصل فأثرها معروف في تقدير العلم والعلماء والحث على العطاء الفكري المتميز، وإيقاظ كوامن النفوس، وبعث الهمم إلى عطاء متجدد ومؤسس على التراث الحميد، فكفتنا بذلك عن التلفت ذات اليمين وذات الشمال للبحث عمن يقوم بهذا العمل، وقد استطاعت في فترة وجيزة أن تنافس جوائز ذات تاريخ طويل، وتميزت عنها في أنها لم تؤسس على الأهواء أو التكفير عن الأخطاء التي استهدفت الإنسان وبالغت في إهانته وإذلاله وتعذيبه فأصبحت لعنة على صاحبها إلى يوم القيامة.

ومن حسن الحظ أن المسلمين اليوم أصبحوا أكثر فهماً واطّلاعاً، ولو أراد أحد منهم أن يردّ على الكاتب المذكور لكان كلامه نحواً مما كتبت.

كل هذا لايتعارض أبداً مع تقديرنا لإخواننا في مصر، ونحن لن نتأثر مطلقاً بمن يحاول الإساءة وإلصاق التهم جزافاً، وسنسير على طريق المحبة والإخوة نتحاور فيما يفيد أمتنا ويعلي شأنها.

وجائزة الملك فيصل العالمية تأسست عام ١٣٩٩هـ، وقد تبوأت مكانة سامقة، واستطاعت - بفضل الله - أن تكتسب كل عام مساحات من التقدير والاحترام، على الرغم من خفوت التركيز الإعلامي عليها، والتعتيم الذي يمارسه الغرب من واقع موقفه التاريخي الثابت من الإسلام والمسلمين.

وهذا الموقف من الإعلام الغربي ليس مستغرباً ولامفاجئاً، أما المؤسف فهو أن يكون بعض إعلامنا العربي والإسلامي غير مبرء من ممارسة التعتيم. وإذا كان التعتيم قد يتم عن قصد أو دونه، فإن التشكيك في الأغراض والأهداف، ينبع عن قصد ونية مبيتة.

وللمطلع المنصف نبيّن أن الجائزة قد أعطيت لثلاثة ومائة عالم ومفكر ينتمون إلى ثمان وعشرين دولة في أربع قارات من قارات العالم، مما ينفي أي أهداف سياسية أو انتماءات إقليمية أوعنصرية للجائزة، كتلك التي توسم بها غيرها من الجوائز، وعرّفت الجائزة بجهود علماء ومفكرين لم تكن معروفة إلا في إطار مجالات تخصصهم.

ويكفي أن لجنة الاختيار لكل فرع من الفروع الخمسة تضم في عضويتها أحد عشر عالما من المبرزين في مجالاتهم من بلدان العالم أجمع، الذين لايدنو أي شك من أمانتهم العلمية، وخبرتهم الأكاديمية والعملية وتقضي هذه اللجان أوقاتاً طويلة في النقاش والمداولة.

وأعلم من واقع صلتي بصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة مبلغ حرصه على ألا تشوب سمعة الجائزة أي شائبة، وحرصه على أن تستمر هذه الجائزة في تحقيق أهدافها النبيلة بأن تكون تكريما لكل من يعلي صرح العلم والمعرفة، ويثري الحضارة الإسلامية، والفكر الإنساني بنتاج متميز، وهي فوق ذلك تحمل اسم رجل كرّمه الله بدفاعه عن قضايا المسلمين والسعي في تضامنهم، كما أنها من بلد كرمها الله بخدمة الحرمين الشريفين وحمل رسالة التوحيد، وتوالى على حمل هذه الرسالة أبناء بررة لهذا البلد إلى أن وصلت إلى يد خادم الحرمين الشريفين الذي شجع العلماء وسقى غراس مؤسسات العلم منذ أن كانت نبتات غضة. وهذه الجائزة ثمرة من ثمار هذا التوجه المرتكز على الشرع القويم، وتنطلق في أهدافها ومراميها من الأهداف ذاتها التي يقوم عليها كيان المملكة، فأصبحت هذه الجائزة وهذه المؤسسة - وإن كانت غير حكومية - رافداً من الروافد الحضارية التي يزخر بها هذا البلد المعطاء.

ولاعجب بعد ذلك أن يطلق عليها الإمام الأكبر «الجائزة الجائزة»، وأقول مضيفاً إلى ذلك إنها الجائزة الواجبة، إذ لو لم تكن موجودة لوجب على الأمة أن تسعى إلى إقامتها، فتشجيع العلم من واجبات الأمة وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب.

آخر ما قرأت:

...فما أحوج أمتنا إلى أن يوصل فيها ماقطع، ويتجمع فيها ماتفرق، ويأتلف فيها مااختلف، ويتوحد فيها ماتعدد!

وإن أرحاماً منا معلقة بعرش الرحمن تشكو وتستغيث، ومنها رحم العلم التي تكاد تكون أم الأرحام؛ إذ بالعلم عُلم ويعلم الله، وبالعلم عُبد ويعبد الله، وبالعلم سُخر ويُسخر مُلك الله، وبالعلم استُخلف ويستخلف في أرض الله.

بالعلم كانت وتكون الريادة، وبالعلم كانت وتكون القيادة، وبالعلم كانت وتكون السيادة.

فالله الله في رحم العلم، فهي تعاني من كثير من الآلام: تعاني من التبعيض وهي كل؛ وتعاني من رداءة الاتصال وهي جسد؛ وتعاني من عدم التنظيم للسير وهي حركة؛ ولامخرج ولامنجى من ذلك إلا بصلة ما أمر الله به أن يوصل، والتنادي للائتمار بمعروف... الداعي إلى درس هم من هموم الأمة العظيم؛ يعتبرالبحث فيه بحثا في عمق الذات، والتدقيق فيه تدقيقا في العلم بالذات لأنه يتعلق «ماضيا بفهم الذات، وحاضرا بخطاب الذات، ومستقبلا ببناء الذات».

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد (٢٢١) - السنة (١٩) - ذو القعدة ١٤١٥هـ - أبريل ١٩٩٥م

صوم الحيوان: كيف؟



في عالم الحيوان وظائف وأعمال مبهرة ومدهشة من صنع رب العالمين، وهي مبثوثة في خلايا هذه الحيوانات. ومما بثه الله عز وجل في هذه الخلايا معجزة الصوم. فكيف تصوم الحيوانات؟ د. فوزي الفيشاوي يجيب عن هذا السؤال.

ص ٨٤

الحرب القادمة مع اليابان



اليابان هذه القوة الاقتصادية بل العملاق الاقتصادي الهائل الذي تصل منتجاته إلى كل ركن من أركان المعمورة، يستعد لحرب ليست مجرد حرب اقتصادية، بل حرباً عسكرية شاملة. ما أسرار هذه الحرب وما موقف الولايات المتحدة الأمريكية منها؟

«الحرب القادمة مع اليابان» كتاب أثار ضجة في الكونجرس الأمريكي وفي الأوساط العالمية، يستعرضه د. محمد عبدالعليم مرسي في باب «نافذة على ثقافة العالم».

ص ٩٣

أدونيس: وهم الكونية والتطلع لنوبل



بين التيار الإسلامي وتيار الحداثة مساجلات ومعارك لاتنتهي، لكل منهما دوافعه وحيثياته، وآليات للهجوم والدفاع.
ويعد أدونيس من رواد تيار الحداثة الذين يتهمون التيار الإسلامي في الشعر بالعجز عن الإبداع.
في هذا العدد مقالة تدافع وتهاجم في الوقت نفسه، فماذا كتب حسني المختار عن أدونيس؟ وكيف دافع عن التيار الذي ينتمي إليه؟

ص ١٠٠

ملف العدد

أدب وفكر

طب وعلوم

تراث

رئيس التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

شخصيات

تعليم

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

من كتاب العدد

عبدالله بن هادي القحطاني



- مواليد سراة عبيدة، السعودية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- حاصل على الدكتوراة في اللغويات التطبيقية - التخطيط اللغوي واكتساب اللغة من جامعة ولاية ميشيجان، الولايات المتحدة الأمريكية.
- يرأس قسم اللغة الإنجليزية، جامعة الملك سعود، أبها.
- شارك في مؤتمرات متعددة منها: المؤتمر العالمي للغويات ١٩٨٨م. مؤتمر اللغويين التطبيقين الأمريكيين ١٩٩٢م.
- من مؤلفاته: THE UNIVERSALITY OF ISLAM (تحت الطبع)، THE ORIGINALSIN، ترجمة كتابة «السياسة في علم اللغة» (تحت الإعداد بالاشتراك)، وهناك مقالات متعددة في المجلات والصحف المختلفة.

يحيى مختار محمد



- من مواليد قرية الجنينة والشباك بالنوبة المصرية ١٩٣٦م.
- حاصل على ليسانس صحافة - كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٦٣م.
- يعمل مديراً لإدارة التوزيع بمؤسسة أخبار اليوم.
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية في القصة القصيرة عن مجموعة «عروس النيل».
- صدرت له «عروس النيل» عن دار أخبار اليوم، و«ماء الحياة» (رواية)، وقصص قصيرة.
- نشرت له مجلات وصحف مصرية وعربية متعددة.
- نشرت دراسات نقدية عن أعماله، إضافة إلى دراسة أكاديمية (دبلوم) للباحثة ناهد السيد عن القصة القصيرة النوبية، وتعد حاليًا رسالة ماجستير بالجامعة الأمريكية بالقاهرة عن عروس النيل وماء الحياة تحت إشراف الدكتور حمدي السكوت.

محمد كرزون



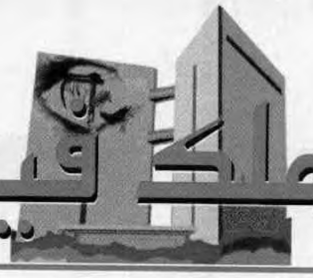
- مواليد حلب، سوريا ١٩٥٥م.
- إجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة حلب ١٩٨٢م.
- له مقالات وأبحاث منشورة في الصحف والمجلات العربية.
- أشرف على إعادة طباعة «نوادر جحا الكبرى» بعد أن قام بتفصيح العامي منها، ووضع مقدمة وافية للتعريف بهذه الشخصية الحقيقية الخيالية.

يوسف مصري



مواليد حلب، سوريا ١٩٦٢م
- بكالوريوس هندسة مدنية، جامعة حلب ١٩٩٠م.
- له ديوان شعر بعنوان «أسرار» ١٩٩٤م.
- يقوم حاليًا بتحقيق علمي لكتاب «الفرق في اللغة» لأبي هلال العسكري لصالح إحدى دور النشر في بيروت.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية



تميز النهج وعالمية

تفتقد المجتمعات العربية والإسلامية كثيراً العمل المؤسسي الذي يتسم بدقة التنظيم ووضوح الخطط والأهداف، ويبدو هذا النقص جلياً في الحقل الخيري، إذ إن كثيراً من الجمعيات والمؤسسات الخيرية تبدأ عملها بنشاط وحيوية، ثم يفتر هذا النشاط مع مرور الوقت، وقلة ذات اليد ، وكما يتسم عمل الجمعيات والمؤسسات بالمحلية الضيقة، والتركيز على فئة دون غيرها.

وقد كان على مؤسسة الملك فيصل الخيرية استقراء هذا الواقع عند بدء نشاطها، إذ أرادت التميز في النهج والتفرد في الإنجاز، وبخاصة أنها تنطلق في عملها من المبادئ والقيم التي ناضل من أجلها الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ، تلك المبادئ التي تتركز حول التضامن الإسلامي، والدفاع عن قضايا المسلمين في جميع أقطارهم وأمصارهم، والسعي لرفع شأنهم وتحقيق الألفة والتضامن فيما بينهم، وجمعهم على مافيه نفعهم، وقد اتسمت نظرة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ بالشمولية والعمق، إذ إنه نادى بإحلال السلام والعدل والرفاهية للإنسانية جمعاء، منطلقا في ذلك من المبادئ الفاضلة المستمدة من الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء رحمة للعالمين.

وقد رأى أبناء الملك فيصل ـ رحمه الله ـ أن أفضل الوسائل لإحياء هذه المبادئ القيمة التي ناضل من أجلها والدهم أن تكون هناك مؤسسة خيرية تلتزم تطبيق هذه المبادئ، وتعمل بها، ومن ثم كان اتفاقهم على إنشاء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بغرض القيام بكل عمل داخل المملكة العربية السعودية وخارجها فيه نفع للمسلمين، وبرّ بهم، رفع من شأنهم، ونشر للدعوة وإعلاء كلمة الدين متبعة في ذلك النهج القويم للراحل الكريم، مسترشدة بما تبناه ـ رحمه الله ـ من أصول وقواعد مثالية لتحقيق هذه الأهداف المثالية.

الإنجاز

وصـدر المرسـوم الملكي رقم أ/١٣٤ و تاريخ ١٣٩٦/٥/١٩هـ موقـعـا من جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز - رحمه الله - بإنشاء مؤسسـة الملك فيصل الخيرية، وكـان - رحمه الله - من أوائل المتبرعين، والمساندين لها، وقد وقعت مؤسسة الملك فيصل الخيـرية عقد بناء مقرها الدائم مع إحدى الشركـات العالمية بتاريخ ١٤٠٠/١/٣٠هـ، على قطعة أرض تبلغ مساحتها أربعة عشر ألف متر مربع، وتقع على طريق الملك فهد بحي العليا بمدينة الرياض.

وقام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - الرئيس الأعلى لمؤسسة الملك فيصل الخيـرية بافتتاح المقر الدائم للمـؤسـسـة في يوم السـبت ١٤٠٤/٥/٢٤هـ، (١٩٨٤/٢/٢٥م).

وقد بني المقر على ارتفـاع أربعة عشر دوراً، وهو مـبني على أحد أسـاليب البناء الحديث، ويعد واحداً من المعالم الحضارية المعمارية الحديثة بالمملكة العربية السعودية. ويتكون من بنايتين تضمان مكاتب المؤسسة كـافة، كما يضم المقر مركـز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الذي يتكون من مسجد شُيِّد على مساحة ١٠٦٩متراً مربعًا، وأربع مكتبات رئيسة.

وقد أطلق على مقر المؤسسة والمركز اسم مشروع الخيرية(١) ويحتوي أيضا على مركز تجاري متكامل، و٣٧شقة سكنية، وقاعة للاجتمـاعات والمسرح، تضم ثلاثمائة وخمسين مقعداً، ومطعم على السطح العلوي للبرج الجنوبي - ومواقف للسيارات.

الإنفاق الخيري

يُعد حقل الإنفاق الخيري دعامة أساسية لتحقيق الأهداف النبيلة التي تسعى إليها مؤسسة الملك فيصل الخيرية، في تكريس التضامن الإسلامي الذي دعا إليه الملك فيصل - رحمه الله - وتعميق التواصل الوجداني بين أبناء الأمة الإسلامية بتلمس احتياجاتهم ومحاولة إشباعها بأسلوب متقدم يتواءم ومنطلقات«الخيرية» لخدمة الإسلام والمسلمين، ولذلك فإن هذا الحقل متميز في فلسفته وتطبيقاته عن المفهوم الإغاثي العاجل الذي غالبًا مايعنيه الإنفاق الخيري لدى قطاعات كبيرة على مستوى الدول



خادم الحرمين الشريفين يكرّم الفائزين بالجائزة في العام ١٤٠٤هـ

لافائدة من علم لاينفع الإنسان

«لقد اهتم الإسلام منذ أول يوم بالعلم والفكر.. وعمل المسلمون عبر تاريخهم على تشجيع العلماء وأحاطوهم بكل تكريم وتبجيل.. لذلك اتسمت الحضارة الإسلامية بالشمول فكانت حضارة متكاملة.. غزت الفكر البشري وأعطته مزايا كثيرة.

وحين تنطلق مؤسسة الملك فيصل الخيرية بأعمالها النبيلة من مهد العروبة ومنبع الإسلام فتأتي في مقدمة إنجازاتها جائزة الملك فيصل العالمية.. إنما تنطلق من ركائز حضارة أقامها السلف الصالح على مبدأ من شريعتنا السمحة.

وإنني لأتمنى أن تعم هذه الظاهرة الطيبة ربوع الوطن العربي والإسلامي لتتعدد الجمعيات الخيرية المماثلة ومراكز البحوث التي تخدم الإسلام وتعمل على توسعة الحركة العلميّة والفكرية في المجال الإسلامي السليم.. فالعلم إذا لم ينتظم في إطار العقيدة فإن نتائجه تشكل خطرًا على الإنسان نفسه عقلاً وروحًا. ولافائدة من علم لاينفع الإنسان.

وأخيرًا أدعو الله الكريم أن يوحد صفوف المسلمين، وأن يوفق علماءهم إلى مافيه خير هذه الأمة وإنارة السبيل أمامهم لكي يستمسكوا دائما بالقيم الإسلامية».

كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز
في حفل منح الجائزة عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م



سمو ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في حفل تكريم الفائزين في إحدى السنوات

والمؤسسات - في العالم الإسلامي - ومايميز توجه مؤسسة الملك فيصل الخيرية في هذا المجال هو أن الإنفاق الخيري لديها وثيق الصلة بفكرة الوقف الإسلامي، بل هو نابع من هذه الفكرة التي تنطوي على دلالات الاستمرارية والتأهيل والبعد عن الخدمة الآنية.

وبهذا الفهم المؤسس المسترشد بتعاليم الإسلام تبلورت أوجه وأبعاد الانفاق الخيري لمؤسسة الملك فيصل، إذ تتوخى توجيه الإنفاق إلى الميادين والمشروعات التي تمد مظلة الرعاية والخدمات في أكبر مساحة ممكنة في العالم الإسلامي، وإشباع احتياجات أكبر عدد من المسلمين، وهو مايعني مراعاة المواقع الجغرافية للمشروعات استهدافا للحلول في أماكن الحاجة إليها، ولذلك تعنى جهات الاختصاص في المؤسسة بالدراسة المتأنية لجدوى المشروعات التي تنفذها، حتى تأتي في مستوى التطلعات والطموحات.

وتلتزم مؤسسة الملك فيصل الخيرية في مساعيها لتغطية حقل الإنفاق الخيري ذات الموجهات التي تحكم سياستها في المجالات الأخرى، وهي الحيادية والموضوعية والدقة. والمصلحة العليا للإسلام والمسلمين وهي المعيار الوحيد لتنفيد المشروعات الخيرية سواء في الداخل والخارج على حد سواء، دون تمييز بين المسلمين، أو بين الدول الإسلامية لأي سبب من الأسباب، ويتمثل حقل الإنفاق قناة مهمة للاتصال بالأقليات الإسلامية في قارات العالم الست وتلبية احتياجاتهم بما يحفظ عليهم كيانهم وشخصيتهم الإسلامية داخل مجتمعات تتباين معتقداتها.

يتمثل محور سياسة الإنفاق في مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إيجاد برامج مشروعات مستديمة تؤهل المسلمين وترفع من مستواهم وتساعد على تقدمهم، وتساعد في إيجاد أعمال ومهن لهم، ولاتعطي منحًا نقدية إلا في حالات الطوارئ والنكبات، وتشمل المشروعات النوعية التي أنشأتها مؤسسة الملك فيصل الخيرية أو قامت بدعمها: المساجد، المراكز والمعاهد والمدارس الإسلامية، ومشروعات سكنية للطلاب، ودعم برامج الإصلاح الزراعي وطباعة الكتب الإسلامية، وإنشاء دور رعاية الأطفال المعاقين، وإقامة المستشفيات والمستوصفات والمراكز الطبية ودعم البحوث الطبية، والمساعدة في إنشاء الجمعيات الخيرية ودعم مؤسسات أعمال البر، وتقديم تبرعات وهبات عامة للمسلمين.

جغرافيًا، تغطى المشروعات التي تقدمها مؤسسة الملك فيصل الخيرية مدن المملكة العربية السعودية، كما تمتد إلى ٢٩ دولة من دول العالم في قارات أفريقيا وأسيا، وأوربا، وأمريكا الشمالية، وقد بدأت في إقامة مشروعات متعددة في الجمهوريات الإسلامية المستقلة في الاتحاد السوفيتي السابق، وهناك هبات وتبرعات قدمت لدعم الجهاد في فلسطين وأفغانستان، ومساعدة مسلمي البوسنة والهرسك، ومساعدة الشعب الصومالي.

وبلغ إجمالي ماصرفته مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إقامة مشروعاتها حوالي ٤٧٠ مليون ريال سعودي، وبلغ الإنفاق الخيري في العام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م حوالي ٤٣ مليون ريال سعودي.

فلسفة جديدة

بينت التجربة في السنوات الماضية أن بعض المشروعات التي تقيمها المؤسسة قد تحتاج إلى عون دائم للصيانة والترميم والإدارة، ما يعني أعباء إضافية، وتحقيقًا لهذه الأعباء، فقد تقرر أن يكون هناك وقف تجاري إلى جانب كل مشروع من المشروعات الخيرية، يقوم بالإنفاق على المشروع ويضمن استمراريته بالكفاءة والفعالية نفسها التي بدأ بها. وسيبدأ تطبيق هذه الفلسفة - كما صرح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل - في مشروع ضخم تقيمه المؤسسة في مصر، إلى جانب قيام سموه بزيارة عدد من البلدان العربية والإسلامية لبحث تطبيق هذه الفكرة بها.

المشروعات الاستثمارية للمؤسسة

تقوم مؤسسة الملك فيصل الخيرية باستثمار أموالها في عدد من المشروعات بهدف تحقيق قدر من الأرباح يمكن إنفاقه على مشروعاته الخيرية في المجالات كافة التي تقام في قارات العالم جميعها، ويعتمد النشاط الاستثماري للمؤسسة على ثلاثة محاور هي:

- أن يدخل في معايير جدوى المشروعات مدى قدرتها على إرساء قاعدة اقتصادية في

المجتمعات التي تقام فيها، كأن تشارك هذه المشروعات في الحد من البطالة، ورفع مستوى المهارة والتدريب، وإيجاد السيولة النقدية، حتى ولو كانت نسبة المردود منها أقل من غيرها.

- أن يلتزم الاستثمار أحكام الشريعة الإسلامية، ويتخذها قاعدة أساسية.

- أن لايكون معيار الربح هو الأساس الوحيد الذي يحدد جدوى تلك المشروعات.

وقد أقامت المؤسسة عدداً من المشروعات على هذه الأسس، منها:

- فندق الخزامى: هو أول مشروع استثماري للمؤسسة، وجاء من واقع استقراء سوق الفندقة، وأهمية وجود فنادق تتناسب والتطور الحضاري للمملكة العربية السعودية.

يضم الفندق حوالى مائة وسبعين غرفة، وعدداً من الأجنحة، وأحدث التجهيزات والخدمات الموجودة في أضخم الفنادق العالمية.

- مركز الخزامى: يطلق عليه مشروع خيرية (٢)، مكمل لمشروع فندق الخزامى، ويضم عيادات طبية، ومكاتب، ومحلات تجارية، ومطاعم، وشقق سكنية، إلى جانب قاعة للاجتماعات مجهزة بالمعدات السمعية والبصرية، تتسع لأكثر من ستمائة مقعد، وناد رياضي.

- المركز التجاري: وهو مشروع الخيرية (٣)، ويتكون من دورين تحت الأرض كمواقف للسيارات، ودور أرضي يضم ٥٨ محلاً تجاريا.

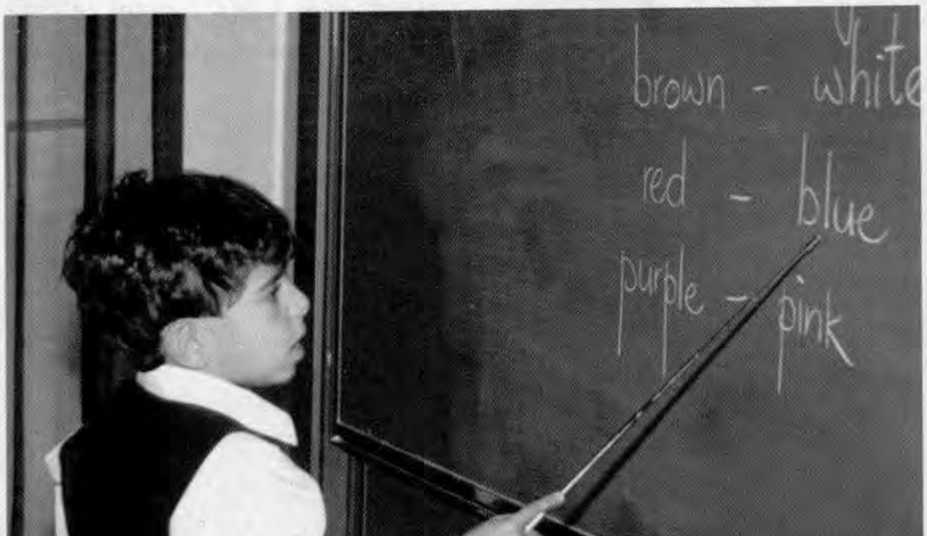
- شركة الصناعات المعدنية والفضية والذهبية المحدودة: تقوم بإنتاج الميداليات، والكؤوس والأطباق التذكارية، والمسبوكات الفضية، والدروع.

- مركز أبها التجاري: أول مشروع استثماري للمؤسسة خارج الرياض.

- مركز خميس مشيط التجاري.

تخطط المؤسسة حاليا لإقامة مباني وأسواق تجارية وفندق في المنطقة المحيطة بمجمع الخيرية(١)، وتبلغ مساحتها حوالى ٦٠ ألف متر مربع، كما أنها تمتلك عدداً من المباني والعمارات.





يبدأ تدريس اللغة الإنجليزية في مدارس الملك فيصل النموذجية من المرحلة الابتدائية

المنح الدراسية

تنظم مؤسسة الملك فيصل الخيرية برنامجا للمنح الدراسية ، رغبة منها في رفع المستوى العلمي والاجتماعي لأبناء المسلمين في أنحاء العالم كافة.، وحددت ستة شروط لقبول المتقدمين لنيل إحدى المنح الدراسية التي تقوم المؤسسة بتمويلها، لضمان أن تفي المنح بأغراضها. وهذه الشروط هي:

١- أن يكون مسلماً

٢- أن يكون قد أتم المرحلة الجامعية بمعدل ٨٥٪ فأكثر

٣- أن يكون حاصلاً على قبول غير مشروط من إحدى أرقى الجامعات الأوروبية أو الأمريكية التي تعد من الدرجة الأولى في تخصصه.

٤- ألا يزيد عمر المتقدم لنيل المنحة عن ٤٠ عاماً

٥- أن يجيد لغة الدراسة - المتقدم لنيل منحة دراسية في جامعتها - إجادة تامة.

٦- أن يكون متخصصا في أحد مجالات الطب - الهندسة - العلوم (فيزياء - كيمياء - جيولوجيا) - الاقتصاد - إدارة الأعمال.

وتشترط مؤسسة الملك فيصل الخيرية - كذلك - ضرورة عودة المبتعث إلى بلاده لخدمتها بما اكتسبه من علم وفكر ومعرفة، مشاركة منه في تطورها ورقيها.

وتشمل المنح الدراسية تغطية بنود: الإعانة الشهرية: وتُصرف للدارس شهريا على أساس مستوى المعيشة في الدولة المبتعث إليها، مضافا إليها مخصص العائلة في حدود ٢٥٪ من الإعانة للزوجة و ١٢,٥٪ لكل من

الطفلين الأول والثاني للدارس، شـريطة أن يصطحب زوجته وطفليه إلى حيث يقيم للدراسة، ذلك لتحصين الشباب المسلم ضد مغريات الحياة في الغربة، ولدعم روابط الأسرة المسلمة.

بدل الملابس وبدل الكتب، ويصرفان مرتين في العام.

بدل الإركاب، وبمقتضاه يستحق الدارس تذكرة سفر وعودة له ولزوجته ولطفليه إلى مقر دراسته - في بداية البعثة - وإلى وطنه، في نهاية البعثة.

الرسوم الدراسية: وتدفعها المؤسسة مباشرة إلى الجامعة أو المعهد الذي يدرس به.

النفقات الصحية: وتشمل العلاج الصحي للطالب وأسرته فيما عدا العلاج التجميلي.

المكافأة: وتصرف للطالب بما يعادل الإعانة الشهرية عند إنهائه برنامجه الدراسي في الوقت المحدد.

وقد استفاد من برنامج المنح الدراسية ستة وستون طالبا وطالبة في مجالات الطب والهندسة والعلوم بحسب الجدول التالي:

البلد	عدد المنح
السودان	١٢
باكستان	٨
السعودية	٨
سوريا	٥
الأردن	٥
فلسطين	٤
بنجلاديش	٤
المغرب	٣
الصومال	٣
الهند	٢
تونس الجزائر	٢
مصر	٢
أندونيسيا	٢
أمريكا	١
الكويت	١
العراق	١
لبنان	١
تنزانيا	١

جائزة الملك فيصل العالمية: إثراء للفكر الإسلامي والحضارة الإنسانية

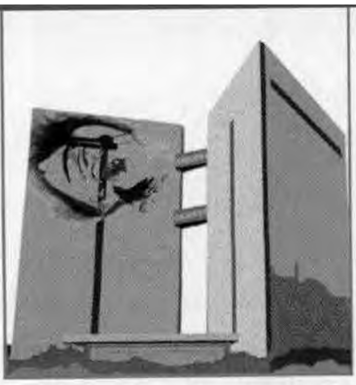
حين أنشئت مؤسسة الملك فيصل الخيرية عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م، وضعت قائمة من الأهداف التي تسعى لتحقيقها، وكان في مقدمة هذه الأهداف - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - نشر الفكر والتراث الإسلامي، وإنعاش الحضارة الإسلامية الأصيلة، وتجديد شباب فكرها، ولقد آلت المؤسسة على نفسها أن يكون سعيها لتحقيق أهدافها وفق منظور عالمي يسترشد بتعاليم الإسلام وقيمه، لذلك كان من الطبيعي أن يكون تقدير العلماء والمفكرين الذين يثرون الفكر الإسلامي ويشاركون في تطور الحضارة الإنسانية لتكون هدفا أصيلاً يمثل محوراً من محاور نشاطاتها، ويمثل مساحة كبيرة من اهتمامها ودعمها.

وانطلاقا من سعيها لتكريم أولئك الذين يبذلون جهوداً عظيمة في خدمة الإسلام والمسلمين، وتقدير أولئك الذين أثروا المعرفة الإنسانية ببحوثهم الرائدة الأصيلة فقد أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل في عام ١٣٩٧هـ قرار مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بإنشاء جائزة عالمية باسم الملك فيصل تمنح في ثلاثة مجالات هي: خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية، والأدب العربي، وفي عام ١٣٩٩هـ بدئ في منحها، ثم أضيف إليها جائزتان في مجالي الطب والعلوم، بعد أن قرر مجلس أمناء المؤسسة ذلك في عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م، مما أكسب الجائزة مزيداً من الشهرة والاهتمام العالمي، وتأصيل صفتها العالمية.

وقد تحددت أهداف الجائزة في

- العمل على خدمة الإسلام والمسلمين في المجالات الفكرية والعلمية والعملية.

الدولة	فرع الجائزة	المجموع
الأردن	الأدب العربي	١
أفغانستان	خدمة الإسلام	١
ألمانيا الغربية	العلوم	٣
أندونيسيا	خدمة الإسلام	١
إيطاليا	الطب	٤
باكستان	خدمة الإسلام	٢
البوسنة	خدمة الإسلام	١
بريطانيا	الطب + العلوم	١٢
تركيا	الدراسات الإسلامية	٢
جنوب أفريقيا	خدمة الإسلام	١
سوريا	الدراسات الإسلامية + الأدب العربي	٣
السودان	الدراسات الإسلامية	١
سويسرا	الطب + العلوم	٢
العراق	الدراسات الإسلامية + الأدب العربي	٣



- تحقيق النفع العام للمسلمين في حاضرهم ومستقبلهم، والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة والمشاركة فيها.
- تأصيل المثل والقيم الإسلامية في الحياة الاجتماعية وإبرازها للعالم.
- الإسهام في تقدم البشرية وإثراء الفكر الإنساني.

الأجهزة التنظيمية

هيئة الجائزة: وتتكون من ستة من أعضاء الجمعية العمومية لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ويتولى أمانتها الأمين العام للجائزة، وتضطلع بمسؤولية المتابعة والتنسيق بين مجلس الأمناء ولجان الاختيار، كما تقوم بدراسة النظام واقتراح تعديله، وجميع الأعمال التي تسند إليها من مجلس الأمناء.

الأمانة العامة: هي الجهاز التنفيذي الذي يقوم بجميع أعمال الجائزة الإدارية، وتقوم بمسؤوليات التهيئة والإعداد والمتابعة.

وضمانًا للنزاهة والحياد، فقد تقرر عدم تدخل هيئة الجائزة والأمانة العامة في أعمال لجان الاختيار التي لها القرار الأول والأخير في عمليات الاختيار، وإعلان الأعمال الفائزة. ومن ثم ليس لهيئة الجائزة والأمانة العامة للجائزة والمسؤولين في مؤسسة الملك فيصل الخيرية أي تأثير في عملية تقرير الفائز.

قنوات تمر بها عملية اختيار الفائزين بالجائزة

الجدارة المطلقة في الحقل المقرر لمنح الجائزة فيه هي الأساس الذي يتم بموجبه الاختيار لجوائز الملك فيصل العالمية، ولضمان تحقيق هذه الجدارة والاستحقاق، فإن هناك قنوات متعددة تمر بها عملية الترشيح.

وهذه القنوات هي

- تحديد لجان لاختيار موضوعات الجوائز العلمية وفق معرفة أعضائها بما أنجز في تلك الموضوعات من دراسات.
- تقوم الأمانة العامة للجائزة بالإعلان عن موضوعات الجائزة بفروعها الخمسة، وتتصل بالمنظمات الإسلامية والجامعات والمراكز العلمية لترشيح من تراه مستحقًا للجائزة.
- يكون الترشيح على مسؤولية تلك المنظمات والجامعات والمراكز.
- تعرض الأمانة العامة للجائزة الأعمال المرشحة على خبراء متخصصين في موضوعات الجائزة العلمية المعلنة، وذلك لضمان انطباق تلك الأعمال على هذه الموضوعات، وارتقائها إلى مستوى المنافسة على الجائزة.
- ترسل الأعمال المرشحة إلى حكام عالميين ذوي خبرة تامة في موضوعات الجائزة لدراستها، وكتابة تقارير عنها، وذلك قبل اجتماع لجان الاختيار بثلاثة أشهر على الأقل.
- تعرض الأعمال المرشحة، مع تقارير الحكام عنها، على لجان الاختيار الخاصة المكونة من كبار المتخصصين في المملكة العربية السعودية وخارجها. وتقرر هذه اللجان منح الجائزة لمن تراه مستحقًا لها أو حجبها.
- تعلن الأمانة العامة للجائزة نتائج اجتماعات لجان الاختيار المختصة قبل شهر من موعد منح الجائزة، ويدعى الفائزون بها لتسلمها في احتفال يعقد لهذا الغرض برعاية خادم الحرمين الشريفين.

مكونات الجائزة

أما الجائزة التي تمنح للفائزين فهي عبارة عن:

- شهادة (براءة) تحمل اسم الفائز، وملخصًا للعمل الذي أهله لنيل الجائزة.
- قطعة (ميدالية) ذهبية.
- مبلغ خمسين وثلاثمائة ألف ريال سعودي، تمت زيادته في هذا العام ١٤١٥هـ إلى خمسين وسبعمائة ألف ريال سعودي.

دلائل التميز

ومما يدل على اهتمام القائمين على جائزة الملك فيصل العالمية بضرورة تميز الأعمال الفائزة، هو حجب الجائزة في حالة عدم وصول الأبحاث والدراسات المرشحة إلى المستوى الذي يواكب طموح الجائزة، على الرغم مما في هذه الأبحاث والدراسات من علم غزير وجهد مضن.

الدولة	فرع الجائزة	المجموع
فرنسا	خدمة الإسلام + الطب + العلوم	٦
الفلبين	خدمة الإسلام	١
فلسطين	الأدب العربي	١
قطر	الدراسات الإسلامية	١
ماليزيا	خدمة الإسلام	١
مصر	خدمة الإسلام + الدراسات الإسلامية + الأدب العربي	٢٣
المغرب	الأدب العربي	٢
المملكةالعربية السعودية	خدمة الإسلام+ الدراسات الإسلامية	٩
النيجر	خدمة الإسلام	١
كندا	العلوم	٢
الولايات المتحدة	الطب + العلوم	١٤
نيجيريا	خدمة الإسلام	١
الهند	خدمة الإسلام + الدراسات الإسلامية	٢
لبنان	الأدب العربي	٢
		١٠٣ الإجمالي

وقد حدث ذلك أكثر من مرة في الفروع المختلفة، ومما يعين على تحديد صفة التميز والتفرد، هو وجود عدد كبير من المختصين في فروع العلوم والفكر المختلفة في لجان الاختيار، واطلاعهم على أحدث ماتم إنجازه في مجالاتهم.

ومن دلائل حياد جائزة الملك فيصل العالمية ونزاهتها حصول عدد من الفائزين بها على جوائز أخرى في مجالاتهم بعد حصولهم عليها، فقد فاز الدكتور عبدالقادر القط بجائزة الدولة التقديرية في الأدب في بلده مصر، بعد حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وكذلك حصل الدكتور جيرد ينج والدكتور هنري روهر على جائزة نوبل في الفيزياء، وكان قد سبق لهما الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية في العام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ونال ـ كذلك ـ الدكتور مايكل جون بيردج جائزة مؤسسة لويس جانيت الطبية في سويسرا في العام نفسه الذي حصل فيه على جائزة الملك فيصل العالمية (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، وحصل على الجائزة السويسرية ذاتها الدكتور بيير شامبون عام ١٤١٠هـ، بعد أن نال جائزة الملك فيصل العالمية في علم الحياة (البيولوجيا) عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، كما منحت الحكومة الكندية وسام الشرف من أعلى طبقة للأستاذ الدكتور ريمون أرغل لوميو الحاصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الكيمياء عام ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

وتوضح الإحصاءات الخاصة بالجائزة أن هناك (١٠٣) من المفكرين والمبدعين والعلماء من جنسيات متعددة ودول مختلفة، تشمل قارات العالم قد حصلوا على جائزة الملك فيصل العالمية حتى العام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مما يؤكد أن الجائزة لاتعرف التحيز للون أو عرق أو جنسية، وأنها وضعت لتتويج جهود علمية متصلة، ولتبرز عملاً دؤوبًا، ولتؤكد أن العلم خير ماتقدمه الأمم لنفسها وللبشرية.

وقد استطاعت جائزة الملك فيصل العالمية بما أتيح لها من إمكانات، ونظام مُحكَم، وحيادية في اتخاذ القرارات، ومنح الجوائز، أن تتجاوز النطاق المحلي والإقليمي إلى النطاق العالمي، مما جعلها تستحق صفة العالمية عن جدارة واستحقاق. إذ إن بُعدها الجغرافي ـ وفق الإحصاءات المبينة في هذا الملف ـ أصبح بمساحة العالم كله، وقد أكسبها ذلك صيتًا وشهرة بين علماء العالم ومفكريه، وفي الأوساط العلمية والمؤسسات العالمية التي تسعى إلى ترشيح علمائها ومفكريها لنيل الجائزة، ولعل هذا الإقبال من جانبها دليل آخر على المستوى الذي بلغته الجائزة، إذ إن هذه المؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث العالمية حريصة دائمة على سمعتها، ومن ثم لاتقبل ترشيح علمائها إلا لجائزة تتناسب ومستوى سمعتها وشهرتها.

ويؤكد صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة «أن جائزة الملك فيصل العالمية تتميز بأنها جائزة ثقافية بحتة ليست لها أهداف سياسية أو خلاف ذلك. وقد بنيت أساسًا لنصرة الإسلام والمسلمين، ولدفع الثقافة العامة والعالمية، والدليل على ذلك نوعية الجنسيات وحتى الأديان للأشخاص الذين فازوا بهذه الجائزة، كذلك نوعية القرارات التي تتخذها لجنة الجائزة.

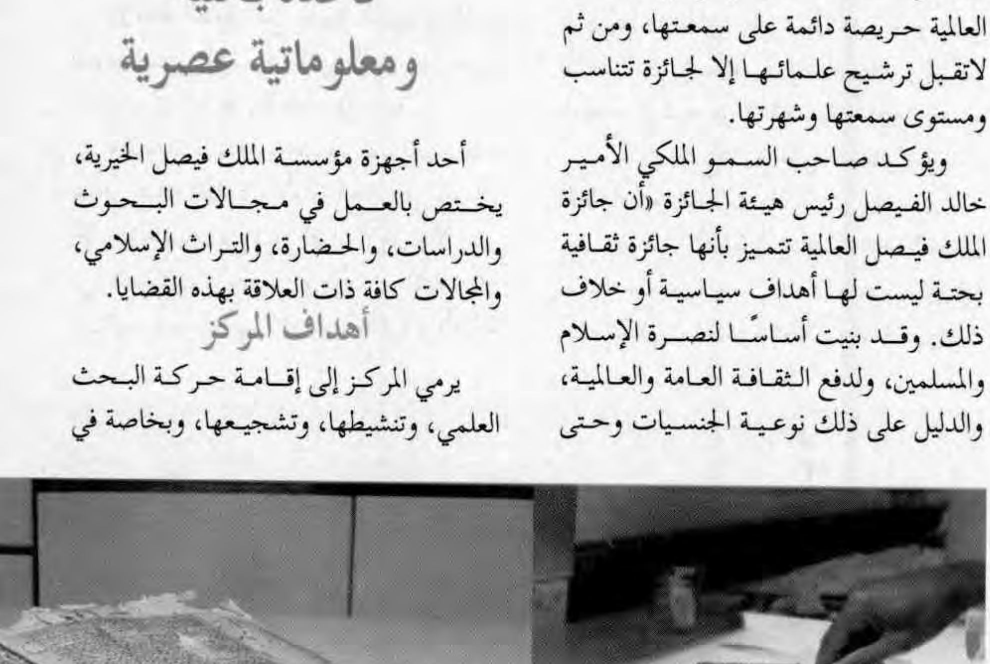
فالرجل الذي حملت اسمه الجائزة، كانت نيته خالصة لخدمة القضايا الإنسانية كافة، وهذا ساعد على تبني هذه الجائزة الكثير من القيم التي قد لاتتوافر لأي جائزة أخرى».

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية: قاعدة بحثية ومعلوماتية عصرية

أحد أجهزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية، يختص بالعمل في مجالات البحوث والدراسات، والحضارة، والتراث الإسلامي، والمجالات كافة ذات العلاقة بهذه القضايا.

أهداف المركز

يرمي المركز إلى إقامة حركة البحث العلمي، وتنشيطها، وتشجيعها، وبخاصة في



المخطوطات: قبل الترميم وبعده

المجالات ذات العلاقة بالتاريخ والحضارة الإسلامية، كما يتبنى حركة نشر وعرض مقتنيات الفن الإسلامي عبر عصوره المختلفة.

ويقوم المركز بتحقيق هذه الأهداف من خلال عدد من النشاطات :

- تشجيع الدارسين والباحثين في مجالات الحضارة كافة، وتوفير احتياجاتهم من الكتب والمخطوطات، ونشر وترجمة وتوزيع ما تثبت جدارته من تلك الدراسات والبحوث، وإعداد الأعمال المرجعية المتخصصة مثل المعاجم والفهارس وغيرها.

وقد نشر المركز العديد من الكتب المحققة والمؤلفة والمترجمة، كما أصدر دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية، ومجموعة من فهارس مخطوطاته الأصلية والمصورة، وهناك عدة مشروعات بحثية يعكف المركز على تنفيذها في الوقت الحالي.

- العمل على اقتناء أكبر عدد من المخطوطات الأصلية - أو صور منها - والكتب والنشرات والمجلات ذات العلاقة بالحضارة الإسلامية، ويرمي المركز من ذلك إلى توفير المعلومات للباحثين والدارسين والمهتمين في المجالات المختلفة المتعلقة بالحضارة الإسلامية والتراث الإسلامي، بالنظر إلى أن المعلومات أهم مقومات البحث العلمي.



وتقدم خدمات المعلومات أساسًا من خلال قواعد معلومات المكتبات التي تحتوي على الكتب والدوريات والمخطوطات وفهارسها والمواد السمعية والبصرية.

وقد أنشأ المركز مجموعة من قواعد المعلومات المتخصصة، إسهاما منه في تيسير سبل وصول الباحثين إلى المعلومات، من أهم هذه القواعد:

الإعلام الإسلامي، الاقتصاد الإسلامي، التربية الإسلامية، خزانة التراث، الدول والأقليات المسلمة، الرسائل الجامعية، العالم الإسلامي، المخطوطات المحققة والمنشورة، المرأة، الملك فيصل، وتضم هذه القواعد معلومات وافية عن هذه الموضوعات، وأهم مانشر حولها باللغتين العربية والإنجليزية.

وخدمات المعلومات التي تتيحها هذه القواعد لاتقتصر على مرتادي مكتبات المركز، بل إن الاشتراك فيها متاح للباحثين، على مستوى المؤسسات والأفراد، داخل المكاتب، وأماكن البحث في المنازل، ذلك باستخدام الهاتف وجهاز الحاسوب الشخصي، فضلاً عن النهايات الطرفية لاستخدام قواعد المعلومات.

وتضم مكتبة المركز حوالي (١٠٠) ألف عنوان، وهذه الكتب تغطي مجالات الفكر الإسلامي والإنساني، وتمثل الكتب اللاتينية ثلث المجموعة. وتمتلك المكتبة (٣٠٠) دورية بلغات مختلفة، وتمثل الدوريات العربية ٣٠٪ منها وتوجد فيها قرابة (٢٠٠) عنوان للدوريات النادرة المتوقفة عن الصدور منذ سنوات بعيدة، وهذه الدوريات مصورة على مصغرات فلمية (ميكروفيلم)، وهناك (١٥٠) ألف مقالة وبحث تم تكشيفها، ويسهل الرجوع إليها باستخدام نهايات طرفية موجودة داخل المكتبة، كما أن في إمكان المشتركين في قواعد المعلومات المتخصصة الخاصة بالمركز الاطلاع على محتويات المكتبة من الدوريات بواسطة النهايات الطرفية الموجودة لديهم سواء في



أماكن عملهم أو في منازلهم.

وقد قام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بإعداد نظام خاص بالإحاطة الجارية، حيث يتم موافاة الباحث المتخصص بالتطورات الحديثة في مجال بحثه أو تخصصه من خلال قائمة ببليوجرافية مطبوعة ترسل إليه نهاية كل شهر.

ويضم المركز ٣٥ ألف مخطوطة مفهرسة، منها ٢١ ألف مخطوطة أصلية و١٤ ألف مخطوطة مصورة في مختلف العلوم والفنون، حيث تقدم معلومات مفهرسة وشاملة عن هذه المخطوطات مما يوفر الكثير من الوقت والجهد للباحثين عن هذه الكنوز التراثية.

- التوعية بالحضارة الإسلامية وإبراز شموليتها في الجوانب كافة، حيث يقوم المركز بإعداد النشاطات الفكرية والثقافية التي تناسب الجمهور غير المتخصص. وأبرز هذه النشاطات المحاضرات والندوات التي يتم عقدها في إطار الموسم الثقافي للمركز، وتتنوع موضوعات هذه المحاضرات والندوات تنوعًا كبيرًا، إذ يتم فيها استضافة علماء ومفكرين من العالم الإسلامي وبقية أرجاء العالم، من ذوي التخصصات المختلفة التي ترتبط بالقضايا المعاصرة التي تتناول اهتمامات المسلمين وشؤونهم الحياتية وواقع العالم اليوم، ويتم إتاحة المحاضرات والندوات للجمهور وأصحاب الاهتمام في المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول الإسلامية والعالم أجمع، عن طريق تسجيل هذه النشاطات بالصوت والصورة على أشرطة مسموعة (كاسيت) ومرئية (فيديو)، وطبعها في كتب، وتوفيرها للراغبين في ذلك.

ويقيم المركز سنويا معارض التراث والفن الإسلامي، بهدف الإسهام في الحفاظ على

هذا التراث وتقديمه - بمختلف أنواعه وفروعه - في صورة تحفظه من الإهمال والضياع باتباع أفضل السبل، وأوقعها تأثيرا في النفوس. ومن المعارض التي قام بتنظيمها المركز: معرض زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين، ومعرض وحدة الفن الإسلامي، ومعرض الخط العربي من خلال المخطوطات، ومعرض الأسلحة والسيوف والدروع.

ويصدر المركز كذلك كتبا مصورة عن هذه المعارض بالعربية والإنجليزية، إلى جانب الشرائح الملونة (السلايدات) لمحتوياتها.

- إبراز الجوانب القيادية والإنسانية لجلالة الملك فيصل رائد التضامن الإسلامي - يرحمه الله -، وذلك بتخصيص قاعة بالمركز لهذا الغرض.

وقد افتتحها نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني، وذلك في ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ (٩ مارس ١٩٨٦م).

وتحتوي القاعة على عدة أقسام عن: الحضارة الإسلامية والعالم الإسلامي، الجزيرة العربية وتاريخ آل سعود، نشأة الملك فيصل، توليه مهام رجل الدولة، دوره في قضايا فلسطين والتضامن الإسلامي والعلاقات الخارجية للمملكة العربية السعودية، اهتمامه بالمشروعات الإسلامية في العالم، الإنجازات الداخلية في عهده، حياته الخاصة، حياة الصحراء وهواية القنص، اهتمامه بالتراث.

وتوجد بالقاعة صالة عرض تتسع لـ ٣٠ شخصا، وركن لعرض بعض المؤلفات عن الملك فيصل، ونهاية طرفية لقاعدة معلومات لما كتب عنه - يرحمه الله -.

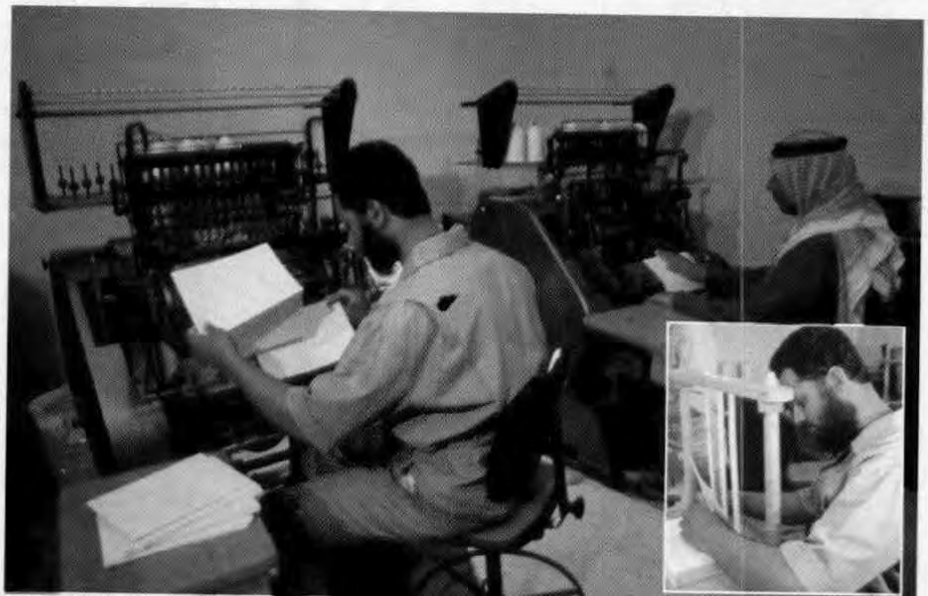
وقد استفاد عدد من الباحثين من الوثائق التي تضمها القاعة بوصفها مراجع اعتمدوا عليها في إعداد بحوثهم التي تتناول السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية أو تاريخها في تلك الفترة.

مكتبة الأطفال

انطلاقا من ضرورة العناية بالأطفال وتنشئتهم على أسس إسلامية، وربطهم بعقيدة الأمة وتراثها، وإعدادهم - وفق أحدث أساليب التربية، بما يؤهلهم للتفاعل الحيوي مع واقعهم، فقد أسس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مكتبة حديثة ومجهزة بأحدث الوسائل والكتب الخاصة بالأطفال.

ويرمي المركز من إنشاء هذه المكتبة إلى تنمية المواهب والقدرات لدى الأطفال، وغرس حب القراءة والمطالعة في نفوسهم بما يساعدهم على بناء الشخصية المستقلة.

وقد بدأ نشاط المكتبة في ١١ صفر ١٤٠٧هـ، وخصصت للأطفال الذين تتراوح أعمارهم مابين ٥-١٢ سنة، وتتسع لـ ٤٢ طفلاً في وقت واحد، ومجهزة بأثاث خاص بالأطفال، إضافة إلى أجهزة سمعية وبصرية، وأجهزة كمبيوتر تقدم برامج



قسم التجليد بالمركز يضم أجهزة يدوية وأخرى آلية



مكتبة الأطفال بالمركز تضم أحدث الأجهزة

خاصة بالأطفال.

وتضم كتبا ومجلات وصوراً ومجسمات وأدوات للخط والرسم والتلوين.

ويبلغ عدد الكتب الخاصة بالأطفال ١٨٣٠٠ كتاب تقريبا، ومجموعة من الدوريات المختارة من مجلات الأطفال يبلغ عددها ٤٢ دورية ، وأكثر من ٢٥٠ مادة سمعية وبصرية، وتقدم المكتبة للأطفال حكاية أسبوعية، بالإضافة إلى القصص العربية الإسلامية التي تقدم للطلاب، وتستقبل زيارات منتظمة من تلاميذ المدارس والمؤسسات الاجتماعية خلال الفترة الصباحية على مدار الأسبوع.

ويبلغ المعدل السنوي لعدد رواد المكتبة من الأطفال ١٥٢٠٠ طفل تقريبا.

الخدمات الفنية

تضم إدارة الخدمات الفنية في المركز عدداً من الأقسام المتخصصة التي تعد نشاطاتها مكملة لأعمال المركز ونشاطاته. وهذه الأقسام هي:

- قسم ترميم المخطوطات: ويقوم بمهمة تعقيم المخطوطات وترميمها. ويمثل هذا القسم الجانب المادي في عناية المركز بالمخطوطات، في حين يتمثل الجانب الفكري في فهرسة المخطوطات وتحقيقها ونشرها وإتاحتها للباحثين.

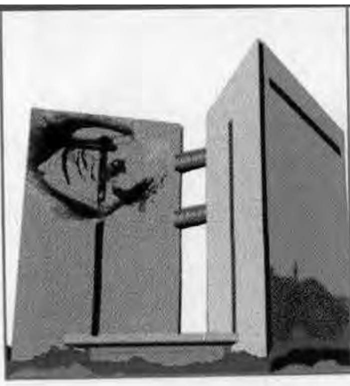
- قسم الوسائل السمعية والبصرية: ويقوم بتسجيل نشاطات المركز في قاعة المحاضرات وحلقات البحث في المركز تسجيلاً مسموعًا ومرئيًا، كما يعني بإنتاج المواد السمعية والبصرية المطلوبة للحفظ في المكتبة السمعية والبصرية التابعة للمركز.

ويشتمل على أحدث المعدات والوسائل اللازمة لتسجيل المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية. وهو مزود باستديو للصوت وأجهزة مونتاج واستنساخ ومعدات التصوير والتسجيل الصوتي، إلى جانب وحدة مصغرة للصيانة.

- قسم المصغرات الفلمية (الميكروفيلم والميكروفيش): ويقوم بتصوير المخطوطات والمقالات والكتب إلى جانب تحميض المصغرات الفلمية واستنساخها وطبعها. وهو مزود بأحدث الأجهزة. وقد استضاف المركز دورة في مجال التوثيق الميكروفيلمي على مستوى العالم العربي، مما يعكس ما في هذا القسم من إمكانات فنية متطورة.

الطباعة والتجليد: ويشمل قسم التجليد جميع أنواع التجليد للكتب والدوريات والمخطوطات الأصلية والمصورة، وفهارس المخطوطات، والنشرات والبحوث والمحاضرات، والسجلات الدورية.

وتضم المطبعة أجهزة حديثة، تتيح لها طباعة إصدارات المركز المختلفة من الكتب والنشرات.





من أهداف المكتبة صقل الهواية وتنمية مواهب الأطفال

ومن الكتب التي قام المركز بنشرها:

«كتاب الأموال لحميد بن زنجوية»، تحقيق شاكر ذيب فياض، «المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية» عبدالله عبدالرحمن صالح، «إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين» عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني، «نور العيون وجامع الفنون» تحقيق محمد ظافر الوفائي ومحمد قلعجي، «دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة» أحمد محمد جلي، «الوقف وبنية المكتبة العربية: استيطان للموروث الثقافي» يحيى محمود ساعاتي، «النظريات الخلقية عند ابن تيمية» محمد عبدالله عفيفي، «دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية» د. زيد الحسين، «أدب الطبيب، الزهاوي: إسحاق بن علي» تحقيق: مريزن سعيد مريزن عسيري، «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية: دراسة تحليلية» د. مهدي رزق الله أحمد، «منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة» أحمد بن عبداللطيف العبداللطيف، «الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس» سعد عبدالله البشري، «كتاب كشف الدين في أحوال العين لابن الأكفاني» تحقيق: محمد ظافر الوفائي ود. محمد رواس قلعه جي، «الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب» د. علي بن إبراهيم النملة.



الحاسوب في مركز الملك فيصل

اعـتـمد المركـز منذ انشائه وبدء تشغيله على الحاسوب في مختلف أعمـاله ونشاطاته وخدمة الباحثين، فقد أنشئ قسم خـاص به يقـوم بمسـؤوليـات الإعـداد وتحليل الـنظم والبرمجـة وتحديثها، وإدخال البيانات وتطوير العمليات. وهناك أكثر من عشرين جهة علمية وتعليـمـيـة ورسـمـيـة داخل المملكة العـربيـة السعوديـة وخارجـهـا تتعـاون مع المركـز في مجال الحاسوب والاستشارات الفنية.

وقد أتيح مؤخـرًا الاشتراك عن طريق شبكة «الوسيط»، وهـي خدمة جـديدة يتيـحهـا الهاتف السعودي في مجال نقل المعلومات عبر الهاتف.

مدارس الملك فيصل النموذجية

تمثل إقـامة المشروعات العلمـية والتـعليـمـية الرامـية إلـى رفع مستـوى الفرد وزيـادة كفـاءته هدفًا رئيسًا لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، وتحقيقًا لهذا الهـدف، ومواكبـة للنهضة الـتعليـمـية التي تعيشـهـا المملكة العربية السعودية في عـهد خادم الحـرمين الشـريفين الملك فـهد بـن عبـدالعـزيز - حفظـه الله - فقـد قامت المؤسـسة بإنشـاء صرح تعليـمي باسم مدارس الملك فـيصل الـنموذجـية للبنين، وقد افتتح القسم الابتدائي بصفوفه الستة مع ابتـداء العـام الدراسي ١٤١٢هـ، في حين بدأت الدراسـة في المرحلتين المتـوسطة والثـانوية في العام الدراسي ١٤١٣هـ.

وتقع المدارس في وسـط حي السـفـارات بمدينة الرياض، وتبلغ مساحتها مئتي ألف متر مربع، وتحتوي على أربعة عشر مبنى تعليميًا، وعلى صـالتي ألعاب، ومـسبحـين، وملاعب مكشوفة، ومواقف للسيارات، وحدائق.

وجـاء فـي مـشـروع إنشـاء المدارس أنـهـا مدارس أهلية غير تجارية ترمي إلى بناء شخصية الطالب بناءً متميزًا يؤهله لممارسة دور قيادي في مـجـتـمعـه، ويمكّن فيـه الولاء لدينه وعـقيـدته، ويصنع منه باحثًا دائمًا عن المعرفة والحقيقة.

المناهج والبرامج التعليمية

تلتزم مدارس الملك فيصل النموذجية منهج وزارة المعارف المعتـمـد، إلا أنها تقدم لـطلابها برامج إضـافـيـة في اللغـة الإنجليـزية وعلوم الحـاسب الآلي والتـقنيـة والعلوم والرياضـيـات والتوعية البيئيـة. كما يمارس الطلاب نشاطات غيـر صفيـة ترمي إلى تنميـة ميولهم ومـواهبهم وصحتهم العقلية والنفسية والبدنية.

وتطبق المـدارس نظام اليـوم الـكامل (من الساعـة السابعـة صبـاحًا وحتى الخامسـة بعد العصر)،

وللمـــدارس إصـــدار شـهـــري بعـنوان (الآفـاق) يقـوم بمتـابعـة نشـاطات المدارس، ويشارك في تحريرها الطلاب.

منح للمتفوقين

يبلغ عـدد طـلاب المدارس ٧٧١ طالبًـا، يتلقى ٢٠٪ مـنهم منحًـا دراسيـة تـقـدمـهـا مؤسسة الملك فيصل الخيرية للطلاب المتفوقين الذين لايقدرون على سداد الرسوم الدراسية.

ويتم قـبول المتقـدمين للالتحـاق بالمدارس بعد اجـتيازهم اختبـار قبول خاص يتـم عقده عدة مرات في السنة.

المعلمون

تتنوع جنسيـات المعلمين في مدارس الملك فيصل الخيرية تنوعًا كـبيرًا، ويتم اختيارهم وفق معـاييـر دقيـقة تراعي الكفـاءة العلميـة والخبـرة العـملية وتصل نسبة المـعلمين الذين يتحـدثون اللغة الإنجليزية باعتـبارها لغتهم الأم إلى ٢٥٪، ويقومون بتدريسها للطلبة بوصفها لغة ثانية.

العلاقة بين البيت والمدرسة

أنشـأت مـدارس الملك فـيـصـل الخـيـرية جـمـعـيـة للأمـهـات وجـمـعـيـة عـمـومـيـة للآباء ومـجلسًـا مشـتـركًـا للآباء والمعلمين بهـدف تحقيق التعـاون بين البيت والمدرسـة بما يحقق صـالح الطلاب من خـلال المتابعـة المستـمـرة لمستويات تحصيل الطالب وسلوكياته.



الترفية وتنمية المهارات من الجوانب التي توليها مدارس الملك فيصل اهتمامها

لقاءان علميان للمؤسسة في لندن والقاهرة



أقامت مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالتعاون مع الأزهر الشريف ملتقى علميًا بعنوان «الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد» جمع العلماء والمفكرين الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية في مجالات خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والأدب العربي منذ إنشائها عام ١٣٩٩هـ وحتى العام الماضي، وذلك في القاهرة في يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٤١٥هـ.

ورمى الملتقى العلمي إلى إضفاء المزيد من الأضواء على الجائزة، وتوضيح أهدافها النبيلة، وقد كان نجاح اللقاء العلمي الذي عقد في لندن في العام ١٩٩٢م وشارك فيه الفائزون بالجائزة في الطب والعلوم دافعًا لعقد لقاء مماثل في القاهرة.

وسوغ صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل سبب اختيار القاهرة مكانا لعقد هذا اللقاء العلمي بأنها من أكبر عواصم الثقافة العربية والإسلامية، إضافة إلى مشاركة الأزهر الشريف وتعاونه مشكورًا في تنظيم هذا اللقاء، وكذلك لتزامن موعد انعقادها مع فعاليات معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي يحضره عدد كبير من المفكرين والمثقفين العرب، مما يتيح لهم فرص المشاركة في اللقاء العلمي للمؤسسة.

وقد تضمن هذا اللقاء عددًا من الندوات التي شارك فيها الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية بمحاضرات قيمة في مجالاتهم المختلفة، وتعميمًا للفائدة، وتوثيقًا لهذا الحدث الثقافي المهم فقد تم إلقاء أضواء على أهم جاء في هذه الندوات من دراسات وبحوث، إضافة إلى نشر ملخص لمحاضرات الملتقى العلمي في لندن التي تتصدرها كلمة المؤسسة حول مسوغات عقد هذا الملتقى.

الإسلام والثقافة العربية في العالم الجديد

«إنه ليسرني أن أنقل إليكم تحيات خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد بن عبدالعزيز، الرئيس الأعلى لمؤسسة الملك فيصل الخيرية. هذه المؤسسة الخيرية التي بدأت مسيرتها عام ١٣٩٦هـ، مستلهمة مبادئ الإسلام العظيمة التي تبناها الملك فيصل بن عبدالعزيز، وبذل قصارى جهده لتحقيقها، وهي مبادئ في طليعتها ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص في النفوس، وتطبيق شرع الله في الأمة، وعمل الخير لبني البشر، وإعمار الأرض لإسعادهم.

ولمؤسسة الملك فيصل الخيرية وجوه نشاط متعددة منها: الإنفاق الخيري العام، كبناء المساجد والمدارس وتوفير منح دراسية للمتفوقين لمواصلة دراساتهم العليا. ومنها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الذي يخدم بمكتبته وإمكاناته كثيرا من الدارسين والقراء، إعدادا للبحوث ونشرا لها، ومنها جائزة الملك فيصل العالمية، التي تجمع هذه الساعة الطيبة، احتفالا ببدء اللقاء العلمي للفائزين السابقين بها في مجالات خدمة الإسلام، والدراسات الإسلامية والأدب العربي.

وكانت هذه الجائزة قد تقررت في



كلمة صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز
مدير عام مؤسسة الملك فيصل الخيرية
ورئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية
في اللقاء العلمي بالقاهرة

المجالات الثلاثة المذكورة عام ١٣٩٧هـ، وبدئ بمنحها فيها بعد عامين من ذلك التاريخ، ثم أضيف إليها جائزتان في مجالي الطب والعلوم، فأصبحت تمنح في خمسة فروع، وهي بفروعها الخمسة تهدف إلى تقدير كل من عمل لخدمة الإسلام والمسلمين، فكرًا وعملاً، وأثرى لغة القرآن الكريم، دراسة وإبداعا وأسهم في تقدم البشرية سبقا علميا وريادة عملية.

لايسعني في ختام كلمتي هذه إلا أن أقدم شكري الجزيل لفخامة الرئيس محمد حسني مبارك على رعايته لهذا اللقاء، وفخامة الرئيس علي عزت بيجوفيتش لإجابته الدعوة رغم الظروف الصعبة، التي نرجو من الله العلي القدير أن تكون نهايتها نصرًا عزيزا لوطنه، قيادة وشعبا، كما أقدم خالص امتناني لسماحة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق على مساهمته الفعالة في تسهيل خطوات إقامة هذا اللقاء، وللأخوة العلماء الأفاضل الفائزين بالجائزة، وكل من لبى هذه الدعوة من الضيوف الكرام، سائلا الله الكريم أن يوفق الجميع لما فيه الخير والسداد».

نشاط المؤسسة يخلو من أي غرض دعائي وجائزة الملك فيصل تقدم لكل من يخدم البشرية

«الإسلام والعروبة يقفان الآن في مفترق الطرق اليوم. فقد اختلف العالم وتغير، وتغيرت المفاهيم جميعها عما كانت عليه. حتى الحروب اليوم أصبحت حروبا بالأسلحة، وحروبا اقتصادية وثقافية. فالعالم العربي والإسلامي يقف الآن أمام هجمة ثقافية وإعلامية، والسؤال المطروح الآن كيف نستطيع أن نتصدى لهذه الهجمة؟ وكيف نستطيع أن نختار موضع قدمنا؟ وهل نحن مستعدون؟ لهذا السبب اخترنا هذا الموضوع عنوانا للقاء العلمي.

لعلنا نتحول أو نقفز من موقف المتفرج إلى موقف الفاعل. نحن إلى الآن لم نكون لنا صورة، ولم نكون لنا منهجًا، ولم نكون لنا اتجاها في هذا العالم الجديد. كل مانفعله الآن في العالم العربي والإسلامي هذه النظرة إلى الأحداث، ومتابعتها والانبهاربالدول التي تسير هذه الأحداث، وبالرجال الذين يسيرون، أملنا في الإسلام والمسلمين أن تتحول من موقف الانبهار إلى موقف الفاعل».

«خدمة الثقافة هي منهج مؤسسة الملك فيصل الخيرية في خدمة الإسلام والمسلمين واخترنا هذا المنهج لأننا نفتقد أنه كلما أعددنا أمتنا إعدادًا ثقافيا متميزًا استطعنا أن نحتل مكانة مرموقة بين الأمم، وأن نستعيد مكانتنا القيادية الحضارية في هذا العالم».

«لكي نكون مثاليين يجب أن نتمثل مبادئ الإسلام الحقيقية، ذلك بأن ننبذ الخلافات بيننا وأن نتكاتف، وأن نتعاضد بوصفنا مسلمين. يجب أن نكون أشقاء لبعضنا بالعمل، وليس بالكلام أما أن نتشدق بأننا إخوان، وأننا أمة واحدة، وواقع الحال بيننا هو الحروب والقتال والهجمات الإعلامية، فإن هذا يعطى صورة سيئة لنا.

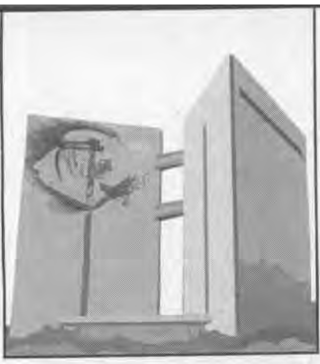
ولاشك أن مؤسسة الملك فيصل الخيرية من خلال موقفها الثقافي في خدمة الإسلام والمسلمين وعدم تحيزها ضد أي مجتمعات تعطي مثالا يجب أن يحتذي به. ففي الجائزة مثلاً تقدم جوائز في الأدب العرب وخدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والطب والعلوم.

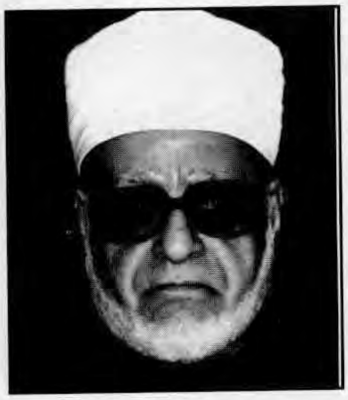
وهذه الجوائز لاتقتصر على المسلمين، ولاتقتصر على العرب، فنحن نقدم هذه الجوائز لكل من خدم البشرية، وقدم للعالم خدمة ثقافية سواء أكانت علمية أو أدبية في مجال اختصاصه. وهذه المؤسسة تعطي هذا التقدير لتتويج الأعمال التي قام بها هذا المبدع أو هذا المفكر أو هذا الكاتب في مجال عمله.

وأعتقد أن هذه المؤسسة ومثيلاتها من المؤسسات الثقافية تستطيع أن توضح الوجه المشرق للأمة العربية والإسلامية».

«لاأوافق على عدم وجود أمة إسلامية وعدم وجود أمة عربية. المحزن هو شعورنا بالإحباط، فإذا استسلمنا لهذا الإحباط سنكون فريسة سهلة للأمم جميعها.

موضوع الندوة يعالج هذه النقطة بالذات. وأنا من المتفائلين الذين يعتقدون





الجائزة تشجيع للعمل العلمي والجهد الشخصي

«أرحب بهذا الحفل الكريم في مصر..

في قاهرة الأزهر.. هذا الحفل الذي يحدثنا عن جائزة الملك فيصل التي قامت بها مؤسسة الملك فيصل الخيرية وأنشأتها تشجيعًا وإعلانًا لمهمة هذه الجائزة وفروعها. وهي خمسة فروع، كل فرع منها يحيي ويشجع عملاً علميًا وجهدًا شخصيًا. فجائزة خدمة الإسلام لها شروطها ولها دوافعها. تتابع الجهد الشخصي لكل من خدم الإسلام في مجال من مجالاته. وبحمد الله فاز بها الكثيرون الذين لهم نشاط بارز في مهامهم في سبيل خدمة الإسلام. ثم جائزة الدراسات الإسلامية التي كانت دافعًا عظيمًا للمبادرة من كثير من العلماء إلى النهوض والإقبال على الدراسات الإسلامية وتطبيقها بحيث تواجه نشاطات كثيرة في عصرنا الحاضر. ثم جائزة الأدب العربي، كذلك، التي برز فيها الكثيرون من رجال الأدب والعلم لفروع علوم اللغة العربية كافة. ثم جائزة الطب التي أعطيت لكثير ممن نبغوا في تفسير قول الله ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. وأبدعوا وبوبوا أو صوبوا، وداووا أمراضًا، واكتشفوا في الإنسان ماسيستمر معجزة للخالق سبحانه وتعالى الذي دعانا ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾. ثم العلوم، ونحن ندرك في عصرنا هذه القفزات السريعة في مجالات العلوم المختلفة، ولاشك أن جائزة لها هذا الحظ وهذا الفضل في منطقتنا وفي أمتنا الإسلامية، نحييها ونقدرها. ونرحب بهذه الندوة المباركة للحديث عنها وإعلاء شأنها».

كلمة سماحة شيخ الأزهر التي ألقاها ممثلاً لفخامة الرئيس حسني مبارك

اعتقادا تامًا أن ماكان صالحًا لسابق أمتنا، يكون صالحًا لنا اليوم.

لقد سدنا العالم فكريا وعلميا في يوم من الأيام، وأقبل الأوربيون للاستفادة من علومنا ودراسة مناهجنا، وأخذوا ماينفع منها، وبنوا عليه حضارتهم الحاضرة، فيجب أن نستفيد نحن من هذه العلوم وأن نبني عليها حضارتنا.

وكل ما علينا أن نعود لأصالتنا، وأن نعود لتاريخنا وأن نعود لروحنا الوثابة للكرامة والعزة».

«مما لاشك فيه أن جائزة الملك فيصل العالمية أحدث من جائزة نوبل في العمر، وجائزة نوبل تحيطها دعاية كبيرة، ونحن جميعًا نعلم لماذا هذه الدعاية.

أما جائزة الملك فيصل فتواجه بالتعتيم الكامل من الغرب والشرق على حد سواء، فأي عمل مشرف يواجه في العالم الغربي بالتعتيم وعدم المبالاة.

في حين أنه لو كان عملاً مشينًا من أي فرد من أفراد الأمة العربية والإسلامية في أي سوق خلفي في قرية من قرى العالم لوجدت كل صحف العالم ومحطات تلفازه تهرع لتغطية هذا الحدث وتصوره وتكتب عنه.

وهذا بالطبع يخضع لظروف سياسية معينة، وتكتلات سياسية لها مقاصدها ومصالحها. ولكن للأسف الشديد فإن جائزة الملك فيصل العالمية وأعمال مؤسسة الملك فيصل الخيرية ككل لاتجد الدعاية الكافية حتى في العالم العربي والإسلامي.

وأنا أتحدث إلى الإخوة من رجال الصحافة والإعلام، أسألكم عن شعوركم ورد فعلكم عندما يفوز أحد بجائزة نوبل، وجريكم كلكم لأخذ صورة ووصفها في الصفحة الأولى من صحفكم. أما عندما يفوز بجائزة الملك فيصل العالمية كبار أدبائكم وعلمائكم فإنهم لايحظون إلا بالصفحة الثالثة والرابعة والخامسة.

وقد كنا نعتقد أن العمل المثمر لابد أن يكون له رد فعل عند الناس بدون أن نركض وراء الصحافة والإعلام. ولكن ثبت خطأ هذا الاعتقاد، فإذا كنا نتحمل جزءًا من المسؤولية، فإن الجزء الأكبر يقع على الإعلام العربي والإسلامي».

«في بداية التفكير في إنشاء الجائزة تتويجا لأعمال كبيرة قام بها علماء لسنين عديدة، ومجهود حياة بأكمله ـ حياة علمية وثقافية ـ أم تكون مسابقة للشباب والإبداع، والشحذ الهمم للمستقبل؟

كان الرأي أن علماءنا الأفاضل ورواد العلم والمعرفة هم الأحق بالتكريم، وأن تكون الجائزة تتويجًا لأعمالهم.

فالجائزة يأخذها الأديب والمفكر والعالم في موضوع، ولكن هذا الموضوع ليس إلا جزء من أعمال كبيرة قام بها في حياته المديدة.

أما أن تكون هناك جائزة أخرى تشجيعية مثلا للشباب، فهذه فكرة جيدة، وأعتقد أنها تستحق أن تقدم لهيئة الجائزة فلا مانع من أن تدرس هيئة الجائزة هذا الاقتراح».

«كثير من العلماء والمفكرين الذين أخذوا جائزة الملك فيصل العالمية لم يكتبوا باللغة العربية، ولم تكن دراساتهم باللغة العربية، وأعطي المثال بفؤاد سزكين، هذا العالم التركي الذي عاش في ألمانيا، وكتب كتبًا كثيرة وكبيرة عن الأمة الإسلامية وكانت باللغة الألمانية، والذين أخذوا الجائزة في الطب والعلوم لم تكن دراساتهم وبحوثهم باللغة العربية، وإنما باللغات الأجنبية.

وهناك علماء ومفكرون نالوا الجائزة ممن لايتحدثون اللغة العربية بطلاقة مثل الجارودي وديدات.

علي عزت بيجوفيتش:
أسئلة في انتظار إجابات



تنتظرون مني اليوم أن أتحدث أمام هذا الجمع الكريم عن الثقافة العربية والإسلامية في العالم الجديد والحقبة الجديدة، إن علمي بهذه المواضيع ليس بالغزير فأنا متأكد بأن هنالك من بين المستمعين في هذه القاعة من يعتبرون أساتذتي في هذا المجال. ومع هذا فإنني سأدلي ببعض الأفكار عن هذا الموضوع.

أولا سألقي نظرة على البداية التي تعود إلى الماضي البعيد. لقد توفي النبي صلى الله عليه وسلم عام ٦٣٢م ولم يمض أكثر من مائة عام بعد وفاته حتى شملت قوة الإسلام الروحية والسياسية مساحات شاسعة، وذلك امتداداً من المحيط الأطلسي إلى نهر الأندوز والصين، ومن بحيرة الآرال إلى مساقط النيل.

إن هذا التوسع الفريد من نوعه الذي لم يسبق له مثيل أوجد مجالاً لتطور الحضارة الإسلامية في ثلاث حلقات حضارية: في إسبانيا والشرق الأوسط والهند مما غطى فترة ألف عام في التاريخ تقريبًا.

لقد كتب أحد المؤرخين عن جانب من الأوجه المتعددة للتاريخ العربي مبينًا مدى أهمية اكتشاف جزيرة العرب لنفسها. وفي القرن السابع وبموجب رأيه لم يكن لدى عرب ذلك الزمن أي شيء يقدمونه إلى البيئة المتفوقة عليهم ثقافيًا ماعدا الإيمان واللغة، ومع ذلك فقد تمكنوا من قهر تلك المساحة الشاسعة ليس عسكريا فحسب بل وثقافيا أيضا. وقد احتفظت العبقرية العربية بأصالتها وهي تمضي في طريق انتصاراتها على مناطق الثقافات القديمة لبلاد فارس والإغريق والرومان.

لقد أبدوا مقدرة فائقة على التكيف، كما أن الثقافة والحضارة العربية في العصور الوسطى وفي تلك المناطق الواسعة ذات (الاستراتيجية) المهمة قد عملت على ربط جميع ثقافات العالم

هذه من الرسائل الواضحة على عدم تحيز جائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية أو للعالم العربي، فنحن ننظر للإسلام بوصفنا مسلمين، وننظر إلى أننا جزء من هذا العالم الذي أصبح صغيراً. فما يسعد هذه البشرية، وما يعلي من تفوقها الحضاري في المجالات الثقافية والعلمية يكون له تأثير فينا نحن العرب والمسلمين، لذلك فنحن نعطي الجائزة لغير العرب والمسلمين»

«لايستطيع أي إنسان مهما حاول أن يفرق بين العروبة والإسلام. فكتاب المسلمين بلغة العرب، وهكذا أراد الله، وهكذا سوف يبقى إلى أن تقوم الساعة، فالعروبة والإسلام جزء واحد لايتجزأ، ولو حاول من حاول».

«جائزة الملك فيصل جزء واحد من نشاط مؤسسة الملك فيصل الخيرية، فهناك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، هناك برنامج الهبات والمنح والمساعدات.

بالنسبة لبرنامج المنح الدراسية، فالمؤسسة تبعث أربعين طالبا من أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة من الدول الفقيرة، وتدرسهم في أكبر جامعات أوربا وأمريكا، وشرطها الوحيد أن يوقعوا ورقة بضرورة العودة إلى بلادهم بعد انتهاء الدراسة.

وهناك ـ أيضا ـ مدارس الملك فيصل.

كل هذه النشاطات تقوم بها مؤسسة الملك فيصل الخيرية ثمرتها ليست في داخل المملكة وإنما في خارج المملكة أيضا.

برنامج الهبات والمساعدات يقوم بإنشاء المستوصفات والمدارس والمراكز العلمية في كل انحاء العالم في آسيا وأفريقيا، وحتى في أوربا.

ونحن دائما نفضل البلدان العربية والإسلامية لإقامة مثل هذه المنشآت.

نشاط مؤسسة الملك فيصل الخيرية كبير جدا، ولكنه غير معلوم نشاط المؤسسات الأخرى يكون لقصد سياسي أو الدعاية والإعلام.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية نشاطها خيري، نرجو منه وجه الله سبحانه وتعالى، وأن تكون صدقة جارية لشهيد الإسلام والعروبة الملك فيصل ـ رحمه الله».

«قامت المؤسسة أساسًا بتمويل من ورثة الملك فيصل ـ رحمه الله ـ، ودفعوا أموالاً كثيرة، وتنازلوا عن تركة الملك فيصل لهذه المناسبة. وكانت تركة الملك فيصل منازله التي كان يسكن فيها في المملكة العربية السعودية، وفي مدن الرياض وجدة والطائف ومكة.

فاستبقوا منزله في الرياض مقرًا لعائلته، وباعوا المنازل الأخرى.

نظام المؤسسة يسمح بقبول الهبات والتبرعات، وكان للملك خالد ـ رحمه الله ـ والملك فهد ـ أيده الله ـ السبق في التبرع بمبالغ كبيرة في بداية إنشاء المؤسسة، كما تبرع أبناء الملك عبدالعزيز، ومعظم الأخوة في المملكة تبرعوا مشكورين لهذه المؤسسة، الذي اتفق عليه أبناء الملك فيصل هو ألا يمس رأس المال، لذلك أنشئت إدارة لهذه المؤسسة، تشرفت بإدارتها بتكليف من إخواني. ويتم استثمار رأس المال، ومن ريع هذا الاستثمار يصرف على الأعمال الخيرية للمؤسسة. ويسعدني أن أوضح أن الاستثمار موفق، وأن العائدات تتزايد. وأن ميزانية المؤسسة هذا العام أكثر من خمسين مليون ريال. ونطمح في السنوات القليلة القادمة أن تكون ميزانيتها في حدود مائة مليون ريال، حتى نصرفها على أعمال الخير».

من إجابات الأمير خالد الفيصل
في المؤتمر الصحفي للقاء العلمي بالقاهرة

وحضاراته في ذلك الوقت، هكذا كانت مواجهة العرب (والمسلمين) مع التقاليد الثقافية للحقبة القديمة. وهذا مايثير سؤالاً: لماذا لايتفاعلون اليوم بالطريقة نفسها لدى مواجهة الحضارة الأوربية - الأمريكية - الغربية؟ لماذا كما يقول هيجل - تراجع المسلمون بعد عشرة قرون من سيطرتهم إلى (السلام والحلم الشرفيين)؟

سأحاول أن أفسر هذه الظاهرة الشاذة وأقدم أجوبة ممكنة عن هذا السؤال الذي يتسم بالتحدي. وأفضل أن أمضي في وصف ظاهرات الأحداث وتصنيفها، تاركًا الفرصة لكل واحد لكي يخلص إلى استنتاجاته على ضوئها، كما سأثير بعض الأسئلة الجديدة بدلاً من الإجابة عن هذا السؤال.

علينا جميعًا أن نواجه الحضارة الغربية. وهذه المواجهة حتمية، والمعضلة الوحيدة هي فيما إذا كنا في هذه المواجهة سنتخذ موقف الرفض أو القبول الكامل لشتى جوانب تلك الحضارة دونما أي اختيار. إن مأساة أو انتصار كثير من الأمم على امتداد التاريخ توقف على مدى استجابتها لهذا السؤال الحاسم.

من الواضح اعتماد العالم الإسلامي على تقنية الشمال المتطور، إذ يرتكز تطور كثير من البلدان الإسلامية على التقنية المستوردة، وهذا الاعتماد التقني سيتحول حتمًا إلى اعتماد سياسي.

وحسب معايير اليونسكو وإحصاءاتها ينبغي أن يكون لدى الدول النامية ألف وأربعمائة عالم ومهندس على الأقل لكل مليون من السكان، بينما نجد أن قلة من البلدان الإسلامية تلبي الحد الأدنى لهذه المعايير، في حين أن الغالبية منها تحت هذا المستوى بكثير.

ومن بين ثلاثة ملايين عالم يعملون في حقل البحوث والتطوير في العالم، فإن نسبة ٩٥٪ منهم يعملون في اليابان وروسيا وأوربا وأمريكا الشمالية، في الوقت الذي يعمل نسبة ٥٪ فقط في بقية أنحاء العالم بما فيهم البلدا الإسلامية.

تخصص بلدان الشمال المتطورة مبلغ ١٤٧ دولارًا أمريكيا عن كل فرد لأغراض البحوث والتطوير، بينما يقل المعدل في البلدان الأخرى عشر مرات. إن خطة عمل فيينا لتطبيق العلم والتنمية تتطلب من البلدان النامية (وأغلبها بلدان إسلامية) أن تخصص نسبة ١٪ من مجمل دخلها القومي للبحوث في مجال العلوم والتقنية. إلا أن تلك النسبة لم تصل في العام الماضي إلى نصف تلك النسبة المقررة.

فالعالم الإسلامي بدلاً من أن يكون منتجًا فعالاً أصبح مستهلكًا سلبيًا للمعرفة والتقنية. وقد ترتب على ذلك استمرار هجرة العلماء المسلمين إلى البلدان المتطورة مما جعل الفجوة أكثر اتساعًا.

ويتناقض هذا الموقف تماما مع حقيقة كون العالم الإسلامي يشغل الموقع الجغرافي المتميز، ويمتلك القدرات البشرية والمادية الكامنة الهائلة، كما يوجد في متناوله نسبة ٥٠٪ من المخزون البترولي في العالم، ونسبة ٤٠٪ من المواد الخام، ونسبة ٢٠٪ من عدد سكان العالم، ونسبة ٢٠٪ من كامل مساحة هذا الكوكب.

وبالإضافة لذلك فإن الشعوب الإسلامية تعيش في مناطق جلها تتميز بالأهمية التاريخية؛ فهي مناطق سكنى سوريا، وبابل، ومصر، وفينيقيا، والامبراطورية الرومانية الشرقية، وبجانب ذلك فإن الشعوب الإسلامية متمثلة بأعداد متساوية تقريبا من الأجناس البيضاء والسوداء والصفراء ومن المجموعات اللغوية، والإسلام هو دين مرتبط بالطبيعة، والقرآن كتاب مقدس يزكي روح الملاحظة. بودي أن أستذكر هذه الإشارات من القرآن وهي: انظر، لاحظ، سافر مما يعتبر شيئًا غير اعتيادي إلى حد ما بالنسبة



للنصوص الدينية.

لاتكمن قوة الغرب بشكل رئيس في قوة جيوشها واقتصادها، فهذا خارج مظاهر الأشياء، إنما يكمن في صلب هذه القوة الأسلوب التجريبي للتفكير الذي ارتقى بالحضارة الغربية منذ عهد بيكون، وملاحظة الطبيعة، والناس والمجتمع والتعليم الأساسي الذي يتوفر لأطفال العالم الغربي. ولاتوجد قوة خارجية دونما هذا التغيير في الموقف الروحي.

لقد ذكرت الفجوة التي انتشرت بسبب نزف العلماء المسلمين نحو الغرب. بل وهنالك فجوة أخرى أكثر خطورة داخل المجتمع الإسلامي، وهي الفجوة بين عامة الناس والنخبة المختارة، فعامة الناس في معظمهم غير متعلمين، وأما النخبة المفكرة فمعظمهم ذوو تعليم خاطئ.

فبدلاً من تشغيل المدارس وجلب المدرسين والأساتذة فقد أرسلنا أطفالنا إلى العالم الخارجي وهم - غالبا - يعودون من تلك البلدان بمشاعر نقص عميق تجاه التفوق الغربي موازنة بالبيئة الفقيرة المتأخرة التي نشأوا فيها أصلاً. ففي غياب التربية الدينية والقيم الروحية، يبدأ هؤلاء في الاعتقاد بأنهم سيتقدمون بوطنهم بين عشية وضحاها عن طريق عزل القيم الدينية وإدخال قيم جديدة.

وعلى أي حال، فأوربا هي البلد التي يقدسونها بشكل يتعدى الحدود، وكثيرون منهم لايميزون بين ماهو خير وماهو شر في الغرب. ولم يعرفوا أنه كان ينبغي عليهم أن يرتضوا الأسلوب الذي يعمل به الغرب وليس الأسلوب الذي يعيش به، واستخدام هذا المعيارالمعكوس للقيم - حتما - يقودهم إلى حياة مأساوية .

وإذا أخذنا هذه الحقائق في الحسبان، فيؤسفنا القول جازمين إن النظام المدرسي في العالم الإسلامي هذه الأيام هو النمط الذي يجب أن يحظى بأكثر التغييرات العاجلة والجذرية، سواء من ناحية الكم أو من ناحية والكيف. فمن ناحية الكيف، حتى يتم تحرير النظام المدرسي من الاعتماد الروحي والمادي على الأجانب، وكما للتخلص من النقص المزمن في هذا المجال علينا أن نعمل لإيجاد ظروف مواتية تشمل جميع الأجيال مستقبلاً في النظام المدرسي. وبجانب الدين، فإن التعليم هو العامل الحاسم الثاني لتخليص العالم الإسلامي من عقدة النقص التي يعاني منها حاليًا. وكما يبدو للوهلة الأولى. فإن الإسلام - وبدون تحيز - بدأ بجمع المعارف كافة التي خلفتها الحضارات القديمة. إننا لانعرف لماذا ينبغي على إسلام الوقت الراهن أن يكون مختلفًا في علاقاته نحو تقاليد الحضارة الأوربية الأمريكية التي يقف على تخومها كل هذا الزمن الطويل. وهكذا فالسؤال هو ليس فيما إذا كنا سنقبل أو نرفض العلم والتقنية - طالما أنه يتوجب علينا قبولهما - إذا ما أردنا الاستمرار في العيش، إنما السؤال هو كيف نقوم بذلك بكرامة أو بشعور بعقدة النقص؟ أو فيما إذا كنا سنفقد هويتنا في هذا التطور الحتمي أو نحافظ على تقاليدنا وثقافتنا وقيمنا؟

وأخيرا فالأسئلة التي غالبًا ماتؤرقني هي:

السؤال الأول: إن عالمنا الإسلامي لايتقيد بدقة الوقت والمواعيد، وكأنه لايمتلك تقويمًا أو ساعة. فكيف حصل ذلك، في عالم ترتبط صلواته ارتباطًا وثيقًا بالزمن، وتؤدى بالساعات والدقائق؟

السؤال الثاني: مدننا تنقصها النظافة، فكيف يحدث ذلك في عالم تعتبر الأمور الصحية والنظافة جزءًا متممًا لديننا وجزءًا عضويًا لاينفصل عن الصلوات؟

السؤال الثالث: إن روحنا خامدة تسبح في عالم الصوفية والغموض، بل وتنحو تجا المعتقدات الخرافية غير العقلانية. فما التفسير لذلك بالرغم من تواجد روح الملاحظة في القرآن وانتحائها نحو الطبيعة والعالم الخارجي؟

وأخيرًا السؤال الرابع: من أين وردت إلينا خاصية تقديس الفرد في عالم العقيدة الذي يشهد بثبات أن لا إله إلا الله وبأن الله هو وحده العظيم والمعصوم وبأن البشر بغض النظر عن أصولهم أو مركزهم الاجتماعي ليسوا أبدًا كذلك؟

هذه هي الأسئلة الأربعة؟

فمن يكون بوسعه تقديم أجوبة صحيحة سليمة لها. سيكون جديرًا بجائزة الملك فيصل التالية.

الشيخ محمد الغزالي:

الإسلام والثقافة العربية فى عالمنا الجديد



يعرب فضيلة الشيخ محمد الغزالي عن شعوره بالأسى لواقع الأمة الإسلامية، وبقائها في أدنى الأمم مرتبة، على الرغم من مواريث الوحي التي تحملها هذه الأمة، ومقومات الثقافة الإسلامية التي ترتكز على العلم الذي يثير العقول، ويمكن من أسباب التقدم، ويشير فضيلته إلى اشتغال بعض المسلمين بعلوم تائهة وسط أفكار وفلسفات سقيمة لاتدري شيئا عن علل الأمة، وتطرق إلى قضية الخلاف بين أهل الرأى وأهل الأثر، وأكد أن ذلك ينبغي ألا يفسد ودًا أو يوقع خصامًا مادام الأساس الذي نحرص عليه هو العقيدة والأخلاق، ودعا إلى «فضل الاشتباك» بين المدارس العلمية المختلفة في الفكر الإسلامي، وتنشئة أجيال أزكى نفوسًا من المسلمين المعاصرين وتناول الميادين الفسيحة التي يستطيع الفقه الإسلامي أن يقول كلمته فيها. وفيما يلي فقرات من الدراسة التي قدمها فضيلة الشيخ الغزالي في اللقاء:

إن الدولة الإسلامية الأولى تكونت في زمن خارق للعادات في قصره، وأقامت عقيدة لاتزيدها الأيام إلا قدرة على البقاء ومقاومة الأحداث. ويرجع ذلك فيما أرى إلى أمرين:

الأول: حاجة العالم إلى تعاليم الإسلام، واقتناعه بها، ورضاه عنها عندما بلغته، حتى إن أبناء البلاد المفتوحة سابقوا العرب إلى فقه الإسلام ونشره، وصاروا أئمة للأمصار الكبرى تثق الجماهير بهم وتصدر عنهم.

الثاني: أن أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، قدموا الرسالة للناس علمًا ذكيًا وثقافة أصيلة.

إن الإسلام علم واسع الدوائر، وقرآنه الكريم كون مسطور يضارع الكون المنظور في تفتيق العقول وتجلية الفطرة. ولولا مافي آيات القرآن من هدى ونور ما قامت أزهى حضارة في التاريخ! إنني أرمق الأوج الذي ينقل القرآن الناس إليه في كل مجال فأردد قوله تعالى ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة، رسول من الله يتلو صحفا مطهرة، فيها كتب قيمة﴾ (البينة: ١-٣)

ثم أشعر بالأسى للأمية الثقافية التي لفّت جماهيرنا في أكفانها. وجعلتهم في هذا العصر آخر الأمم، وأنزلها رتبة.

نعم هناك أشرطة حية تحفظ القرآن حرفًا حرفًا ولاتعي منه مايرفع رأسا، وهناك عشرات

الدول تنتمي إلى الإسلام تذكرنا بتغلب وحمير وطسم وجديس.

ماذا حدث؟ إن الإسلام الذي سُمِّي في وحي الله علما أمسى أهله سواد الأميين في العالم.

لقد بدأت بذكر المعرفة الكونية لأنها من شؤون الدنيا التي نستوي فيها مع غيرنا، والتي قيل لنا فيها أنتم أعلم بشؤون دنياكم! ابتدع ماشئت! واكتشف ما استطعت! لا قيد ولاخطر.

إن غيرنا سبق سبقًا بعيدًا وبرز في كل ميدان، وساند عقائده بما استطاع، فانطلق الباطل في ساحات الحياة مدرعًا بالحديد. والتقينا به، ونحن نحمل مواريث الوحي، وأيدينا عزلاء وأجسادنا عارية. فلما عدنا كانت هزائمنا مضاعفة لفراغ اليد والعقل والفؤاد!!

والألوف المؤلفة من مسلمي العالم يعيشون أتباعًا مغموصين لأنهم يشترون أجهزتهم المدنية والعسكرية من خصوم العقيدة وكارهي الوحي!! وينتظرون من الباعة أن يعلموهم ماذا يصنعون بهذه الأجهزة وكيف يستخدمونها؟

أما ثقافتنا الإسلامية التي استبحرت في القرون الأولى فقد رأيت تأليف كتاب فيها سميته تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل. والكتاب على وجازته يلقي ضوءًا على موضوعه قد يحتاج إلى زيادة!

إن عندنا مدرسة الفقه والتشريع، ومدرسة التربية والأخلاق، ومدرسة العقائد والمتكلمين، ومدرسة التفسير والحديث، وفنون الآداب من شعر ونثر.

وقد تعرضت هذه المدارس للمد والجزر، والغزارة والضحالة، ووضعها الآن يثير الدهشة، فالأدب مثلا كان في الجاهلية والإسلام شيئًا له وزن وقيمة. وقد ظل ينحدر حتى فقد وزنه، ثم فقد قيمته، ونحن الآن نقرأ شيئًا اسمه الشعر المنثور يمثل مرحلة من القول أدنى إلى المجون منها إلى الرشد، وفي تسميته أدبًا تجوُّزٌ كبير..!!

مع طول العمر وكثرة التجارب يستحكم العقل ونهتدي إلى الصواب، وإذا كان ذلك مأنوسًا في الأفراد فيجب أن يكون مألوفًا بين الجماعات والأمم!

ولست أتساءل الآن عن مدى اعتبارنا من سقوط الخلافة العباسية في بغداد أو سقوط الخلافة العثمانية في الآستانة، أو ضياع الإسلام كله في الأندلس ثم بدء الانسحاب من أقطار أوروبا الأخرى!!!. مع أن هذا التساؤل مطلوب وتجاهله جريمة.

إنما أتساءل عن المدارس العلمية المختلفة في الفكر الإسلامي، ماذا حدث لها؟ وأين حطَّت عصا الترحال؟

ولأبدأ بمدرسة التربية والأخلاق التي



اشتبكت في تاريخنا العلمي بنزعة التصوف وفلسفته.

يجب فض الاشتباك السيء في هذا المجال، وتنشئة أجيال أزكى نفوسًا من المسلمين المعاصرين، لاتفصل بين الإيمان والخلق، ولابين العبادة والخلق. إن الذي شاق الخوارج قديمًا وحديثًا ضعف أخلاقهم وهم يعاملون الناس، واستباحتهم المجنونة للدماء والأموال من أجل فكرة غلبت عليهم أو وجهة ساروا إليها.

إنهم لايتواضعون لله، ولايهضمون أنفسهم لأمر ذي بال!

ولأمر ماعلَّمنا نبينا أن أول ثلاثة تسعر بهم

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

العلامة أبو الأعلى المودودي	١٣٩٩هـ/١٩٧٩م	باكستاني
الشيخ أبو الحسن الندوي (بالاشتراك)	١٤٠٠هـ/١٩٨٠م	هندي
د. محمد ناصر (بالاشتراك)		أندونيسي
الملك خالد بن عبدالعزيز	١٤٠١هـ/١٩٨١م	سعودي
الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز	١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	سعودي
الشيخ حسنين محمد مخلوف (بالاشتراك)	١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	مصري
سمو الأمير تانكو عبدالرحمن (بالاشتراك)		ماليزي
خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	سعودي
الأستاذ عبد رب الرسول سياف	١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	أفغاني
الأستاذ أحمد حسين ديدات (بالاشتراك)	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	جنوب أفريقيا
د. رجاء جارودي (بالاشتراك)		فرنسي
الشيخ أبو بكر محمد جومي	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	نيجيري
د. أحمد دوموكاو ألونتو	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	فلبيني
فضيلة الشيخ محمد الغزالي السقا	١٤٠٩هـ/١٩٨٩م	مصري
فضيلة الشيخ علي الطنطاوي (بالاشتراك)	١٤١٠هـ/١٩٩٠م	سعودي
د. خورشيد أحمد (بالاشتراك)		باكستاني
د. عبدالله بن عمر بن محمد بن نصيف	١٤١١هـ/١٩٩١م	سعودي
د. حامد الغابد	١٤١٢هـ/١٩٩٢م	نيجيري
فخامة الرئيس علي عزت بيجوفيتش	١٤١٣هـ/١٩٩٣م	بوسني
الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	سعودي
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق	١٤١٥هـ/١٩٩٥م	مصري

النار هم المراؤون بالعلم والجهاد والصدقة.

إن المرائي يرى نفســـه ولايرى ربه، إنه مشغول بجاهه ومكانته قبل كل شيء!!

وإذا عجز الدين عن كبت الغرائز السوء ومحوها فإن تطبيقه في الحياة لن يكون إلا تنفيسًا عن هذه الغرائز ولو أخذ صورة العبادة!

والأجهزة الإدارية في العالم الإسلامي مصابة بمن يعبدون مناصبهم ويستغلونها لمصالحهم ولايعرفون أنها أمانات يُسألون عنها يوم الحساب.

أما الفقه الإداري والاقتصادي والسياسي فإن البحوث فيه قليلة، ولعل بعضها كان مقلقا!! وقد كتب تلميذا أبي حنيفة في هذه الشؤون - أبو يوسف ومحمد بن الحسن - ألّف الأول في الخراج أو الضرائب، وألّف الثاني في الشؤون الدولية.

والميدان فسيح ليقول الفقه الإسلامي كلمته في نظم الحكم، وقضايا المال، وأطوار أخرى جدت في أنواع المعاملات.

والطريقة التي درسنا بها الفقه في صبانا الباكر ونحن في المرحلة الابتدائية بالأزهر جديرة بالتنويه.

قد كنت حنفي المذهب كما أراد أبي، وكان زملائي بين شافعية ومالكية، أما الحنابلة فقليلون.

وكنا نتبادل الخلاف الفقهي ونحن نتضاحك! يقول المالكي: الشك ينقض الوضوء.

وأقول: لاينقضه.

أو يقول: المفطر ناسيًا يقضي يومه، وأقول: لايقضيه!

ويقول الشافعي: لمس المرأة ينقض الوضوء. وأقول: لاينقضه.

أو يقول: ينبغي رفع اليدين قبل الركوع وبعده، وأقول: لايرفع إلا عند تكبيرة الإحرام!

ومع هذا الاختلاف المتبادل كنا زملاء متحابين نؤلف المظاهرات ضد الاحتلال الإنجليزي ونتعاون في مصالح شتى.

ومافكرنا قط أن يكون هذا الاختلاف مثار خصام أو عدوان.

ويظهر أن بعض البيئات في العالم الإسلامي درست فقه الفروع على أسلوب آخر زرع الجفاء والفرقة بين المسلمين.

إن الخلاف واسع بين أهل الرأي وأهل الأثر في قضايا كثيرة، بعضها في العبادات وبعضها في المعاملات، لكن ماقيمة هذا الخلاف؟

إنه في بعض الفروع والتفاصيل ، ومايجوز أبدًا أن يفسد ودًا، أو يوقع خصامًا!

الأساس الذي نحرص عليه هو العقائد والأخلاق، إنني أميل إلى مدرسة الرأي مع احترامي لأحمد بن حنبل وتقديري لصلابته وتقواه.. وأشعر أحيانا بأن الخلاف - في الفروع والتفاصيل جزء من المجتمع الواحد. ففي الولايات المتحدة حزب للديمقراطيين وآخر للجمهوريين، إنهما متفقان في الولاء لدولتهم والانتصار لها عالميا، ومع ذلك فالجدال بينهما مستمر في شؤون شتى.

فلماذا يتطير البعض من الخلاف الفقهي عندنا وينادي بالويل والثبور وعظائم الأمور؟

لا الفقه المذهبي، ولا هوامش العقيدة، ولا الأخطاء السياسية الفاحشة، أفلحت في تقطيع الأمة الإسلامية وتمكين أعدائها منها حتى ظهرت بدعة القوميات في العصور الحديثة، وانتقلت جرثومتها إلى أرضنا. فإذا هي بلاء يهدد الحاضر والمستقبل. وكان ظهور «القومية الطورانية» في تركيا أو الغدر بأمتنا الكبيرة، أول زلزال يصدع بناء الخلافة المعتلة!

واليهود نقلوا هذه الجرثومة إلى تركيا انتقامًا من السلطان عبدالحميد الذي رفض باسم الإسلام أن يستوطنوا فلسطين. ومع أنهم أغروه بالمال - وكان إليه محتاجًا - فقد أبى.

ومع أن أوربا كانت تظاهرهم فقد شعر الرجل المؤمن بأن تسلل اليهود في فلسطين تمهيد لضرب الإسلام نفسه في أوطانه كلها.. فماذا يفعل اليهود؟

لجأوا إلى الغزو الثقافي، واستعانوا بقوى خفيّة وأخرى جليّة على إنشاء «جمعية الاتحاد والترقي» ونشروا مبادئها القومية بين ضباط الجيش. فقامت ثورة أوْدَتْ بالخليفة، وكان رد الفعل نشوء القومية العربية التي ظاهرت الحلفاء في الحرب العالمية الأولى حتى انتصروا وتمخضت هذه الفتن الهائلة عن سقوط الخلافة الإسلامية في العالم.

وتتابع الانهيار حتى قامت ثورات مشابهة للثورة الكمالية استغنت بالقومية عن العقيدة، وجعلت الإيمان - إلى حين - ضيفًا ثقيلاً ينتظر منه الرحيل!

إن جماهير المسلمين لاتتنازل عن دينها، ولاتعدل بجامعته شيئًا. والذي حدث أن الاستعمار العالمي أو مانزل ببلادنا ألغى الشريعة واستبدل أحكامه الوضعية بأحكامها السماوية! ثم وضع خططًا بعيدة المدى للإجهاز على بقايا الإسلام من أخلاق وعبادات وتقاليد. واستعان على بلوغ أغراضه بنفر من الطامعين والمنحلّين. وهو يتربص بنا الدوائر وينتظر مع مرور الزمن أن يمحوا الإسلام كله من على ظهر الأرض!

والحرب بيننا وبينه سجال وهي حرب رحبة الميادين، وأسلحتها لاحصر لها.. لقد استطاع أبو بكر أن يهزم أعداء الله في أول قتال مع المرتدين، فهل يستطيع رجالات الإسلام في القرن الخامس عشر للهجرة أن يستعيدوا شرائع الإسلام التي عطلت؟ وأن يمحوا العبادات المهددة بالزوال، وأن يستبقوا المعروف معروفًا والمنكر منكرًا؟ إذا انهزمنا في هذه المعركة فلن يبقى على ظهر الأرض مؤمن.

إن سقوط بغداد وقرطبة أقل في نظري من سقوط أحكام العبادات والمعاملات ورضا العامة والخاصة بتعطيل النصوص، وتحقير المثل الإسلامية أبشع في نظري من نهب خيراتنا وتحقير أوضاعنا.. ومن هنا فإن إحياء الثقافة الإسلامية الصحيحة، وتكوين جيش شجاع للمحافظة عليها في الداخل والحديث عنها في



الخارج أهم ألف مرة من تحقيق الاستقلال السياسي لبلد ما في إحدى القارات..

ماقيمة هذا الاستقلال إذ فقدنا علاقتنا بكتاب ربنا وسنة نبينا؟

مسالك أهل الكتاب من قبلنا كانت السبب الأول في المعركة بين العلم والدين. وقيام عصر الإحياء في أوربا بعيداً عن الوحي كله!! ويبدو أن القوم لم يتغيروا فقد وقعت أخيراً معركة في الكنيست الإسرائيلي بين وزير الخارجية وبعض الحاخامت. سببها أن الوزير قال: «ليس كل مافعله الملك داود جدير بالإعجاب!» يشير إلى ما نُسب إلى داود في العهد القديم من اقتراف جريمتي الزنا والقتل.

قالوا: زنى بزوجة «أوربا» الحثّي، ثم أوصى بقتله في الميدان حتى لايعود ويسترد المرأة من عشيقها الملك!!

لقد غضب الحاخام من هذا التعريض. وقالت إذاعة لندن إنهم سيحرجون الحكومة كلها في أول اجتماع..

ونترك بني إسرائيل لنرمق تاريخ الكنيسة القريب والمعاصر. لقد جاءت من أوربا إلى إفريقية لتبشر بالمسيح حامل الآلام عن هذا الورى - كما يقول شوقي - فماذا فعلت؟ تركت في وسط إفريقية عشرة ملايين إصابة بالإيدز، وهي تنشر الدين(!)

لقد حكمت بالموت على من قال" إن الأرض كرة تدور حول الشمس. أما اقتراف الخنا فحسب من فعله أن يعترف ويحيا آمنا(!)

إن تزوير الدين على هذا النحو أزرى به، وزهد فيه وأعطى العلماني ألف سبب ليحل محل الدين، ويبتعد عن الوحي كله.. ونحن دعاة المسلمين نلقى العنت حين نقدم القرآن للناس لأن سيرة المسلمين مع دينهم لاتشرف، ولأن المعجبين بالحضارة الحديثة يرونها أقرب إلى الفطرة والرشد.. ولابأس أن أحكي ماوقع لي أخيراً..

جاءتني رسالة من الأمين العام لمؤسسة كبرى تعمل على دعم الفضائل والقيم بين الناس، عقدت مؤتمرها الأول في شيكاغو، وتستعد لعقد مؤتمرها الثاني لمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس هيئة الأمم المتحدة، وقيل بعد اختياري عضواً: إن مؤسستنا عالمية تضم رجالاً من كل دين سماوي أو أرضي، بل تضم أعضاء لايؤمنون بأي دين. المهم أنهم يدعمون الأخلاق الفاضلة، ويحترمون المثل العليا التي يجب أن تحكم العالم.. وأنا رجل شرقي الأول والأخير أني أقول وراء محمد «إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له». أنا أشعر حين آكل بأن الله هو الذي وضع اللقمة في فمي وحين أفكر بأن الله هو الذي أسرج مصباح عقلي. إنه يستحيل أن أكفر أو أسوي بين مؤمن وكافر أو أشترك مع عابد عجل أو عابد نفسه وحدها في عمل ما لرفع مستوى البشر..!! شعرت بأن أهل الأديان تلاحقهم تهمة خطيرة، أنهم لايهتمون بتزكية الروح، وأنهم يدفعون المظالم عن أنفسهم، لكنهم لايدفعونها عن غيرهم! وأن طقوس العبادات أرجح لديهم من حقوق الإنسان. فكتبت رسالة مطولة أشرح فيها ديني. جاء فيها مايلي: شعرت بالرضا وأنا أقرأ عن إنشاء جهاز عالمي لدعم الأخلاق والتسامي بالبشر. وقلت: إن الفطرة الإنسانية لاتزال طيبة تعشق الكمال وتسعى إليه، وتقاوم الشعار المادي الذي يربط المرء بنفسه ومآربه وشهواته، ومعروف أن العالم تقاربت أقطاره واختصرت أبعاده، ونشأت فيه - لأول مرة من تاريخه المديد - هيئة لأممه كلها، أي أن أبناء آدم أمسوا أسرة تستطيع التقارب والتحاور ودراسة مايثور من مشكلات، والتعاون على حلها. لكنها ستعجز عن بلوغ أهدافها إلا في ظل الاكتمال الخلقي وكبت غرائز الأثرة والكبرياء. فهل نقصر في توفير الوسائل المنشودة لتحقيق مانصبوا إليه؟

إن نبيّ الإسلام يقول: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويقول لعلي بن أبي طالب: «ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة؟ أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»

ويقول لأصحابه: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟

قالوا: بلى! قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»!!

إننا نحن المسلمين يسعدنا تأليف هيئة أخلاقية تساند هيئة الأمم، وتسدد خطاها، وتحصنها من المحاباة والهوى..

لكنني - ولأكن صريحاً - شعرت بحرج شديد عندما علمت أن «البرلمان الأخلاقي» فتح الباب للمؤمن والكافر، للموحد والمشرك، لمن يعتقد خلود الروح ولمن يرى انتهاء الوجود بالموت قد تقول: هذه هي الدنيا وهؤلاء أبناؤها. وقد تكونت الأمم المتحدة من ملل متناقضة، وتجاوزت في مقاعدها لتدريس قضاياها المختلفة. وما تستطيع هيئة أخلاقية إلا أن تفعل ذلك! ولي على هذه الإجابة تعليق!

إن النظر إلى الإيمان بالله على أنه قضية ثانوية أو قضية لاصلة لها بالأخلاق أمر مستنكر عندنا نحن المسلمين، أو هو أمر يثير الاشمئزاز، لماذا يخلق الله ويُعبد غيره؟ ولماذا يعطي ويُشكر سواه؟ هل العقوق رذيلة إلا في معاملة الله؟!

لقد وهل الناس أن اختلاف الدين يبيح التظالم ويترك المجال رحبا للمشاعر المنحرفة والأهواء الجامحة، وهذا كذب على رب الدين وباعث المرسلين ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان..﴾. وأذكر ثلاثة أحاديث مروية عن محمد عليه الصلاة والسلام ترد هذه الفرية وتبرئ الإسلام من هذه التهمة.

الحديث الأول: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه».

الحديث الثاني: «دعوة المظلوم - وإن كان كافرًا - ليس دونها حجاب».

والحديث الثالث: «عن أبي ذرّ قلت: يارسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟

قال: كانت أمثالاً كلها: أيها الحاكم المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض، ولكني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم فإني لاأردها وإن كانت من كافر..»!!

ومن دواعي الدهشة أن يموت نبي الإسلام ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه لأهله!

ما أثر اختلاف الدين هنا؟

إن اليهودي التائه عاش قرير العين موفور الدم والعرض والمال في عاصمة الإسلام!

هل كانت غربته سببًا في أن يجور عليه أحد؟

لقد حصّن الحكم الإسلامي حقوقه، فعاش لايشكو شيئا، إننا نحترم الرأي والرأي الآخر. وإذا كنا - نحن المسلمين - نشكو شيئا فمواريث الضغائن التي نُعامل بها في ميادين شتى، ونرجو أن تزول مع استقرار حقوق الإنسان.

د. يوسف القرضاوي:

نحو فقه ميسر معاصر



«يتناول د. يوسف القرضاوي قضية تيسير الفقه وواجب أهل العلم من الأفراد والمجامع والهيئات والجامعات إزاءها ويوضح «إن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق مايريده الإسلام، وما يأمربه».، ويؤكد د. القرضاوي أن «التيسير ليس مجرد استجابة لضغط الواقع»، أو تناغمًا مع روح العصر كما قد يتصور البعض، إنما هو أمر مطلوب شرعا في ذاته، كما يؤكد أن التيسير لايعني أن نبتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وفي الوقت نفسه يشدد على ضرورة أن يكون الفقه مادة حية تتسع لكل حاجات العصر، وتغيرات الحياة المتجددة.

الفقه كما يعرّفه أهله هو: معرفة الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. فهو علم القانون الإسلامي، ولكنه ليس كعلم القانون الوضعي، بل هو أعمق وأشمل وأوسع دائرة.

علم الفقه هو: العلم الذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة بأحكام الشرع. سواء منها مايختص بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهوماينظمه فقه العبادات، أم مايتصل بالعلاقة بين المرء ونفسه، وهو ماينظمه فقه الحلال والحرام، وأدب السلوك الشخصي، أم مايتصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج ومايترتب عليه، أو ما يسمَّى (الأحوال الشخصية)، أم مايتعلق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنية بين الناس بعضهم وبعض، وهو مايسمَّى (المعاملات)، ويدخل في القانون تحت اسم (القانون المدني) أم مايتصل بالجرائم والعقوبات وهو مايسمى في الفقه (الحدود والقصاص والتعزير) ويدخل في القوانين تحت عنوان (التشريع الجنائي) أم مايختص بالصلة بين الدولة والشعب، أو بين الحاكم والمحكوم، وهو ما يسمَّى (السياسة الشرعية) ويسمَّى عند القانونيين (القانون الدستوري) أو (الإداري) وهناك أيضا الجهاد والسير وهو مايدخل تحت اسم (العلاقات الدولية).

إن الأمة الإسلامية ليست أمة سائبة، بل هي أمة ملتزمة بعقيدة وشريعة، وإن الفقه هو الذي يضبط الدورة الحضارية للأمة بأحكام الشرع، حتى يكون إيقاعها الحضاري وفق مايريده الإسلام، ومايأمر به، حتى تكون حركتها للإسلام وبالإسلام.

وليس الفقه - إذن - خاصا بالأحكام الفردية والأسرية، بل هو يشمل الحياة الاجتماعية والسياسية والدستورية والمالية والدولية، وسائر مجالات الحياة.

وقد اعتاد المسلمون في عصور التراجع والانحطاط والانحراف - وإلى اليوم - أن يسألوا الفقه في مسائل الحيض والنفاس والطهارة والصلاة والرضاع والطلاق ونحوها، ولايسألوا في الأمور الكبيرة التي تتعلق بمصير الأمة وكيانها ورسالتها، كما نرى ذلك في عصرنا.

لايسألون عن الظلم الاجتماعي: ظلم الأغنياء للفقراء، والأقوياء للضعفاء، وأرباب العمل للعمال، وأصحاب النفوذ للمستضعفين!

لايسألون عن التهاون في أرض الإسلام، والتنازل عنها لمن اغتصبها بالقوة، والاعتراف بأنه أصبح مالكها.

لايسألون عن السكوت على شعوب إسلامية تذبح وتباد على مرأى ومسمع من أمة الإسلام، ولاتجد من يشد أزرها في محنتها، ويعينها على عدوها.

ويوم سأل بعضهم الفقه الإسلامي في قضية حساسة هي حكم المرتد في شريعة الله وأجاب الفقه بصراحة على لسان فقهائه ودعاته، قامت الدنيا ولم تقعد!

شرعية التيسير

هذا الفقه الرحب المطلوب تيسيره للناس في عصرنا. وهو واجب على أهل العلم من الأفراد والمجامع والهيئات والجامعات.

وأود أن أقرر في بداية الأمر أن التيسير أمر مطلوب شرعا في ذاته. وليس مجرد استجابة لضغط الواقع، أو تناغما مع روح العصر، كما



قد يتصور بعض الناس.

فالشريعة الإسلامية مبناها على اليسر، لا على العسر، وتعليمها للناس مبني على التيسير لا على التعسير، والدعوة إليها قائمة على التبشير لا على التنفير.

أما ابتناء الشريعة على اليسر، فهو واضح غاية الوضوح، من آيات القرآن الكريم. فهو يقول في ختام آية الطهارة: ﴿مايريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾(المائدة:٦)

ويقول في ختام آية الصوم: ﴿يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر﴾(البقرة:١٨٥)

ويقول بعد الآيات المتعلقة بالمحرمات في النكاح، وما أحل الله بعد ذلك: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم. وخلق الإنسان ضعيفا﴾(النساء:٢٨).

ويقول بعد أن شرع العفو في القصاص بعوض أو بغير عوض: ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾(البقرة:١٧٨)

ويقصد بتيسير الفقه أمرين:

أولهما: تيسير فهمه للمسلم المعاصر المشغول بمتاعب الحياة، المزحوم بكثرة المعارف التي تخرجها المطابع كل يوم، بل كل لحظة، مما يعرف اليوم تحت عنوان (انفجار المعرفة) أو (ثورة المعلومات) ونحوهما.

وثانيهما: تيسير أحكامه نفسها، بالبعد عن التغليظ والتشديد، وترجيح التخفيف والتيسير. وليس معنى التيسير الإتيان بشرع جديد من عند أنفسنا، نسقط به عن الناس ما فرضه الله عليهم، أو نحل لهم ماحرم الله عليهم. أو نبتدع لهم في الدين ما لم يأذن به الله تعالى.

فهذا ليس من التيسير الذي نريده في شيء. بل هو تزييف وتحريف، لايقبله عالم مسلم يحترم دينه، ويحترم عقله.

وإذا كان التيسير مطلوبًا دائما، كما أمرنا

جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

الدراسات التي تناولت أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية	د. فؤاد سزكين	١٣٩٩هـ/١٩٧٩م	تركي
الدراسات التي تناولت السنة النبوية	د. محمد مصطفى الأعظمي	١٤٠٠هـ/١٩٨٠م	هندي
الدراسات التي تناولت أثر تطبيق الشريعة الإسلامية في إصلاح المجتمع	حجبت	١٤٠١هـ/١٩٨١م	—
الدراسات التي تناولت المشكلات الاقتصادية المعاصرة في ضوء الإسلام	د. محمد نجاة الله الصديقي	١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	هندي
الدراسات التي تناولت القرآن الكريم	الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة	١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	مصري
الدراسات التي تناولت النظريات العامة في الفقه الإسلامي	الأستاذ مصطفى الزرقاء	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	سوري
الدراسات التي تناولت العقيدة الإسلامية دراسة أو تحقيقًا	د. محمد رشاد سالم (بالاشتراك)	١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	سعودي
	د. فاروق أحمد الدسوقي (بالاشتراك)		مصري
	د. محمد سليمان (بالاشتراك)		مصري
الدراسات التي تناولت التاريخ الإسلامي	د. عبدالعزيز عبدالكريم الدوري	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	عراقي
الدراسات التي تناولت العلاقات الدولية في الإسلام بين المبادئ والتطبيق	حجبت	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	—
الدراسات التي تناولت التربية الإسلامية	الأستاذ محمد قطب شاذلي (بالاشتراك)	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	مصري
	د. مقداد يالجن (بالاشتراك)		تركي
الدراسات التي تناولت المدينة الإسلامية	د. صالح أحمد العلي	١٤٠٩هـ/١٩٨٩م	عراقي
المعاملات المالية في الشريعة الإسلامية	د. محمد عمر عبدالكريم شابرا (بالاشتراك)	١٤١٠هـ/١٩٩٠م	سعودي
	د. الصديق محمد الأمين الضرير (بالاشتراك)		سوداني
الدراسات التي تناولت انتشار الإسلام وحاضره في إحدى المناطق خارج العالم الإسلامي	حجبت	١٤١١هـ/١٩٩١م	—
الدراسات التي تناولت تأصيل مناهج البحث في الدراسات الإسلامية المعاصرة	حجبت	١٤١٢هـ/١٩٩٢م	—
الدراسات التي تناولت علم الاجتماع عند المسلمين، أو لما فيه من منظور إسلامي	د. حسن الساعاتي عبدالعزيز	١٤١٣هـ/١٩٩٣م	مصري
الدراسات التي عُنيت بالفقه الإسلامي، تأليفًا وتحليلاً أو تيسيرًا	الشيخ السيد سابق محمد التهامي (بالاشتراك)		مصري
	د. يوسف عبدالله القرضاوي (بالاشتراك)	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	قطري
الدراسات التي عُنيت بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم	حجبت	١٤١٥هـ/١٩٩٥م	—

رسـول الـله صلى الله عليــه وسلم فـهــو ألزم مـايطلب في عصـرنا هذا. نظرا لرقـة الدين في أنفس الكثـيرين، وغلـبة النزعـات المادية، وتأثر المسلمـين بغـيرهم مـن الأمم، نتـيجــة لشـدة الاتصال بين العالم بعضه وبعض، حتى قال من قـال: إن العـالم قـريتنا الـكبـرى! ولم يعـد في استطاعة أحـد أن يعـيش في عـزلة من غيـره، وأجـهـزة الإعـلام تقـتـحم عليـه داره، وتريه مايجـري في أقصى أطراف العالم، وخصـوصا اليوم بعد ماعرف باسم (البث المباشر).

وهذا مـاعبــر عنه علمـاؤنا فـي العـصـور المتأخرة بـ (تغير الزمان) أو (فساد الزمان).

والمنـهج الذي أراه ـ وهو مـنهــجـي الذي التزمت به في الفتـوى والتأليف والتدريس ـ هو التيسير في الفروع، والتشديد في الأصول.

فـإذا كـان هناك وجـهـتـا نظر، أو قـولان مـتكافـئان أو مـتقاربان في قـضـيـة، أحدهمـا أحـوط، والآخـر أيسـر، فإني أختـار للفـتـوى لجماهير الناس: الأيسر لا الأحوط.

والحجـة في هذا: ماقالته عـائشة رضي الله عنهـا: ﴿مـاخُيِّـر رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم، بين أمـرين إلا أخـذ أيسـرهمـا، مـا لم يكن إثما﴾.

ومن التيسير المطلوب: التضـييـق والتحري البـالغ في تكليف الناس بالأحكام وخـصـوصـا في مجـال الفرض والتحـريم، فلايجـوز التوسع في ذلك بأدنى دليل، بل لابد من نص صـحيح الثبـوت، صريح الدلالة، على فرضيـة الفرض، وحرمة الحرام، أو قياس واضح العلة على نص، فـانا نـقطع أن الشـريعــة العـادلة لاتـفـرق بين متماثلين. كما لاتسوي بين مختلفين.

وقد كـان السلف يتحرجون من التـحـريم ـ ومـثله الـفـرضـيـة ـ إلا أن يكون مـعــهـم دليل لاشبهة فيه، كما هو مذهب الحنفية، وإلا نزلوا من الـفـــرض إلى الواجب، ومـن الحــــرام إلى المكروه.

ولهذا كثر في كلامـهم مثل قول: يعجبني كذا وكـذا، أو استحب كذا وكـذا، ولايصرح بالوجوب إلا ما علم جزما بوجوبه. وفي جانب المنهـــيــات: أكـــره كـــذا، ولا أحب كــذا، ولايعجبني كذا، ولا يصـرحون بالتحريم، إلا ما علم جـزما بتـحريمه. ويدل لهـذا الاتجاه مـوقف الصـحابة من شـرب الخمـر، فقـد ظل بعضـهم يشـربهـا ويقول: اللهم بـين لنا في الخمـر بيـانا شافيـا، برغم نزول آية ﴿فيهما إثم كـبير ومنافع للناس﴾ (البـقرة:٢١٩) وآية ﴿لاتقربـوا الصلاة وأنتم سـكارى حـتى تـعلمــوا مــاتـقــولون﴾ (النسـاء:٤٣) حتى نزلت الآية الثـالثة، وفيـهـا (البـيـان الشـافي) الذي ارتقـبـوه ﴿إنما الخـمـر والميـسـر والأنصـاب والأزلام رجس من عـمل الـشــــيـطان فــــاجـــتنبـــــوه لعلكـم تفلحون﴾(المائدة:٩٠).

ويبــدو من التـأمل في القــرآن والسنة: أن الاسـلام كـان حـريصـا على تقليل الـتكاليف وتوسيـع (منطقة العـفـو) رحمـة بالمكلفين غيـر نسيان.

ففي القرآن الكريم جاء قـوله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنـوا لاتسـألـوا عن أشـيــاء أن تبــدلكم تسؤكـم، وإن تسـألوا عنها حين ينزل القـرآن تبد لكم، عــفـا الله عنهــا، والله غـفــور رحـيم﴾ (المائدة::١٠١)

ومن التيسيـر المنشود: الـتحرر من الالـتزام بمذهب واحد معين، يأخذ به في جميع الأبواب والمسائل، عبادات ومعاملات، وإن كان فيه من التـعسـيـر والتضـيـيق مافيـه، وكذلك إن ظهـر ضـعف دليله ومـسـتنـده الشـرعي، في مـقـابل المذاهب الأخرى.

فالمذهب الواحد قد يضيق في بعض المسائل والقضايا، ولكن الشريعة بنصوصها ومقاصدها ومجـمـوع مذاهـبها وتراث فـقهائهـا، فيـها من السعـة والمرونة، مـا يعطي حـلا لكل مـشكلة، ودواء لكل داء من طب الشريعة نفسها.

لقـد ذم علماء المسـلمين المحقـقـون التقليـد وأنكروه، ولم يعـتبروا المقلد عـالما، وإنما هو تابع لغيره، إذ التـقليد هو قبول قول الغيـر بلا حجة، والعلم هو معرفـة الحق بدليله. ويقول الإمام ابن الجوزي: «إن المقلد على غير ثقـة فيما قلد، وفي التـقليـد إبطال منفعـة العـقل، لأنه خلق للتـأمل والتدبر، وقـبيح بمن أعطي شمـعة يستـضـيء بها أن يطفئها ويمشي في الظلمة».

وقال غيره: لايقلد إلا عصبي أو غبي!

وأبطل العـلامـة ابن القيم التـقليـد ورد على دعـاة التـقليـد مـن واحـد وثمـانين وجـهـا: في (إعلام الموقعين).

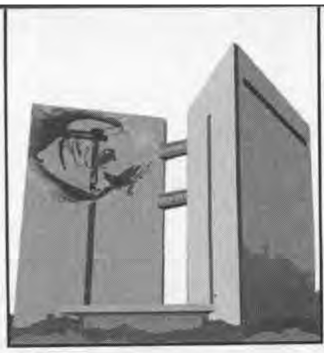
وتحررنا من صرامة التقليـد والعصبية لمذهب مـعين، لايعني أن نذم المذاهب أو ننال من شـأن الأئمـة الكبار ـ رضي الله عنهم ـ فـهذا لايقـوله مسلم شم رائحة العلم، وقـد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابا قيـما شهيرا في ذلك سماه (رفع الملام عن الأئمة الاعـلام) بيّن فيه أعـذار الأئمة في ترك ماتركوه من الحديث.

كـما أن هذا التـحرر لايـعني الاستـغناء عن فقه المذاهب وكتبـها وما حفلت به من تعليلات وتخـريجـات وتفـصيـلات، ومناقشـات ثرية، لايشك في قيمتـها دارس، ينشد الحق، ويبحث عن الصواب بأدلته.

إنما نعني بالتحرر: ألا يقيد الفقيه نفسه بغير ماقيده الله بـه ورسوله، فـيأخذ من أي مـذهب كان مايراه أقوى حجـة، وأرجح ميزانا في ضوء المعايير الشرعية، وفي هذا توسعة وتيسير كبير.

وأود أن أؤكـد أن مـعرفـة المقـاصـد والعلل للأحكام الشرعيـة ضرورة لابد منها لمن يريد أن يدرس الشريعـة، ويتعرف على حقـيقة مواقـفها وأسـرارها، ولابد له من إطالة الدراسـة والتـأمل في ذلك قـبـل أن يثبت أو يـنفي أن للشـريـعـة مقـصـداً أو حكمـة في هذا الحكم أو ذلك. وإلا وقع فـي الخطأ المؤكـــد، ونفـى حـيث يـجب الاثبات، أو أثبت حيث يجب النفي.

وقـد تكون الحكمــة أو المقـصـد الشـرعي المتوخَّى مـن وراء الحكم واضحًا جليا، وهذا لا إشكال فـيـه، وقـد يدق ويخـفى، إلا على أهل



البصيرة الراسخين في العلم، الذين ينظرون إلى الأحكام نظرة شاملة مستوعبة، يجمعون بها بين المتفرقات، ويدركون بها حكمة الشرع فيما أمر ونهى، وفيما أبطل وأجاز.

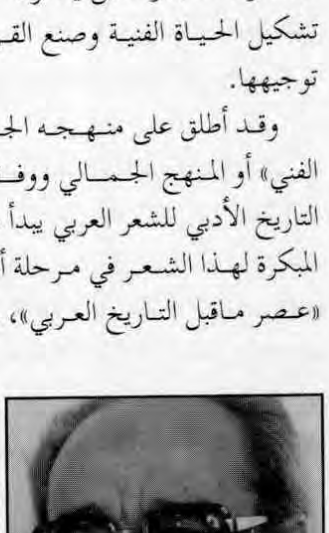
إن الجهل بمقصد الحكم الشرعي قد يدفع بعض الناس إلى إنكاره، لاعتقاده بأن الشارع لايشرع شيئا إلا لمصلحة الخلق، أفرادا وجماعات، فإذا لم يتعلق بالحكم مصلحة معتبرة، أو كان منافيا للمصلحة، اعتبر ذلك دليلاً على أنه ليس بحكم شرعي وإنما هو مما أدخله الناس في الشريعة بالاجتهاد والتأويل.

وقد يستدل هنا بقول ابن القيم الذي نقلناه من قبل: «الشريعة عدل كلها، رحمة كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها»... الخ.

فلابد أن يكون الفقه مادة حية مرنة، تتسع لكل حاجات العصر، وتغيرات الحياة المتجددة.. وإذا كانت الشريعة ـ بنصوصها المحكمة وقواعدها الكلية، وأحكامها القطعية ـ ثابتة لاتتغير، فإن الفقه ـ الذي يعكس فهمنا البشري لها، واستنباطنا الأحكام من أدلتها التفصيلية ـ يتغير بتغيرنا نحن البشر: زمانا ومكانا وحالا. ويجب أن يظهر هذا التغير إذا عرضناه في صورة تأليف أو فتوى أو قضاء. ففرق مابين الشريعة والفقه: إن الشريعة وحي الله، والفقه عمل العقل الإسلامي في ضوء الوحي.

د. يوسف خليف:

نحو منهج جديد لدراسة تاريخ الشعر العربي



تناول د. يوسف خليف مناهج دراسة الأدب العربي، مؤكدًا سيطرة «المنهج التاريخي» الذي يقوم على أساس الربط بين حركة الأدب وحركة التاريخ، وتساءل: لماذا هذا التصنيف للعصور الأدبية التي تشكل حركة الأدب طبقا للعصور السياسية التي تشكل حركة التاريخ، على الرغم من أن الأدب لايتحرك بالتاريخ السياسي وحده، وإنما هناك عوامل ودوافع ومؤثرات أخرى تقف مع العامل السياسي؟

وقال د. خليف: في ضوء هذه التساؤلات رأيت أن أقدم منهجًا جديدًا لدراسة تاريخ الأدب العربي، ويتيح للباحثين رؤية أشد وضوحًا للأدب، وأقرب إلى طبيعته من حيث هو عمل فني، ويحقق لهم مايبحثون عنه من رصد للحركة الفنية النابعة من جمال هذا العمل ويضع أمامهم المذاهب الفنية التي شكلت مدارسه واتجاهاته، ويتيح لهم متابعة حركته على امتداد الطرق التي حددتها هذه المذاهب».

وأكد د. يوسف خليف أن هذ المنهج خاص بالشعر وحده، إلا بالأدب شعره ونثره، وأن حركة الشعر وتطوره الفني وتشكيل مدارسه ومذاهبه لايقوم عليها إلا الشعراء الكبار الذين يملكون القدرة على تشكيل الحياة الفنية وصنع القرار المؤثر في توجيهها.

وقد أطلق على منهجه الجديد «المنهج الفني» أو المنهج الجمالي ووفقا له، فإن التاريخ الأدبي للشعر العربي يبدأ مع البدايات المبكرة لهذا الشعر في مرحلة أطلق عليها «عصر ماقبل التاريخ العربي»، وهو العصر الذي اهتدى فيه العرب إلى موسيقا الشعر التي ظهرت معها فكرة «البيت»، وكانت البداية رجزًا في نشأتها الأولى بظهور الوثنية في الجزيرة العربية، ومنها انبعثت الأوزان الأخرى، بدءًا من الأوزان الصافية إلى الأوزان المركبة، ومعها اهتدى العرب إلى فكرة «البيت» التي آذنت بظهور المقطوعة، وكان ذلك في البدء قبل ظهور القصيدة.

وقال د. خليف: «بهذا ينقسم هذا العصر عندي إلى مرحلتين: مرحلة الرجز، ومرحلة المقطوعة التي آذنت بظهور القصيدة، ومعها يبدأ «التاريخ الأدبي» للشعر العربي، أو ـ بعبارة أخرى ـ تبدأ العصور الأدبية لهذا الشعر، ويبدأ العصر الجاهلي، أو ـ كما أطلق عليه ـ «عصر الكلاسيكية الأولى» أو ـ إن شئنا الدقة في صياغة المصطلح ـ «عصر الكلاسية الأولى».

ويقول د. خليف أن هذا العصر يبدأ مع حرب البسوس وظهور المهلهل ويمتد حتى ظهور أمرئ القيس، ومن شاركوا معه في إرساء تقاليد القصيدة العربية، ثم يأتي العصر الأدبي الثاني بدءًا من الطفيل الغنوي وامتدادا إلى أوس بن حجر وزهير بن أبي سلمى وعنترة، وهو مايطلق عليه د. خليف «عصر الصنعة»، أما «عصر المحاكاة» فهو يستمد تشكيلته من المدرستين السابقتين، ويمتد إلى أوائل ظهور الإسلام.

ويرى د. خليف أن «عصر الكلاسيكية الجديدة» يبدأ مع شعراء المدينة بعد انتقال النبي عليه السلام إليها، وبداية ظهور «القصيدة العربية الإسلامية» لأول مرة في تاريخ الشعر العربي عند رواد الثلاثة: حسان بن ثابت، «عصر الكلاسيكية الجديد» الذي يقابل «العصر

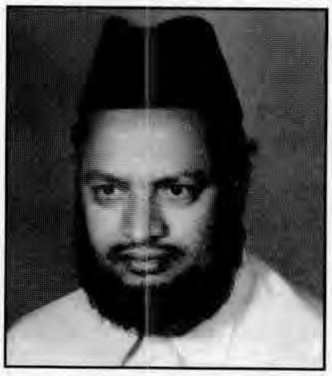
الأموي» في المناهج القديمة، وفيـه أخذت القصيدة تستمد مقوماتها الفنية من مزاوجة بارعة بين الجاهلية والإسلامية.

وقال د. خليف:

«ثم تكون الوقفة الأخيرة عندما تصل الرحلة إلى «العصر الحديث»، ومايصطحبه فيه من تيارات وشلالات تحطم السدود الصناعية التي أقامها شعراء العصر السابق، «عصر البديعيات»، لتظهر مدارس ومذاهب وتجارب فنية جديدة، يختلط فيها الموروث العربي القديم بالوافد الأجنبي المعاصر، ويتحرك النهر بين الثوابت والمتغيرات بين الأصالة والمعاصرة، بين التراثية والحداثة، من الإصائية إلى الديوان وأبوللو والتفعيلة وماسوف يجد بعدها، «ويخلق مالا تعلمون».

د. محمد مصطفى الأعظمي:

التقنية في خدمة السنة



بدأ د. محمد مصطفى الأعظمي محاضرته بتوضيح سبب اختياره لموضوع «خدمة السنة في العالم الجديد، فقال إن السبب يأتي من كونه يرى أن الانطلاق إلى المستقبل لايمكن أن يكون أبدًا بقطع الصلة مع الماضي المجيد أو نسيانه أو تجاهله أو تهميشه بحجة اللحاق بمن تقدموا علينا في الحضارة المادية. مشيرا إلى أننا نحتاج في مسيرتنا إلى قطع بعض الطفيليات والتخلص منها، وهذا يقتضي أن ننظر إلى المنهج الذي أتبعته الأمة في خدمة السنة سابقا، والأدوار التي مرت بها في مجال خدمة السنة من عهد محمد النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن، ثم ننظر إلى المستقبل لنحاول أن نبين ماذا علينا أن نعمل إن أردنا خدمة السنة.

ووازن د. الأعظمي بين المسيحية والإسلام في مجال الحفاظ على تعاليم النبي المرسل، مبينا أنهم يصرحون بأنهم لايعرفون من ألف الأناجيل ولا يعرفون تاريخ تأليفها، وقد اكتشف أحدهم أن أقوال عيسى عليه السلام وأفعاله غير مدونة، في حين أن السنة النبوية لاتزال محفوظة في النفوس والقلوب بفضل كثيرين وهبوا أنفسهم لدراستها.

وحدد د. الأعظمي أربعة أدوار مرت بها السنة النبوية، وركز أن الدور الذي نحن فيه الآن يتميز بالنشاط، ولكنه في الوقت نفسه يتصف بالجرأة الشديدة عند طلبة مراهقين لايعرفون العلم، حيث يتطاولون على كبار المحدثين، وقد أسهمت جامعاتنا في تزكية هذه الفوضى. وتحدث د. محمد مصطفى الأعظمي عن استخدام التقنية في حفظ السنة النبوية فقال:

«في توجهنا نحو استخدام التقنية، نبشركم أننا انتهينا من إدخال ما لايقل عن ١٥٠ ألف حديث في الحاسوب، وفي هذا القرص - يشير المتحدث إلى قرص صغير يحمله في يده - الذي بين أيديكم وضعنا ثمانين ألف حديث، إضافة إلى خمسين مجلد من تراجم الرجال، وإذا طبع كل مافيه، بما فيه الفهارس، فلن يقل عن سبعمائة مجلد، والبحث فيه عن أي حديث لايستغرق أكثر من أربع ثوانٍ. ولي في الختام اقتراحان:

- ضرورة إحياء الحلقات الدراسية التي كانت سائدة عند المسلمين، وأخذ العلم مشافهة من المشايخ.

- ضرورة التمازج بين القديم والتقنية الحديثة، مع تجنب المزالق التي قد تنجم من استخدامها - أي التقنية - بمعزل عن العلماء المتخصصين.

- أما بالنسبة لتصحيح الأحاديث، نقترح تكوين مجمع علمي لهذا الغرض.

د. شكري عياد:

ابتكار ثقافتنا المستقبلية أصعب المهام



ركز د. شكري عياد على أن الموقف الحاضر بين أدبنا والآداب العالمية موقفا شديد التشابك. وأنه لم يعد من الممكن أن نطمئن أنفسنا - كما فعلت الأجيال السابقة من أنصار الحديث - بأن تأخذ قوالب الثقافة الغربية، ونملؤها بمادة من عندنا. لأن التحديث لم يعد يعني خيارًا واحدًا، بل ثلاثة خيارات يجب علينا أن نقرر ماهو الأصلح منها:

- أن ندع الغالب يتحكم في المادة، فنطرح ماعندنا، وأن نأخذ الثقافة الغربية بقوالبها ومادتها، بشكلها وموضوعها أي أن نصبح غربيين قلبا وقالبا.

- أن نرفض القوالب المستوردة، ونتشبث بما عندنا، مع أننا تبينا عجزه عن مجاراة الثقافة العالمية المعاصرة فنأخذه، ونعرف ما لحق بثقافتنا من خلل فنستبعده.

- أن نعرف مايصلح لنا من مادة الثقافة الغربية.

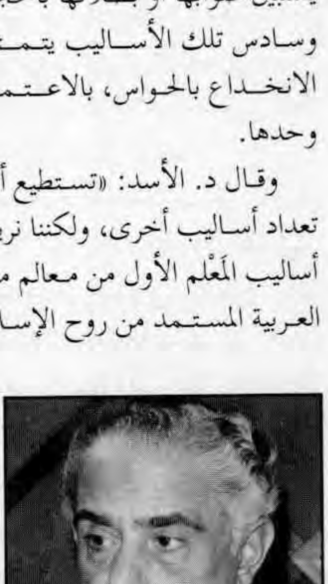
وأكد أن الاتفاق واضح على أن الخيار الأخير هو الطريقة المثلى، ولكن هذا يتطلب دراسة عناصر الثقافة الغربية دراسة وصفية وتاريخية، ودراسة العربية الإسلامية كذلك بالمنهج ذاته.

وأضاف د. شكري عياد أن أصعب المهام هي ابتكار ثقافتنا الجديدة المستقبلية التي تعبر عن حاجاتنا الحقيقية، وصفاتنا الأصيلة، وأكد أن الوقت لم يفت بعد، ولكن آفتنا أننا تنكبنا الطريق القويم لتحديث ثقافتنا، واخترنا أن ندخل سوق العالم الجديد مستهلكين لامنتجين.

«لايخفى على أحد من الباحثين في أمور الاجتماع البشري أن العالم في مجموعه يمر بأزمة، وأن مكان الإنسان أصبح قلقًا على كوكب الأرض. وإذا كانت مظاهر هذه الأزمة مختلفة أشد الاختلاف بين قطر وقطر، بحسب تراتب هذه الأقطار في سلم الحضارة المعاصرة، وإذا كانت الأقطار التي تتحمل النصيب الأكبر من المسؤولية عن هذه الأزمة هي الأكثر استفادة منها، والأقل معاناة، فإننا في عالمنا العربي والإسلامي نوشك أن نتمزق بين شعورنا بأن لنا إرثا ثقافيًا عظيمًا كان في يوم من الأيام منارة العالم، وعجزنا عن مجاراة عالم اليوم والصمود لتحدياته، فضلا عن مواجهته بتصور مختلف للطريق الذي يجب أن تسلكه المجتمعات البشرية إذا أرادت أن تتجاوز الأزمة الراهنة.. ولاسبيل لنا إلا أن نعود إلى جذور حضارتنا في الدين، وأن نعرف للفن مكانه الكريم إلى جوار الدين».

د. ناصر الدين الأسد:

منهج الثقافة العربية منهج إنساني عالمي

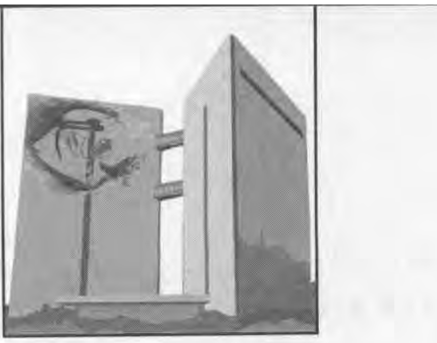


تناول د. ناصر الدين الأسد منهج الثقافة العربية، وأكد أنه منهج مستمد من روح الإسلام ومن نظرته إلى الإنسان، وإلى أنواع نشاطه الفكري والوجداني.

وذكر أن أهم المعالم الأساسية لهذا المنهج يتمثل في أن الإسلام عمل على تكوين عقل المسلم ووجدانه، وتوسيع مداركه، وصياغة ثقافته، وبناء شخصيته العلمية بأساليب متعددة منها:

أنه نقل حالة الأمة العربية من الشفاهية إلى الكتابية، وأن الكتابية «حالة» أو «ظاهرة» لغوية وفكرية تستتبع بالضرورة نشر الوعي العقلي، ومما يتصل بهذين الأسلوبين أوثق اتصال أسلوب ثالث هو: إطلاق العقل من أغلال الخرافات، وتحريره من الأوهام والأساطير والأباطيل، والفهم الصحيح للنهوض وربط العلم بالعمل، وخامس هذه الأساليب عدم الاقتصار على قراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحة مافيها، وتكراره، بل لابد من التثبت بالآراء الواردة حتى يستبين صوابها أو بطلانها بالحجة والبرهان، وسادس تلك الأساليب يتمثل في عدم الانخداع بالحواس، بالاعتماد عليها وحدها.

وقال د. الأسد: «تستطيع أن نمضي في تعداد أساليب أخرى، ولكننا نريد أن نختم أساليب المَعْلم الأول من معالم منهج الثقافة العربية المستمد من روح الإسلام بأسلوب



سابع هو: التجربة والتحليل والاختيار، وهذا الأسلوب الأخير متصل بالأسلوب الذي قبله، ومكمل له، غير متناقض معه.

ومع ذلك، فإننا أوردنا ما أوردناه لنقول: إن أسلافنا من هؤلاء العلماء الكبار وضعوا بذور هذه الأسس وأرسوا ملامحها الأولى، واتبعوها في علمهم واعتمدوا عليها».

وأكد أن العلم والتقدم الإنساني سلسلة تظل متصلة الحلقات مادام الناس ومادامت الحياة، وأن إنكار ماقدمه العرب والمسلمون للعلم والحضارة أو التهوين منه مخالف للحقيقة وللتاريخ لمخالفة التزيد فيما قدمه غيرهم والتهويل فيه. وعن مستوى الثقافة العربية، ركز د. الأسد على قيامها على قاعدة علمية واسعة لها ثلاثة أسس: ما أنشأه المسلمون من داخل دينهم من علوم خاصة بهم، ودعم هذا الأساس بأساس كان أصيل من علوم لغتهم وآدابهم، ثم الاتصال بعلوم الأمم الأخرى، فما يكاد القرن الثالث الهجري يشرف على الانتهاء حتى نجد عددًا كبيرًا من الكتب في ميادين متعددة قد ترجمت إلى العربية.

ثم تناول د. ناصر الدين الأسد الآفات التي أصيبت بها الثقافة العربية عند انسلاخها من منهجها، حتى أصبح كثير من الناس يظنونها صفات ثابتة ملازمة لها، هذه الصفات: الظن أنها ثقافة غلب عليها الحفظ والرواية، والظن أنها ثقافة مقتصرة على العلوم الدينية واللغوية والأدبية، والظن أنها ثقافة متحجرة وقفت عند مرحلة لم تستطع أن تتجاوزها.

وفي ختام حديثه، أكد د. الأسد أن المنهج الإسلامي منهج أصيل، ومنهج

إنساني عالمي، يتفق والمناهج الفكرية عند الأمم الأخرى منذ الحضارات الكبرى القديمة إلى أحدث مانعرف في العصر الحديث.

د. شوقي ضيف:
الاستفادة بالعلم أهم معالم الهوية الإسلامي



تطرق د. شوقي ضيف إلى القضية المطروحة في الساحة اليوم بعنوان «الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة»، وأكد أن الثقافة العربية والإسلامية تتميز بهوية أصيلة ذات مقومات ثابتة رسخت على مر الزمن، ومن أهم هذه المقومات اللغة العربية التي جعلت لسان أبنائها واحد ومشاعرهم واحدة وفكرهم واحدًا، وهي لغة عريقة تتميز بمرونة واسعة في الأبنية والاشتقاقات، واكبت الفتوح الإسلامية، ونازلت اللغات الأخرى وظفرت بها، وحلت مكانها كوسيلة يعبر بها الأهالي في بلاد الفتوح عن وجدانهم وخواطرهم وعن عقولهم وأفكارهم.

وأوضح د. شوقي ضيف أنه على الرغم من الركود الذي اعترى اللغة العربية في الفترة من القرن العاشر الهجري إلى القرن الثاني عشر، نتيجة للجهود المستميتة التي بذلها المستعمر لإضعافها، ولإقصائها عن المجالات العلمية، عادت اللغة العربية لتونق وتزدهر الدين الإسلامي الحنيف هو الذي يرعى هذه اللغة، وينضح فيها الخلود. واستطرد مؤكدا أن الانشغال بالعلم معلم كبير وبارز من معالم الهوية الإسلامية. وقال: «إن الدعوة القوية في القرآن والسنة النبوية للعمل والتزود منه حتى ينبغ فيه ويصبح من علماء الأمة أحدثت وئامًا وثيقا بين الإسلام في جميع عصوره وبين العلم، ولم يحدث يومًا أن نشب تنافر أو خصومة بين الإسلام والعلم، أو نشبت حركة معارضة في الأمة العربية بين العلماء ورجال الدين، كما حدث في أوربا خلال القرن السابع عشر الميلادي حين احتدمت المعارضة العلمانية العنيفة ضد رجال الكنيسة لحملاتهم ضد العلم والعلماء.

وأعرب د. شوقي ضيف عن استنكاره محاولات البعض نقل هذه الحركة الأوربية إلى ديار المسلمين وتناسيهم الإضاءات القوية التي أحدثتها الثقافة العربية والإسلامية في مسالك العلم والحضارة الحديثة دون تمييز بين العلماء الذين اغترفوا من معين الإسلام وتفاعلوا مع الحضارة الأخرى، الأمر الذي يصور بوضوح قابلية الثقافة العربية الإسلامية للتطور، كأحد أهم الثوابت الأساسية في هويتها.

ثم أضاف د. ضيف «ولاريب في أن الأمة العربية حرية اليوم بأن تواجه بكل طاقاتها وقدراتها تحدي التطور الهائل في العلوم الغربية الحديثة والتقنية العصرية فتنقلها إلى العربية دون تلكؤ ودون إبطاء، وتتمثلها تمثلاً دقيقًا يمكنها من استعادة دورها العلمي القديم لئلا يكتب عليها التخلف عن عصرها إذ تفقد السلاح الذي يضمن لها وجودها الحي ومصيرها ومستقبلها في النظام العالمي الذي سيسود في الأمم الغربية العلمية القرن الحادي والعشرين ونحن على أبوابه»، ويرد د. شوقي ضيف على الذين ينكرون نقل علوم الغربية الحديثة إلى العربية، والذين يؤثرون أن يحاضروا طلابهم باللغات الأجنبية التي تلقوا بها علومهم في الغرب، بأن التبعية العلمية أمرّ وأنكى من التبعية السياسية، ويؤكد أن الاحتجاج بكثره المصطلحات وصعوبة متابعتها، حجةواهية لأن شعوبا أقل من العرب عددًا وأصغر مساحة، وليس لها تراث الأمة العربية ولا لغتها المرنة، تحولت إلى تدريس العلوم الغربية والتقنية العصرية بلغاتها القومية، مثل اليونان، وتركيا، وفنلندة، ورومانيا، وإسرائيل التي أحيت لغتها العبرية الميتة.

عبدالتواب يوسف:
مستقبل ثقافة الطفل المسلم وأدبه

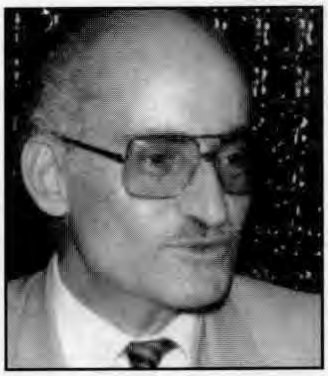


يطرح الأستاذ عبدالتواب يوسف في دراسته سؤالاً حول تقديم الإسلام إلى أطفال العالم، ويوجه اللوم إلى المؤسسات الثقافية والإسلامية التي لم تتطلع إلى المستقبل، ولم تخاطب صناع هذا المستقبل، ولم تحدثهم عن الإسلام، بنشر كتب عصرية إسلامية خاصة للأطفال مسلمين وغير مسلمين، ويؤكد أن غياب الموسسات الثقافية الإسلامية عن هذه الساحة المهمة يترك القطاع العريض من الأطفال نهباً للمعلومات المغلوطة والمغرضة. كما يتساءل عبدالتواب يوسف عن التدابير التي اتخذها المسلمون لتقديم الإسلام في صورته الصحيحة إلى أوربا

الشرقية، واجتذاب أطفالها إلى ربوع الإسلام، بعد سقوط قلاع الشيوعية الملحدة، حتى لا يشبوا على عداء للإسلام، ويؤكد أن ذلك مسؤولية جليلة يجب أن تنهض بها.

ويقدم عبد التواب يوسف نماذج من الصورة الذهنية المشوهة والمعلومات المغلوطة لدى الغرب عن الإسلام، ويقول: « لست أنسى رئيس اتحاد كُتاب الأطفال في إنجلترا- وقد ترجمت كتبه إلى ١٧ لغة عالمية - وهو يقلب كتبي في دهشة، ويقول: هذا شيء غريب، أنتم تضعون رسوماً في كتبكم للأطفال، ألا يحرم الإسلام الرسم؟ ويعرب الأستاذ يوسف عن استغرابه:« تصوروا رئيس اتحاد الكتاب في دولة كبرى لم يقع في يده من قبل كتاب واحد للأطفال المسلمين والعرب»، ويقول مشيراً إلى ضعف الدور الذي تضطلع به المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية في هذا المجال:« لقد وصل إليهم أجدادنا، وكان كثيرون منهم مجرد تجار، فما بالنا غير قادرين على أن ننقل إليهم أفكارنا؟»، وتساءل عن إمكان تخصيص قناة تلفازية فضائية عن الإسلام وللإسلام، ويشير إلى أن الكتابات التي نقدمها عن الإسلام في معظمها تاريخية، أو حافلة بالمعرفة والمعلومات، وهي مليئة بالوعظ والإرشاد، ونادرة هي تلك الكتابات الإبداعية المبتكرة التي تواكب العصر، ويختتم دراسته محذراً من« أننا إذا لم نخلق تصوراً لما ستأتي به الأيام، وإذا اكتفينا بما لدى الدول المتقدمة الآن في مجال الطفولة والثقافة، فإننا بذلك نكون قد حكمنا على أبنائنا بالتخلف، وأسلمنا زمامهم إلى أقرانهم في تلك الدول، وهو أمر نرفضه ونأباه». ويؤكد أن السبيل الوحيد للحصول على الثقافة المتمناة لأبنائنا، هو العودة إلى الماضي، وإلى النبع الصافي الذي يتيح لشجرة التقدم أن تضرب جذورها في تربتنا وبيئتنا. ونزرع القيم التربوية الثابتة في نفوس أبنائنا، لأن«الثقافة - في النهاية - تعني سلوكاً وتصرفاً، خاصة عندما تحل الأزمات والمشكلات، وتعني إبداعاً وابتكاراً،يكونان من أسس التفكير، وتعني أحلاماً وأماني يجب أن تقام على أرض الواقع».

أحمد نجيب:
من لاجذور له..
لافرع له ولاثمار



يتناول أحمد نجيب في دراسته قضية المواءمة بين مقومات الثقافة العربية الإسلامية وضرورات التطور والتقدم، دون أن يؤدي ذلك إلى (الاغتراب)، أو إلى الجمود والانغلاق، ويؤكد استحالة أن نرمي وراء ظهورنا ميراث سبعين قرنًا، والتراث الحضاري الذي فتح للبشرية أبواب العلم والفن والإيمان والحضارة، ويقول: «إننا لانستطيع أن نفصل بين تاريخنا وتراثنا وهويتنا الآن. وبين وجودنا الممتد عبر العصور، لأن هذا التاريخ وذلك التراث وتلك الهوية هي جذورنا الضاربة في أعماق الزمن وهي التي أنبتت ما ازدهر لدينا من فروع وأوراق وثمار نامية».

ويوضح أحمد نجيب أبعاد القضية، مؤكدًا أن الخصوصية ليست قيدًا على التطور، وأن التعايش مع معطيات العصر في ظل خصوصية الأمة أمر مطلوب، كما أن تطعيم الثقافة القومية بأحسن مافي الثقافات الأخرى مطلوب أيضا،



بشرط ألا تذوب ثقافتنا الأصيلة في بوتقة الثقافات المستوردة، وألا تفقد هويتنا وخصوصيتنا، ولاتنقطع صلتنا بجذورنا. والاستناد إلى جملة الثوابت والقناعات التي ترسخت خلال مسيرة الثقافة العربية الإسلامية، يقرر أحمد نجيب أن المجال الواسع المتاح أمام كل من أراد أن يطور أو يضيف، ينفي وجود أي مجال للاغتراب عن عالم ثقافاتنا، أو اقتلاع الجذور الأصيلة والالتصاق بجذور صناعية أخرى، وفي الوقت نفسه أن الأخذ من الإنجازات المعاصرة بوعي وذكاء وقوة واقتدار وبإيمان كامل بطاقاتنا التراثية، يعيد التوازن المفقود بين الروح والمادة، وبين الأخلاقيات والسلوكيات الفاضلة من ناحية.. والتقدم التقني والقوة الغاشمة من ناحية أخرى.

د. وداد القاضي:
المرجعية بين الشرق والغرب ومستقبل الدراسات العربية والإسلامية

تناولت د. وداد القاضي في دراستها قيمة المرجعية بين الشرق والغرب، ومستقبل الدراسات العربية والإسلامية في العالم الجديد، في ضوء وجود مشكلة بين فريقين كبيرين من العاملين في هذا الحقل، وتشير إلى أن خطورة ازدواجية المرجعية في مجال الدراسات العربية والإسلامية تتمثل في أن ادعاء المرجعية لدى كل من الفريقين قائم على تصورين حضاريين مختلفين ونابع من تاريخين علميين متباينين، ومعتمد على منهجين في البحث العلمي

جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي

الدراسات التي تناولت الشعر العربي المعاصر	حجبت	١٣٩٩هـ/١٩٧٩م	-
الدراسات التي تناولت الشعر العربي المعاصر	د. إحسان عباس (بالاشتراك)، د. عبدالقادر القط (بالاشتراك)	١٤٠٠هـ/١٩٨٠م	فلسطيني، مصري
تحقيق المؤلفات والدواوين التي تمثل أدب القرنين الثاني والثالث الهجريين	الأستاذ عبدالسلام محمد هارون	١٤٠١هـ/١٩٨١م	مصري
الدراسات التي تناولت الأدب العربي قبل الإسلام حتى نهاية القرن الأول الهجري	د. ناصر الدين الأسد	١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	أردني
الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرنين الثاني والثالث الهجريين	د. أحمد شوقي عبدالسلام ضيف	١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	مصري
الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرن الرابع الهجري	الأستاذ محمود محمد شاكر	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	مصري
الدراسات التي تناولت النقد الأدبي القديم عند العرب في تاريخه أو كتبه أو رجاله أوقضاياه	حجبت	١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	-
الدراسات التي تناولت الأدب العربي في القرنين الخامس والسادس الهجريين	الأستاذ محمد بهجة الأثري	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	عراقي
الدراسات التي تناولت فنون النشر الأدبي الحديث	حجبت	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	-
الدراسات التي تناولت الأدب العربي في الأندلس	د. محمد بن شريفة (بالاشتراك)، د. محمد يوسف علي مكي (بالاشتراك)	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	مغربي، مصري
الدراسات التي تناولت الشخصيات الأدبية في الشعر والنثر حتى نهاية القرن الثالث الهجري	د. شاكر محمد كامل الفحام (بالاشتراك)، د. يوسف عبدالقادر خليف (بالاشتراك)	١٤٠٩هـ/١٩٨٩م	
القصة القصيرة	الأستاذ يحيى حقي محمد حقي	١٤١٠هـ/١٩٩٠م	سوري، مصري
أدب الأطفال	الأستاذ أحمد محمود نجيب (بالاشتراك)، الأستاذ عبدالتواب يوسف أحمد (بالاشتراك) الأستاذ علي عبدالقادر الصقلي (بالاشتراك)	١٤١١هـ/١٩٩١م	مصريان، مغربي
ترجمات الدراسات الإسلامية والنقدية إلى اللغة العربية	د. محمد مصطفى بدوي (بالاشتراك)، د. محمد يوسف نجم (بالاشتراك)	١٤١٢هـ/١٩٩٢م	مصري، لبناني
المسرحية المؤلفة باللغة العربية الفصحى شعرًا أو نثرًا	حجبت	١٤١٣هـ/١٩٩٣م	-
الدراسات التي تناولت فنون النثر العربي القديم	د. عائشة محمد علي عبدالرحمن (بالاشتراك)، د. وداد عفيفي القاضي (بالاشتراك)	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	مصرية ، أمريكية
الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث	د. حمدي سيد أحمد السكّوت (بالاشتراك)، د. محمد أبو الأنوار محمد علي (بالاشتراك)، د. سلمى لطفي الحفار الكزبري (بالاشتراك)	١٤١٥هـ/١٩٩٥م	مصريان، سورية

متفاوتين، وتقول د. وداد القاضي: «إن الاختلاف في الأصول يولّد الاختلاف في الفروع والنتائج، وينتج عن تراكم اختلاف النتائج رؤيتان للحضارة الإسلامية كلها، ولخط سيرها، ولتاريخ التطورات الحادثة». وتشير إلى أن خطورة مشكلة ازدواجية المرجعية تتزايد مع تزايد أعداد طلاب الدراسات العليا من العرب والمسلمين في هذا الحقل في الغرب، الذين يجدون أنفسهم أمام رؤية مختلفة للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مما يوقعهم في حيرة شديدة، وتؤكد أن القضية تلقي بظلالها على المستوى التربوي، وعلى ما أصبح يسمي بهجرة العقول.

وفي إجابتها عن سؤال كيف يجب أن يتعامل العرب والمسلمون مع هذه المرجعية التي تنافس مرجعيتنا في دراسات حضارتنا وتراثنا، تطرح د. وداد القاضي حلولاً عديدة، وتدعو إلى ضرورة أن نحتفظ بثقتنا بأنفسنا وقدرتنا على أن نقدم للعالم إنتاجًا رفيع المستوى عن هذه الحضارة. وترى أن الطاقات البشرية الهائلة وازدياد الوعي في صفوف أبنائنا بأهمية العلم قد جعلت بشكل أقوى أهمية أن يكون للفرد والجماعة هوية واضحة لا لبس فيها، كما ترى أن نتعامل مع مرجعية الغرب في دراسات حضارتنا وأن نستفيد من تجربته الناجحة، ونأخذ عنه ما يمكننا من تقوية أنفسنا في مرجعيتنا، وتؤكد أهمية تدريس اللغات الأجنبية في جامعاتنا، وإنشاء مراكز لدراسات الحضارة الإسلامية بحيث يصبح التكوين العلمي للطالب في الدراسات العليا شاملاً للجوانب المختلفة من إنتاج الحضارة، كما تدعو إلى الاهتمام بمسألة المنهج وتطالب بتدريسه على المستويين العلمي والنظري، وتشدد على أن التمكن في اللغة العربية يظل مفتاح كل محاولتنا، وتعول د. وداد القاضي على التوجه المؤسسي كأحد أهم العوامل التي مكنت الغرب من تثبيت مرجعيته، وفي هذا الصدد أشادت بتجربة مؤسسة الملك فيصل الخيرية كنموذج جيد في هذا المجال يدعم الحقل العلمي، ويحمي مرجعيته على المدى

افتقاد المعرفة الحقة وراء زلزلة الأرض تحت أقدام البشر

«أشارك المهتمين بضرورة الاهتمام بخدمة العقيدة والتراث وعلومها، وكذلك التطبيق للمنهج الحق وبه ينتشر العدل والسلام على الأرض. وأن أضم صوتي إلى من يحذر من الاستهانة بتلك العلوم، إذ إن كل الآثام التي تزلزل الأرض اليوم تحت أقدام البشر مردها إلى افتقادهم المعرفة الحقة برسالات السماء، والجهل بالتاريخ والتنكر للتراث، لهذا فإن سعي أمتنا وكل الأمم إلى التطور في مجالات العلوم التقنية لايجب أن يكون أبدا على حساب ذلك الجانب الآخر لأهميته.
وإن أمتنا لمدعوة إلى تنظير التوازن وتطبيقه من خلال الأخذ بالأسباب في المجالين ليسود على أيديهم العدل، وينتشر الإسلام في العالم الجديد، كما ساد في عهود مضت».

من كلمة الأمير خالد الفيصل في ختام اللقاء العلمي في القاهرة

الطويل، واقترحت إنشاء رابطة أو اتحاد لدارسي الحضارة الإسلامية، وأن تقام مؤتمرات دورية كل سنتين، وأن يصدر عن هذا الاتحاد أو الرابطة مجلة دورية محددة الملامح، وحثت على التعاون على المستوى المؤسسي بين الجامعة العربية الإسلامية وجامعات الغرب، وتمويل كراسي لدراسة الإسلام في كبرى الجامعات الغربية، وفي ختام دراستها طرحت د. وداد القاضي أفكارًا حول مشروعات تنفذ مؤسسيا مثل مشروع معجم تاريخي للغة العربية بالاتصال المباشر عبر الحاسوب، ومشروع يتعلق بمسح الآثار الإسلامية، ومشروع ثالث لتوضيح دور العلوم الإسلامية.



العلم والطب في القرن الحادي والعشرين

منظور شامل*

تحتفل مؤسسة الملك فيصل الخيرية هذا العام بمناسبة مرور عشر سنوات على بدء منح جائزة الملك فيصل العالمية في الطب والعلوم.

هذا وتتباين موضوعات الطب كل عام، ويتم اختيارها على أساس مدى أهميتها للصحة البشرية، ومساهماتها ذات الشأن في تحقيق التقدم في هذا الحقل المهم من العلم. ويشمل ذلك مجالات مثل الملاريا، وأمراض الإسهال، والعمى، والعقم. أما موضوعات العلوم فتدور بين الفيزياء والرياضيات، والأحياء، والكيمياء.

ولإحياء الذكرى السنوية الراهنة قامت المؤسسة بتنظيم ندوة علمية مما هيأ مناسبة فريدة للجمع بين من سبق لهم الفوز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب والعلوم وبين الحائزين عليها هذا العام.

إن الهدف من عقد هذا المنتدى هو إعطاء فكرة من المنحى الذي يعتقد كل منهم بأن علمه سيتجه إليه في القرن القادم.

وفي الوقت الذي يقترب به هذا القرن من نهايته فإن اكتساب المعرفة والتطور المتزايد للتقنية، وفي خطىً لم يسبق لها مثيل، وضعنا أمام خطر فقدان منظورنا الشامل. وقد تكرم العديد من الحائزين على هذه الجائزة بالموافقة على تقديم تصوراتهم عن هذا الموضوع الملائم والشامل عالميًا. وهنالك آخرون سيقدمون أفكارهم كتابة. ومن ثم ستقوم مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالتعاون مع الجمعية الملكية بنشر محاضر هذه الندوة وتوزيعها مجانا على الجهات الطبية والعلمية والجمعيات الأخرى ذات الاهتمام.

ويؤمل أن تساهم الآراء المدروسة لهذه الجهات العالمية في منفعة البشرية في السنوات القادمة، وأن تعمل على تقدم المعرفة وتطورها.

* موضوع اللقاء العلمي لمؤسسة الملك فيصل الخيرية الذي إنعقد في لندن العام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

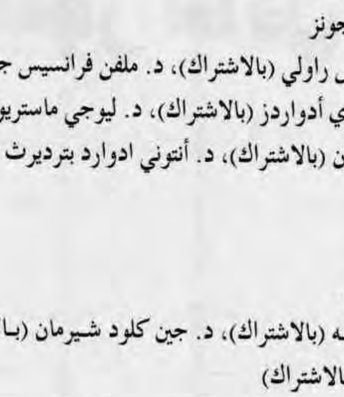
جائزة الملك فيصل العالمية للطب

الرعاية الصحية الأولية	د. ديفيد كورتيليوس مورلي	١٤٠٢هـ/١٩٨٢م	بريطاني
الملاريا	د. والاس بيترز	١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	بريطاني
أمراض الإسهال	د. جون.س.فوردتران (بالاشتراك)، د. وليام جرينوف الثالث (بالاشتراك)، د. مايكل فيلد (بالاشتراك)	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	أمريكيون
التهاب الكبد الفيروسي	د. روبرت بالمريبزلي (بالاشتراك)، د. ماريو ديزيتو (بالاشتراك)	١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	أمريكي، إيطالي
مرض السكر	د. جيان فرانكو بوتاتزو (بالاشتراك)، د. ليلو أورشي (بالاشتراك)، د. ألبرت دينولدز (بالاشتراك)	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	إيطاليان، سويسري
الوقاية من العمى	د. باري مرسل جونز	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	بريطاني
سرطان الدم	د. جانيت ديفنس راولي (بالاشتراك)، د. ملفن فرانسيس جريفز (بالاشتراك)	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	أمريكية، بريطاني
العقم	د. روبرت جيفري أدواردز (بالاشتراك)، د. ليوجي ماستريوني (بالاشتراك)	١٤٠٩هـ/١٩٨٩م	بريطاني، أمريكي
البلهارسيا	د. أندري كابرون (بالاشتراك)، د. أنتوني ادوارد بترديرث (بالاشتراك)	١٤١٠هـ/١٩٩٠م	فرنسي، بريطاني
جوانب التفاعلات الكيماوية الحيوية ذات العلاقة بالصحة العقلية	حجبت	١٤١١هـ/١٩٩١م	-
أمراض شرايين القلب التاجية	د. أتيليو مسري	١٤١٢هـ/١٩٩٢م	إيطالي
مرض نقص المناعة المكتسب	د. لوك مونتانييه (بالاشتراك)، د. جين كلود شيرمان (بالاشتراك)، د، فرانسواز باري سنوسي (بالاشتراك)	١٤١٣هـ/١٩٩٣م	فرنسيون
التطبيقات الطبية لهندسة الجينات	د. وليام فرنش أندرسن (بالاشتراك)، د. روبرت وليمسن (بالاشتراك)	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	أمريكي، بريطاني
المناعة الجزئية	د. جريجوري بول ونتر (بالاشتراك)، د. مارك ديفز (بالاشتراك)، د. تاك واه ماك (بالاشتراك)	١٤١٥هـ/١٩٩٥م	بريطاني، أمريكي كندي

أنتوني إدوارد بترويرث

الأمراض الطفيلية في عالم متغير

إن مدى فهم الأهمية العالمية للمرض الذي تعزى الإصابة به للطفيليات يمر بتغيرات سريعة، وهذا ناتج جزئيا عن التغيرات السياسية الكبيرة والتركيز المتزايد على «الطب العالمي» ومراعاة الأثر الاقتصادي للمرض مما يؤدي إلى اهتمام متناقص في الطب الاستوائي الكلاسيكي وعلم الطفيليات، كما أنه ناتج جزئيًا أيضا عن الوعي المتنامي للأثر المأساوي للحالات المعدية



الأخرى، وبخاصة لأمراض نقص المناعة المكتسب ومرض السل. وبالرغم من الأهمية التي لايرقى إليها الشك لهذه الأساليب الجديدة، إلا أن الأمر لايزال مدار خلاف بصدد استمرار استحواذ الأمراض الطفيلية على الاهتمام الكبير. كما أن أمراض الحيوانات الطفيلية تبقى عبئًا ثقيلاً، في حين أن الظروف البيئية المختلفة الناجمة عن الكثافة السكانية المتنامية تسبب مشكلات جديدة بالنسبة للطفيليات البشرية. إلا أن هنالك وسائل جديدة في مجال أبحاث الأمراض الوبائية وعلم الأدوية وأبحاث المناعة والتحصين تقدم لنا الآمال لتحقيق تحسينات في محاصرة تلك الأمراض.

أندري كابرون

اللقاحات ضد الأمراض الطفيلية هدف رئيس

لتحسين الصحة العامة في العالم الثالث

مع نهاية القرن العشرين، فإن الأمراض الطفيلية لاتزال، تمثل المشكلات الصحية العامة الرئيسة للبلدان النامية، وهي ذات تأثير في ثلثي سكان العالم تقريبًا. ولم يحصل إلا تقدم بسيط في محاصرة العدوى الطفيلية، ذلك مثل الملاريا والبلهارسيا، والليشمانيا وداء المثقبيات ومرض الغلاريا، بل إن انتشار تلك الأمراض في تزايد مستمر في الاستيطان في كثير من المناطق. فالمناعة المتزايدة لجراثيم الملاريا ضد العقارات، وسرعة الإصابة بالمرض ثانية بعد العلاج، وفي كثير من الأحيان الافتقار إلى مركبات فعالة وآمنة، كل ذلك أكد محدودية العلاجات الكيماوية بوصفها وسيلة وحيدة في خطة (استراتيجية) وقف هذا الأمراض.

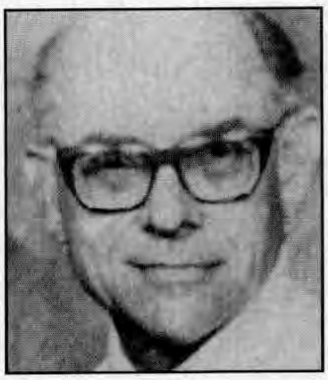
وفي هذا السياق، فإن تطوير اللقاحات الفعالة الآمنة ضد الأمراض الطفيلية الرئيسة يبقى هدفًا رئيسا لتحسين الأحوال الصحية لبلايين البشر. ومع أنه تم إنجاز تقدم كبير في فهم مدى استجابة التحصين للطفيليات، وفي ضوء الارتعاش الجزيئي لمئات الجينات المسؤولة عن إعادة ترتيب البروتينات الوقائية المحتملة فإنه لايتوافر في الوقت الحاضر لقاح بشري جاهز للاستعمال. وبموجب تجربتنا الشخصية في محاولاتنا لتطوير لقاح فعال ضد ثاني أكبر مرض طفيلي في العالم وهو البلهارسيا، فإننا نقوم بتحليل الحدود المتنوعة التي



نواجهها في مفهوم فعالية و(استراتيجية)اللقاح، ويحدونا الأمل في تطوير لقاح بشري في المستقبل المنظور، ينبغي أن تعتبر لقاحات الطفيليات كواحدة من بين وسائل أخرى ضمن خطة (استراتيجية) تتخذ لوقف الأمراض الطفيلية في سياق برامج صحية عامة عالمية.

فرانك ألبرت كوتن

العلم الأساسي للمستقبل منظور صيدلاني



في الوقت الراهن تعتبرمساندة الأبحاث ذات الدوافع الاستطلاعية في العلوم (وغالبًا ماتسمى العلوم الأساسية أو البحتة) مهددة في جميع أنحاء العالم بخطر ترشيد ميزانيات الصرف عليها، حيث يعتقد أن الأبحاث ذات الصلة الواضحة والمباشرة بكل المشكلات الاجتماعية هي وحدها التي تستحق الصرف عليها من الموازنة العامة.

والواقع أن هذا رأي قاصر النظر، حيث إن التقدم التقني الرئيس (مقابل التحسن المتنامي في التقنية الراهنة) يحتاج إلى الاستكشافات غير المخطط لها وغير المتوقعة ، التي تبرز من الأبحاث المتسمة بالاستطلاع، ويتم حاليا مناقشة الحدود المثيرة للأبحاث ذات الدوافع الاستطلاعية (أي الأساسية فعلا) في مجال الكيمياء.



مصطفى عمرو السيد

الباكتيريورودويزم - الآلية الطبيعية الأخرى لتحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية



لقد استخدمت الطبيعة الطاقة الشمسية في عملية التمثيل الكلوروفيلي للحفاظ على استمرار العمليات الحياتية على الأرض لمدة ثلاثة بلايين عام. وقد اختزنت بعضًا من تلك الطاقة من أجل استخدامنا لها هذه الأيام على شكل وقود مستحجر أو مُستخرج من الأرض. ومنذ أقل من نصف بليون عام شكلت الطبيعة نظام تمثيل كلوروفيلي صغير مستخدمة جزيئًا يدعى (باكتيريو رودو بسين) وبعد وصف موجز للطاقة الشمسية الصغيرة التي تم تصنيفها لغاية الآن تم تقديم موازنة نوعية بين الآليات الجزيئية المشمولة في الكلوروفيل وفي التمثيل الباكتيريورودبسين.

وترمي مناقشة التجارب والنتائج

والاستنتاجات لدراساتنا إلى توضيح الآلية الجزيئية الأولية في تحويل الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية، ذلك بواسطة الباكتيريو رودوبسين.

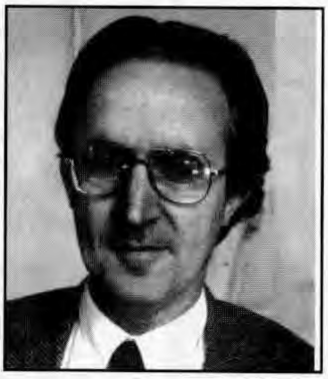
سي. ايه. فيوسو

استخدام الكائنات الحية الدقيقة في العلاج الحيوي للتلوث البيئي

هنالك مجال كبير لتوسيع الكائنات الدقيقة للتخلص من معالجة الأجسام الغريبة الخطرة والكريهة وغير المرئية وأشياء أخرى مثل النفايات والأشياء المسفوحة والفضلات. هذا ويمكن تعزيز فعالية تلك الكائنات الفطرية عن طريق إضافة عناصر غذائية ملائمة. إن الازدياد الحيوي الحاصل عن طريق زراعة الكائنات الحية التي تعمل على تحليل المركبات إلى عناصرها الطبيعية والنشاطات الأخرى قد تكون فعالة، أما بالنسبة للكائنات ذات الجينات المعدلة أوالكائنات الفطرية الأخرى فلابد من إجراء اختبارات دقيقة جداً عليها. ويتطلب تصميم عمليات المعالجة تقويمًا متكاملاً وجديراً بالثقة للقيود البيئية والكيماوية والحيوية على النشاط الميكروبي، كما يحتاج الأمر إلى الأخذ في الحسبان العوامل المالية، والأخلاقية والقانونية. كما ينبغي تدعيم أسس العلوم الجزيئية وعلم تبيؤ الكائنات الحية والعلوم الهندسية.

ملقن فرانسيس جريفز

لوكيميا الأطفال: التناقض الظاهري للتقدم



تعتبر لوكيميا الأطفال اللنفاوية أحد دلائل نجاح أبحاث ومعالجة السرطان. كما توصف تلك اللوكيميا بأنها النوع الرئيس لسرطان الأطفال، وقد صار هذا المرض الآن - الذي كان ذات يوم مرضًا خبيثًا قاتلاً - قابلاً للشفاء وبنسبة ٧٦٪ من المرضى الذين تتوافر لهم سبل العلاج والمساندة الفضلى. إلا أن هذا التقدم مليء بالتناقضات. والواقع أن الأساس الحيوي (البيولوجي) لشفاء الأطفال من هذه اللوكيميا لم يزل غير مفهوم، في الوقت الذي لم يتوصل بعد باستثناء حالات نادرة - إلى استئصال لوكيميا الكبار وأنواع السرطان المنتشرة الأخرى.

يسبب علاج المرضى آثاراً صحية، حيث تشكل عبئًا عضويا وتقسيمًا يرهق المرضى وأفراد أسرهم. وهنالك نسبة كبيرة من الأطفال المصابين باللوكيميا الحادة يعانون من الاكتئاب، بالإضافة إلى مشكلات نفسية، ومشكلات أخرى في النمو ناجمة عن معالجة هذا المرض. وقد تساعد الرؤية الجديدة في معرفة الأصول الخلوية للوكيما اللنفاوية وأنواع لوكيميا الأطفال والكبار الأخرى، بالإضافة إلى التحولات الكامنة التي تفسر المظاهر السريرية المتميزة للوكيميا الأطفال اللنفاوية ، كما قد توفر ليس تفسيراً للشفاء العضوي الداخلي فحسب، بل لخطط (استراتيجيات) حديثة للعلاجات غير السمينة، تتباين إصابة الأطفال باللوكيميا اللنفاوية عالميًا، ومن قطر إلى آخر، ويبدو أن المجازفات تتزايد مع تحسن الوضع الاجتماعي الاقتصادي. هذا وإن معظم الايماءات الوبائية المتاحة حاليا توحى بأن المرض قد يتسبب عن استجابة غير اعتيادية لعدوى عامة. وقد تكون لوكيميا الأطفال اللنفاوية أحد الأمراض المصاحبة للعدوى بما في ذلك التهاب المادة السنجابية بالحبل الشوكي وداء وحيدات النواة الوبائي، من التهاب الكبد الوبائي، والحصبة الألمانية مما يعد آثاراً متناقضة مع تحسن الأحوال والعادات الصحية، وأخيراً قد يؤدي تشخيص الآليات البيولوجية ذات الصلة إلى إجراءات وقائية.

وليام جرينوف الثالث ومايكل فيلد

العلم يؤدي لحلول سهلة



مايكل فيلد

كثير من الأطفال ينجون من الموت بسبب الإسهال بعلاجهم بالسوائل عن طريق الفم. ويؤدي الإسهال للموت بسبب استنزاف سوائل الجسم التي ظلت تعطى حتى عام ١٩٦٨م عن طريق الحقن الوريدية، ولم تكن تقنية العلاج بالحقن الوريدي متوافرة في المناطق المحرومة، حيث تحدث معظم أمراض الإسهال. وقد تم اكتشاف تعويض نقص السوائل عن طريق الفم لدى تطبيق العلوم الفيزيائية الحيوية في المختبرات المتقدمة للدول الغنية التي انتشر فيها مرض الكوليرا، وقد اعتمدت ترجمة العلم الأساسي إلى علاج منخفض التكاليف على:-

أ- الدعم الكبير لمركز أبحاث أمراض

الإسهال العالمي في بنجلاديش.

ب - برنامج منظمة الصحة العالمية (اليونسيف) للسيطرة على أمراض الإسهال.

ج - التعاون بين الدوائر الحكومية وغير الحكومية.

د - شبكة عمل لجمع المعلومات ونشرها.

وقد تعمل الإنجازات التي تتحقق في مجال أبحاث الكوليرا كدليل إرشادي لحل عدد من المشكلات الصحية المهمة العالمية في القرن الواحد والعشرين.

جيه. اف. كندي، ودي. دبليو. تيلر، وسي. جي. نيل، إل. إل. لويد

استخدام علم الكربوهيدرات في القرن الواحد والعشرين

تتمتع الكربوهيدرات منذ زمن بأهمية كبيرة في مجالات واسعة في التطبيقات العلمية والطبية. وبالإضافة إلى الدور الواضح للكربوهيدرات في صناعة السكروز والورق، فإنها الآن تؤدى كما أنها قد تؤدى مستقبلاً أدوارًا مهمة في عدد من الصناعات الرئيسة الأخرى.

أ- ففي صناعة الغذاء تستخدم النشا بمقادير هائلة لإنتاج المواد المخبوزة. ويستخدم المونسكريد والأليجوسكريد، بوصفها مواد تحلية، وفي منتجات البيرة والنبيذ. أما المواد الصمغية فتستخدم في عمليات معالجة الأغذية.

ب - أما في صناعة المنسوجات فلايزال الجلوكوز مطلوبًا بشكل كبير لتصنيع المنسوجات بالرغم من توافر الأبدال من المركبات الصناعية.

جـ تعتبر الصناعة الكيماوية سوقًا ومنتجًا في آن واحد للسكريات ومشتقاتها.

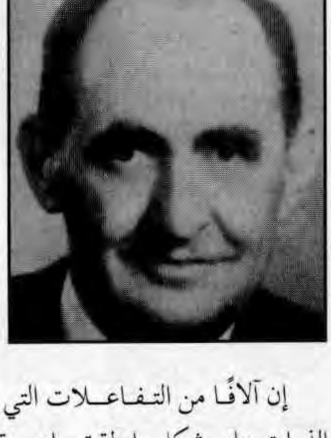
د - يعتبر دخول الكربوهيدرات في صناعة الصيدلة حديثا نسبيا إلا أن هنالك تز ايدًا مهمًا حاليا في اعتماد أساليب إنتاج المضادات الحيوية والمحاليل الوريدية وفيتامين ج بشكل واسع على الكربوهيدرات.

هـ - هنالك صناعة متنامية للهندسة الوراثية في القرن الواحد والعشرين.

ويرتكز علم الأحياء الجزيئي على خصائص لوليمرات الأحماض الأمينية دي. إن. إيه (DNA) وآر. إن إيه (RNA) ومن المعروف أنه يتم استخدام الكربوهيدرات منذ ألف سنة إلا أنه ولغاية الثمانينيات من هذا القرن بقي استخدامها راكدًا. ولكن بمزيد من التعرف الذي حصل حديثا لوظائف الكربوهيدرات في مجرى الحياة، وبعون من أجهزة تحليلية أفضل، فقد أصبح المجال واسعًا أمامنا لاستخدامات جديدة للكربوهيدرات.

ريمون أرغل لومبسو

اتجاهات الكيمياء الحيوية في الطب



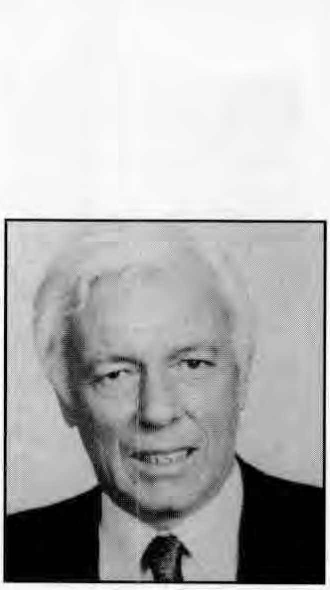
إن آلافًا من التفاعلات التي تحدث بين الذرات على شكل رابطة تساهمية توفر القوة الدافعة والحفز وكبح جماح العمليات الحيوية (البيولوجية). هذا وتعتبر الدقة المتناهية في مدى اتحاد الجزئيات أمرًا جوهريًا للحياة الصحية، كما أن الفهم المتنامي بسرعة لهذه الظاهرة يعد بتحسينات جذرية في الرعاية الصحية. وفي العقد الماضي أصبحت التحليلات البنيوية للجزئيات الحيوية الكبيرة ومركباتها والمرتكزة على علم البلوريات بأشعة إكس ذات الثبات العالي والتحليل الطيفي بالرنين المغناطيسي النووي ممكنة، بالإضافة إلى أن العون من الحاسبات الآلية ذات السرعة العالية، أصبح ممكنًا. وهكذا فسيصبح القرن الواحد والعشرون مجهزًا بالمعرفة المطلوبة اللازمة لتصميم العقاقير ذات الفعاليات الخاصة العالية والآثار الجانبية الضئيلة، كما أن تصميم اللقاحات لمقاومة الأمراض الوبائية وإجراءات تجنب رفض الجسم للأنسجة والأعضاء المزروعة سيصبح علمًا له مكانته. وسيتم توفير أمثلة من التطورات الحديثة التي تركز على الاتجاهات التي قد تصبح متاحة إذا ماتم توطيد بنية العوامل الوراثية، وتحديد دور كربوهيدرات مركبات سطح الخلايا في تنظيم العمليات الحيوية وتعزيزها.



أثيليو مسري

دور البحث السريري في مرض الانسداد الشرياني للقلب (مرض الاسكيمية)

سيأتي التقدم الرئيس في العلوم الطبية من



البيولوجيا الخلوية والجزيئية. إلا أنه من أين سيبدأ التقدم الذي سيحدث الأثر الكبير في وسائل العلاج والوقاية في السنوات القليلة القادمة؟ يبقى أمرًا مجهولاً. وعندما كشف البحث السريري عن مدى أهمية إيقاع أدرينالين التنبيه (ب)، والانقباضات التاجية وتخثر الدم، أخذت الأبحاث تتوسع بالنسبة لأدرينالين التنبيه ب، وموسعات الشرايين التاجية وتخثر الدم. فهل استنفذت الأبحاث السريرية دورها في تشخيص أهمية آليات الكائنات المسببة للأمراض البشرية؟

يعد تصلب الشرايين التاجية البداية لأمراض الذبحة الصدرية وانسداد الأوعية المغذية لعضلة القلب والموت القلبي الفجائي وتطوراته، كل ذلك مرتبط بعوامل مجازفة وطيدة. وغالبا مايتولد لدى الأطباء السريريين انطباع قوي لدى ممارسة أعمالهم اليومية بسبب التعارض بين حدة تصلب الشرايين التي يلاحظونها بالتصوير الشعاعي وحدة أعراض فقر الدم الموضعي المتزامنة وبين عوامل المجازفة الطبيعية. فعلى سبيل المثال فإنه من المستحيل تشخيص الشريان المسدود من التحاليل العادية أو الصور التي أخذت مثل انسداد الشرايين التاجية. وفي الواقع فإن الانسداد يحدث في الأوعية ذات الضيق البسيط، في الوقت الذي تبقى به بعض الآفات دونما تغيير للعديد من السنين. وهكذا، فإن انسداد الأوعية المغذية لعضلة القلب لايحدث دونما إنذار مسبق لايعد مفاجئًا في ٥٠٪ من الحالات كمظهر أول في حدوث مرض الاسكيميا القلبي.

يعتقد حاليا، وبشكل عام، بأن الشرخ في (بلاك) تصلب الشرايين هو سبب تخثر الدم في الشرايين التاجية، حيث غالبًا ماتوجد الشروخ (البلاكية) تحت الأوعية التاجية التخثرية، ذلك في حالات انسداد الأوعية المغذية لعضلة القلب وفي مرض الذبحة الصدرية غير المستقر. هذا وقد تبين أن الشروخ (البلاكية) التاجية تكون سببًا في نسبة ١٠ - ٣٠٪ من الوفيات التي لاتعود أسبابها للأمراض القلبية، في الوقت الذي لم يوجد به شروخ بلاكية في مانسبته ١٠ - ٣٠٪ من حالات انسداد الأوعية المغذية لعضلة القلب دونما إنذار مسبق.

ليوجي ماستريوني

التقنيات التناسلية - اعتبارات اجتماعية وأخلاقية



استدعى ظهور أساليب جديدة وتخيلية لمعالجة العقم البشري إمعان النظر في الأساليب الفنية ومضامينها الأخلاقية والقانونية والدينية. حتى إن الأساليب التقليدية مثل التلقيح الاصطناعي أخذت تخضع للإشراف والمراقبة.

هذا وقد حصل تحسن في الأساليب الفنية المعملية لتحضير السائل المنوي وإعداده، كما تم إعادة النظر في المعايير المطبقة بالنسبة لمانح وسيلة الإخصاب. وقد كان يقتصر استخدام التلقيح الاصطناعي في البداية على النساء العقيمات بسبب تلف قناتي فالوب، إلا أنه امتد الآن ليشمل النساء اللواتي لايعرف سبب عقمهن والذكور العقيمين. وقد استخدم في ذلك البويضات الأنثوية والحيوانات المنوية الذكرية. وقد تم نقل الأجنة إلى طرف ثالث لاعلاقة له بالحمل. أصبح حفظ البويضات المخصبة حاليا مقبولاً في الممارسات السريرية.

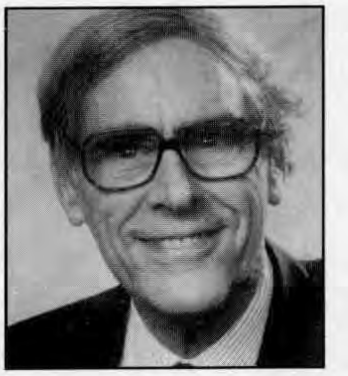
هذا وقد تم إنجاز التقويم الوراثي بنجاح لخلية مفردة أخذت من الجنين. ومع أن هذه الأساليب تتباين بشكل كبير في تعقيداتها إلا أنها ذات خاصية عامة واحدة، وهي فصل التناسل البشري عن عملية الجماع. تسبب هذه الأساليب معضلة أخلاقية نظرًا لتكاليفها الباهظة وبذلك لاتتاح إلا لعدد قليل من القادرين على تكاليفها، كما أنها تحدث ضغطًا لاحدود له على موارد الرعاية الصحية، وذلك على حساب البرامج المتاحة لشريحة أكبر من الناس.

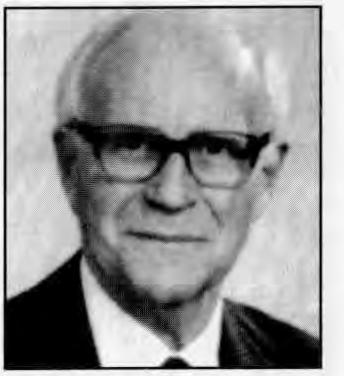
والواقع إن أثر تقنيات التناسل الجديدة في المجتمع يعتبر معقدًا ومتنوعًا يتطلب تفاهمًا بين الطبيب وعلماء الأحياء والاجتماع والأخلاق والدين والقانون.

ديفيد كورنيليوس مورلي

مساهمة المجتمع في الرعاية الصحية

يؤدي استخدام كلمة «مجتمع» إلى سوء الفهم، كما تستخدم هذه الكلمة بطريقة مبسطة أكثر مما ينبغي. إن وجود المجتمعات المتجانسة من الناحية العملية يعتبر نادرًا جدًا حيث إن معظم القرى والمناطق الحضرية تتشكل من زمر كثيرة. إلا أنني سأشير إلى نمط واحد فقط من المجتمعات وهو النمط العالمي،







إلا أنه نمط اصطناعي.

إنه المدرسة، لقد استهل العمل ببرنامج طفل - مقابل - طفل عام ١٩٧٨م بمناسبة العام العالمي للطفل، وقد انتشر تطبيق هذا البرنامج حاليًا ليشمل مايزيد على ستين قطرًا، وتم تطويره في مسارات مختلفة. وقد نظر إليه في البداية على أنه برنامج تفاهم واتصال بين الأطفال الكبار والأطفال الأحدث سنًا، ولكن مع الممارسة تطورت تلك البرامج لتشمل أطفالاً وأندادهم، وأطفالاً وأسرهم، وأطفالاً ومجتمعهم، ونرى من خلال تجربتنا أنه لن يكتب الاستمرارلبرامج (طفل - مقابل - طفل) ناجحة ما لم يكن هنالك مشاركة من قبل الجهات التعليمية والصحية. تتعلم المجتمعات الأمور الصحية من المدارس، وفي المدارس نقوم بتعليم آباء المستقبل وأمهاته.

والاس بيترز

الملاريا - التحدي الراهن والمستقبلي

الملاريا مرض ناشئ عن كائنات وحيدة الخلية يمتد أثرها إلى نصف سكان العالم. ومع أن الإنسان وتلك الكائنات قد عملت على تطوير أشكال متعددة من الوسائل المتوازنة التي تهيّئ لهما التعايش معًا، إلا أن عددًا يتراوح مابين المليون والمليونين من الناس يموتون سنويًا متأثرين بمرض نوع واحد من الملاريا هو (البلازموديوم فاسيباروم)، ولقد استخدم العديد من الخطط (الاستراتيجيات) لمحاصرة مرض الملاريا وإيقافه وذلك منذ اكتشاف انتقاله من البعوض في بداية هذا القرن، إلا أن هذه الخطط (الاستراتيجيات) قد اكتملت دائرتها الآن. وخلال تلك المدة تم اكتساب الكثير من المعرفة الحيوية عن العلاقة بين تلك الطفيليات والجسم المضيف لها، والواقع أن طبيعة التحصين الوقائية ضد الملاريا لاتزال غير واضحة تمامًا، وإن كلاً من العمليات الخلوية وسائل الجسم (غير الدم) تؤدي دورًا جوهريًا في ذلك. وعلى امتداد التاريخ كانت الملاريا تكثر وتنكمش استجابة للتغيرات البيئية التي تشمل عملية التحضر وتوسع الرقعة الزراعية، مع تزايدها المتلازم مع مواقع تناسل حشرات البعوض الناقلة للمرض. وقد تم تركيز إجراءات مكافحة المرض على ضبط طفيليات بعوضه (الأنوفيليس) الناقلة للمرض وعلى الإنسان المضيف لها. تعمل العقاقير المكثفة والمتزايدة والمقاومة المتولدة للمبيدات الحشرية على مضاعفة المشكلة. ويعمل هذا البحث على مراجعة الموقف الحالي بجانب القضايا المستقبلية التي ينبغي أن توجه نحو تطور عقاقير مضادة للملاريا وإجراء مكافحة البعوض الناقل، واللقاحات والجوانب البشرية للملاريا. وعلينا مواجهة أمرين هما: هل هنالك من مصلحة كبرى لقاطني المناطق الموبوءة جدًا في استئصال الملاريا؟ وهل من الممكن تحقيق ذلك؟

ماريو ريزيتو

التهاب الكبد الفيروسي في القرن الحادي والعشرين: في طريقه للانقراض



لم يتم تحديد الفيروس الذي يسبب التهاب الكبد إلا في الستينيات من هذا القرن، حيث تم تحديد فيروس التهاب الكبد B وهو (HBV)، ومنذ ذلك الحين تملك اكتشاف أربعة أنواع من تلك الفيروسات وهي: فيروس (HEV) E, (HDV) D, (HCV) C, (HAV) A. وتعتبر هذا الأنواع مسؤولة عن إصابة مايزيد على نسبة ٩٠٪ من حالات التهاب الكبد الفيروسي في العالم. وقد تبين من تطوير تجارب تشخيصية خاصة أن أمراض الكبد الفيروسية تمثل مشكلة صحية رئيسة، حيث يصاب مايزيد على خمسمائة



جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم

الفيزياء	حجبت	١٤٠٣هـ/١٩٨٣م	-
الفيزياء	د. جيرد بينسج (بالاشتراك)	١٤٠٤هـ/١٩٨٤م	ألماني
	د. هنري روهرر (بالاشتراك)		سويسري
الكيمياء الحيوية	حجبت	١٤٠٥هـ/١٩٨٥م	-
الكيمياء الحيوية	د. مايكل جون بيردج	١٤٠٦هـ/١٩٨٦م	بريطاني
الرياضيات	د. السير مايكل عطية	١٤٠٧هـ/١٩٨٧م	بريطاني
علم الحياة (البيولوجيا)	د. ريكاردو ميليدي (بالاشتراك)	١٤٠٨هـ/١٩٨٨م	بريطاني
	د. بيير شامبون (بالاشتراك)		فرنسي
الفيزياء	د. ثيودور و.هينيش (بالاشتراك)	١٤٠٩هـ/١٩٨٩م	ألماني
	د. أحمد حسن زويل (بالاشتراك)		أمريكي
الكيمياء	د. ريمون أرغل لوميو (بالاشتراك)	١٤١٠هـ/١٩٩٠م	كندي
	د. فرانك ألبرت كوتن (بالاشتراك)		أمريكي
	د. مصطفى عمرو السيد (بالاشتراك)		أمريكي
الرياضيات	حجبت	١٤١١هـ/١٩٩١م	-
علم الحياة (البيولوجيا)	د. سدني بيرنر	١٤١٢هـ/١٩٩٢م	بريطاني
الفيزياء	د. هيربرت فالتر (بالاشتراك)	١٤١٣هـ/١٩٩٣م	ألماني
	د. ستيفن شو (بالاشتراك)		أمريكي
الرياضيات	دينيس بارنل سوليفان	١٤١٤هـ/١٩٩٤م	أمريكي
الكيمياء	د. باري شاربلس	١٤١٥هـ/١٩٩٥م	أمريكي

ألف شخص في أنحاء العالم بفيروس HBV و HCV. هنالك إمكان محاصرة المرض جزئيا عن طريق اللقاحات. وفي الواقع فإنه يتم الآن تداول لقاح آمن وفعال ضد فيروس HBV، كما قد تم تطوير لقاح آخر ضد فيروس HAV، سيصبح قيد الاستعمال قريبًا.

وقد يكون تطوير لقاح ضد فيروس HCV هو أكبر هدف في هذا المجال في المستقبل. وسيقضي تحقيق هذا الهدف على مشكلات هائلة، حيث إن فيروس HCV مثل جميع فيروسات RNA يتكون من أشياء مترابطة متنوعة، وكل مريض يصاب بأعداد كبيرة من المؤثرات المتنوعة. ومع أنه من المأمول أن يستأصل مرض التهاب الكبد الفيروسي عن طريق التلقيح الجماعي في القرن الحادي والعشرين إلا أننا يجب أن نبقى على حذر لتحديد إمكان ظهور أشكال متحولة من الفروسات الكبدية، التي قد تفلت من المراقبة التحصينية للجسم المضيف، والواقع أن أشكالاً متحولة عن فيروس HBV قد أفلتت من التحصين، وتحديداً في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

جانيت ديفسون راولي

علم الوراثة ينقل الطب من مجال الفن إلى مجال العلم

سيكون لفهم الأمراض البشرية الذي سينجم عن مشروع (مجموعة العوامل البشرية) أثره العميق في ميدان الطب.

الواقع أن لكل مرض عنصرًا وراثيا يساهم بدرجات متفاوتة في مدى قابلية الشخص للمرض، وفي مدى فعالية مقاومة المرض، وفي الاستجابة الطويلة المدى للأذى الذي يلحقه المرض. وبفهمنا للعناصر الوراثية المعنية في هذه الأوجه المختلفة لحصيلة مرض ما يصبح بمقدورنا استخدام الطب الوقائي بطريقة أكثر نجاعة. ويمكن تصنيف المرضى حسب مدى المجازفة التي سيتعرضون لها بالنسبة لمرض معين، والذين يحتاجون لتقويم منتظم هم أولئك الذين سيتعرضون لمجازفات خطيرة. وسيكون هذا الأسلوب الوراثي مهمًا بشكل خاص لتشخيص أمراض السرطان وعلاجها. ولقد دلت البحوث الحديثة ـ على المستويين الوراثي الخلوي والوراثي الجزيئي ـ على أن التحول الوراثي المتعدد الأشكال ذو أهمية بالغة بالنسبة لتحول الخلية الاعتيادية إلى خلية خبيثة بالكامل.

وسيؤدى فهم النتائج الوظيفية لهذه التغيرات على المستوى الخلوي إلى علاج أكثر تخصصًا، وأكثر نجاعةً وأقل سُمِّيَّة.

كما ينبغي لهذا الفهم أن يوفر مسالك متبصرة للخطط (الاستراتيجيات) الوقائية التي قد تعمل على تقليل عبء هذا المرض الذي يروع الناس.

أحمد حسن زويل

الليزر والنافذة الجديدة على الزمن والفضاء

تتيح لنا التطورات الحديثة في مجال الليزر تصوير حركة الذرات والجزئيات بواسطة مقياس مسافات تعيش بنسبة جزء من بليون جزء من المسافة المطلوب قياسها. كما يتحدد الزمن المطلوب لقياس هذه الحركة بأجزاء ضئيلة جداً من الثانية.

موسى بن ميمون والمسلمون



د. حسن ظاظا

هذا المفكّر اليهودي الأندلسي - موسى بن ميمون - يقف في بؤرة تاريخ الفكر الديني اليهودي، بل في تاريخ التطور الفكري العالمي، وكأنه أمة وحده، اختلف أبناء دينه عليه حتى الآن، بين من يعتبرونه مؤسس نهضة، ومحرر فكر، وإمام شريعة، ومن يتهمونه بالهرطقة والزندقة، وزحزحة معاني الآيات، وزعزعة ثوابت المقدسات! ولم تثُر هذه العاصفة الهوجاء في عصره فقط (القرن الثاني عشر الميلادي) بل استمرت إلى أيامنا هذه، وبلغ عدد ما أُلِّفَ حولها من الكتب والرسائل والمقالات والفتاوى والندوات شيئا لايكاد يحيط به حصر، ولما لهذا الرجل من الشهرة في العالم كله، فإن الحكومة الصهيونية في إسرائيل جعلته رمزًا من رموزها، فقد كانت دائما تتشدّق بأنها دعوة تحريرية تقدّمية، اختارت فلسطين موطنا لها لأسباب غيبية وتاريخية مزعومة، لا لإفناء أهلها وتشريدهم وتجريدهم من ممتلكاتهم، بل لتمدينهم وترقيتهم وإيقاظهم وجيرانهم العرب من سباتهم العميق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور! من هنا كان الاهتمام الصهيوني بموسى بن ميمون، تلميذ العرب والمسلمين، الذي ذرع الأرض العربية والإسلامية من الأندلس إلى المغرب، إلى فلسطين، إلى مصر حيث مات، ثم إلى طبرية حيث دفن تنفيذًا لوصيّته. وسأكتفي في هذا الحديث بالتعريف بسيرة هذا العالم المتبحر، العجيب في ذكائه ودهائه، العميق الشعور بواجباته والتزاماته، البطل في صبره على الأهوال، لايفقد الأمل لحظة واحدة، وهو اليهودي التائه المتوغل في بلاد الإسلام من غربها إلى شرقها، كما أشرت الآن، فليس عجيبا أن تجعل الصهيونية من اسمه مفخرة لها.

ففي القدس شارع «رَمْبَم» (اختصار ربيّ موسى بن ميمون) وشوارع أخرى في بلدان إسرائيل ومدارس ومعاهد ومكتبات ومستشفيات في أنحاء مختلفة من العالم تحمل اسمه، وقاعات للمحاضرة ملحقة بالكثير من السفارات الإسرائيلية تحمل اسمه، كما تحتفل أكثر الأوساط اليهودية بذكرى وفاته.

ولد موسى بن ميمون في قرطبة عام ١١٣٨ أو ١١٣٥م حسب ماجاء في «المعجم الموسوعي للفكر اليهودي» المنشور في باريس عام ١٩٩٣م، وإن كان الأستاذ «موريس - رؤوبين حيُّون» أستاذ الفكر اليهودي في جامعة ستراسبورغ (فرنسا) يرجّح التاريخ الأول، دون ذكر ما لديه من مرجحات، في كتاب من تأليفه عن ابن ميمون (باريس، ديسمبر ١٩٨٧م) ثم وقع هجوم الموحدين على الأندلس، ودخولهم قرطبة عام ١١٤٨م. وينتهز المؤرخون اليهود هذه الفرصة للإطناب في المذابح وأعمال المطاردة التي ارتكبها المتعصّبون الموحّدون ضد اليهود، دون أن يذكروا أن مئات من العلماء والفقهاء المسلمين تعرضوا للمعاملة القاسية نفسها، لمجرد اختلافهم عن الموحدين في المذهب، وكانت أسرة ابن ميمون من الأسر اليهودية العريقة في المدينة، أخرجت قبل موسى بن ميمون الكثير من علماء التوراة والتلمود، فظلّوا يتهربون من الموحدين في أرجاء الأندلس حتى عام ١١٥٨م، أي بعد عشر سنين، في محاولة للبقاء في إسبانيا، ففي هذه السنة هاجرت هذه الأسرة إلى مدينة فاس بالمغرب، حيث شرع

كيف أصبح طبيب القصر السلطاني الأيوبي وعميد مدرسة الطب وشيخ شيوخ اليهود عضوا في المجلس الملّي لليهود؟

موسى في دراسة الطبّ إلى جانب دراساته في التوراة والتلمود وتفاسيرهما، وتساءل بعض المؤرخين: كيف بقيت الأسرة عشر سنين على يهوديتها تحت حكم الموحدين؟ وخلصوا إلى أن الأسرة إما أن تكون قد اعتنقت الإسلام، أو - على الأقل - تظاهرت بذلك، وهذه الشبهة لم يقم عليها دليل من الوثائق ولا من الكتّاب المعاصرين لهذه الحوادث، إلاّ أن تكون قد تنكّرت تحت مظهر إسلامي طمعا في النجاة من الهلاك، وهو أمر جائز في الشريعة اليهودية، وإن كان الفقهاء المتشددون يحبذون الاستشهاد ! ولم يكن هذا - على أية حال - رأي موسى بن ميمون، كما عبّر عنه في مواضع كثيرة من كتابه «دلالة الحائرين» وفي «رسالة إلى يهود اليمن»، وسنخصهما بتعريف موجز في هذا الحديث، وقد تكون لنا عودة تحليلية إليهما فيما بعد إن شاء الله.

وما كادت أسرة ابن ميمون تستقر في فاس حتى بدأت تعاني من كراهية الناس لليهود، فبقيت على مضض حتى أكمل موسى دراسة الطب، فقرر أن يرحل شرقا، وكانت الرحلة شاقة جدا، وصفها عالم يهودي - نقلا عن ابن ميمون - وكان هذا العالم من أبناء القرن السادس عشر الميلادي، هو الحاخام إليعازر آزكْري، فقال: في مساء الأحد الرابع من شهر إيار (اليهودي) عام ٤٩٢٥ يهودية الموافق ١١٦٥م اهتزّت أمواج البحر بريح عاصف كاد أن يغرق سفينتنا. فنذرنا صوم هذين اليومين من كل عام أنا وأسرتي وكل ذريتنا من بعدنا، مع بذل بعض الصدقات للفقراء، بحسب الاستطاعة، ومن جهتي أنا نذرت أن أجعل العاشر من شهر إيار كل سنة مخصصا لقراءة التوراة والعبادة. لأنني في ذلك اليوم لا أدين بنجاتي من الهلاك في البحر إلاّ لله وحده. لذلك فإنني في يوم الذكرى هذا لا أفرغ لأحد إلا لله، وله وحده، متجنبا صحبة أي إنسان.. بقدر الإمكان، وفي يوم الأحد، الثالث من شهر سيوان وصلتُ سليما معافى إلى عكّا، بمأمن من الاضطهاد. وأصبح اليوم الذي وطئتْ فيه أقدامنا الأرض المقدسة عيدا وفرحة لنا، نقدم فيه الهدايا، وفي يوم الثلاثاء، الرابع من شهر مرحشوان عام ٤٩٢٦ يهودية، الموافق ١١٦٦م وصلنا من عكا إلى القدس، بعد رحلة محفوفة بالمخاطر. فتوجهت إلى مكان هيكلنا المقدس وصليت فيه طيلة يوم الخميس السادس من شهر مرحشوان. (والمخاطر التي يشير إليها هي الحرب بين الصليبيين والمسلمين)

وواضح أننا أمام رجل لم يخطر بباله أن يعتنق الإسلام لحظة واحدة، لا في الأندلس، ولا في المغرب، ولا في فلسطين، بل كان يريد أن يعيش من مهنة الطب، وأن يحظى باحترام أبناء دينه بوصفه أحد علماء الشريعة اليهودية. ولكن الصليبيين كانوا يحتلون فلسطين وأجزاء شاسعة من سوريا ولبنان، وكان الأيوبيون في مصر قد قضوا على الدولة الفاطمية، وأعادوا الناس من المذهب الشيعي الفاطمي (الإسماعيلي) إلى مذهب السنة والجماعة، كما كانت الحرب سجالا بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والصليبيين يقودهم عدد من ملوكهم وأمرائهم، وفي مقدمتهم ملك بريطانيا ريتشارد قلب الأسد، وملك بلجيكا بولد وين (بردويل - كما كان العرب يسمونه). وبوصوله إلى مدينة القدس مُنِيَ بخيْبة أمل. فقد بات الصليبيون في رعب من هجمات مباغتة من صلاح الدين ووزيره وابن عمه عماد الدين بن زنكي. والرعب العامّ يجرّ وراءه اضطهاد الأجنبي، وكان اليهودي أجنبيا بين النصارى والمسلمين. فلم يجد ابن ميمون عملاً في الطب يقوم بنفقته، ولاوعيا في هؤلاء اليهود الجهلة الذين لا همّ لهم إلا بعض الصناعات الحقيرة أو التسول، مع نشر الخرافات التي لاصلة لها بالدين، على طريقة الفاطميين في المجتمعات الإسلامية. وهكذا قرر أن يذهب إلى القاهرة. ومع ذلك يشعر المتتبع لطباع هذا الرجل بأنه كان - كأكثر الأتقياء من ملّته - دائم الشكوى تلاحقه مشاعر الاضطهاد، ويغلبه البكاء حيثما حلّ، ويزعم المثقفون من اليهود أنهم ورثوا الحزن والبكاء عن سلفهم يعقوب عليه السلام في حزنه على يوسف، كما ورثوا عنه الصلَع ووجع المفاصل من مصارعته المخلوق العلوي الذي نزل من السماء ليختبر قوة يعقوب البدنية قبل أن يصبح أبًا لأقوى شعب في العالم.. وهم بنو إسرائيل!! فبعد أن شدّ هذا الكائن السماويّ شعره أصابه الصلع، وعندما أمسك به من فخده ليطرحه على الأرض أصابه الروماتيزم والنقرس وعرق النسا، وصارت كل هذه البلايا وراثية في ذريته من بعده! فنجده في القاهرة شاكيا باكيا على الرغم من وصوله إلى أوج الشهرة في الطب حتى أصبح من زبائنه وأصدقائه الأديب المبدع الشيخ عبدالرحيم البيساني، الكاتب الخاص للسلطان، والوزير عماد الدين بن زنكي، بل صلاح الدين نفسه هو وكل من يقيم معه في قصره. وفي ترجمة موسى بن ميمون في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وغيره من المؤلفين نقرأ أن صلاح الدين قد استجاب له عندما أراد أن يؤسس مدرسة للطب، وتم افتتاحها في حي النحّاسين بالقاهرة، وقام هذا الطبيب اليهودي القادم من إسبانيا بإدارتها والتدريس فيها والقيام بشؤونها خير قيام. وبالرغم من ذلك يكتب في مقدمة رسالته إلى يهود اليمن (الرسالة اليمنية): أنا حقيقةً واحد من أقل العلماء قدرا في إسبانيا، أُهينت كرامته كثيراً في منفاه، ومع أنني كنت أصلُ الليل بالنهار في استيعاب شرائع ربنا، فقد عجزت عن مساواة أسلافي، بالنظر إلى قسوة الظروف، وما نزل بي من الاضطهاد. ذلك أننا لم نستطع المعيشة في سلام، فكيف إذن نستطيع أن ندرس التوراة، والنفي يرمي بنا من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر؟ وكنا نشتغل بلا توقف ولاراحة.

وفي رسالة أخرى كتبها عام ١١٨٤م يقول: ... وفي مصر تعرضت لمحن كثيرة، فمرضت، ثم ضاعت لي أشياء عديدة، وواجهت - زيادة على ذلك - تآمر أعدائي بالوشاية والنميمة ضدي. أما الضربة القاسية التي آلمتني أعمق الألم الذي عانيته في حياتي كلها، فكانت موت أكمل الناس، وخيرهم جميعا (يعني أخاه الأصغر داود) الذي غرقت به سفينة في المحيط الهندي أثناء رحلة للتجارة، ولم يصلني النبأ إلا بعد سنة من وقوعه.

موسى بن ميمون والمسلمون

وجاء خبر موته وأنا أصارع الحمّى وأغالب اليأس، ومع أن تلك الحوادث ترجع إلى ثمانية أعوام مضت، فإنني مازلت أنوح ولاأجد إلى العزاء سبيلا. فمن ذا الذي يستطيع مواساتي؟ فأخي هذا قد ربيّته في حجري، كان ابني، وتلميذي، وكان يعمل في كسب العيش ليعينني على البقاء منقطعا للبحث والدرس. أما هو فقد كان متعمقا في التلمود والتوراة، كما كان لغويا متبحّرًا، وكانت سعادتي الوحيدة أن أراه، أما اليوم فهذه السعادة قد طبّق عليها الظلام. لقد لحق هو بالأبدية، وتركني مُلقى في بلد غريب!

زعامة سياسية

في هذا البلد الغريب ـ القاهرة ـ وصل موسى ابن ميمون إلى ما لم يكن ممكنا أن يصل إليه أمثاله في مملكة داود وسليمان عليهما السلام. فهو في القاهرة طبيب القصر السلطاني الأيوبي، وعميد أطباء الدولة، وعميد مدرسة للطب قام بنفسه على إنشائها، وهو شيخ شيوخ اليهود في مصر، يرأس هيئة الأوقاف اليهودية الخيرية، وكان قاضيا في المحكمة الملّية اليهودية، وعضوا في المجلس الملّي لليهود. وقد تمّ العثور في مخطوطات مخزن المحفوظات للمعبد اليهودي بالفسطاط الذي يسمى (الجنيزة) باللغة العبرية، على نسخة من رسالة دورية أرسلها ابن ميمون في شهر تموز/ يوليه ١١٦٩م إلى كل يهود مصر يطلب منهم التبرع لدفع فدية الأسرى المسلمين في الحروب الصليبية، جاء فيها: «حفظهم الله تحت جناح رحمته، وبارك فيهم، جزاء ماسبق من عملهم من أجل الأسرى، وهذا الشيخ هارن اللاوي يحمل إليكم رسالة، تجب قراءتها على أسماع الجميع. وهو ـ حفظه الله ـ بصحبة واحد من أعضاء المجلس الملي لطائفتنا، أمرته أنا نفسي بمصاحبته. وعندما تُقرأ هذه الرسالة على مسامع الطائفة آمل ـ أيها الإخوة الأعزاء ـ أن تولوها ماتستحق من اهتمام، وأن تقوموا بعمل يستحق جميل الجزاء، اعملوا كما عملنا، نحن القضاة والشيوخ والعلماء: فنحن نطوف صباحا ومساءً متوجهين إلى هؤلاء وأولئك لالتماس جود إخواننا في المعبد، وفي المنازل، وفي السوق، للاشتراك في هذا العمل الخيري النبيل. وقد شارك كل منا في ذلك حسب ما في إمكاننا. فاحتذوا حذونا في مسألة الأسرى وبرهنوا على كرمكم المعروف حتى تحصلوا على جميل الجزاء. فإذا تمكنتم بفضل الله ورقّة قلوبكم أنتم أن تجمعوا هذه الأموال فتفضلوا بإعلامي شخصيا بذلك، وسلّموا المبالغ إلى الشيخ المحترم هارون اللاوي، المذكور أعلاه، وأنا على يقين بأنكم لاتحتاجون إلى من يذكركم بواجباتكم. وقاكم الإله تعالى أن يوقعكم في مكروه، وهو يحفظكم ويحرسكم بعنايته الكريمة. دامت سلامتكم أبد الآبدين». ولهجة هذه الرسالة تدل على أن الرجل قد ارتفع في الطائفة اليهودية بمصر إلى مستوى الزعامة السياسية.

وتذكر دائرة المعارف اليهودية أنه عيّن عام ١١٧٧م أمير «ناسيء» على الطائفة اليهودية بالفسطاط، أي ليهود مصر بأجمعها، وذلك بسعي من كاتب السلطان الأديب عبدالرحيم البيساني المعروف بلقب القاضي الفاضل؛ وظل محتفظا بكل مناصبه إلى أن توفي في القاهرة عام ١٢٠٤م. وترك له ابنا هو «أبراهام بن موسى بن ميمون» الذي ولد عام ١١٨٧م، أي كان ابن سبعة عشر عامًا عند موت أبيه، وقضى حياته كلها في السهر على شهرة أبيه وسمعته، والدفاع عنه ضد من يتهمه من نقّاده، وهم كثيرون. ولم يكن أبراهام ابن ميمون على مستوى أبيه علما وذكاء، مع أنه اشتغل بالعلوم الدينية اليهودية وألّف فيها بالعربية كتابا حاز بعض الشهرة عنوانه «كفاية العابدين».

وقد ترجم موريس ـ رؤوبين حيون العنوان إلى الفرنسية بما معناه: مكافأة الأتقياء. ولعله أخطأ في قراءة (كفاية) فقرأ (مكافأة)، واختار الأتقياء، والمؤلف يريد العابدين الذين يقنعون بما أمر الله به من الفرائض.

علمه ومؤلفاته

كان موسى بن ميمون، شأن كل مثقف في الأندلس، وفي قرطبة على الخصوص، يتقن العبرية بلهجاتها (للتوراة، والمشْنا ـ الشريعة الشفهية ـ والمدراش، في بعض أجزائه، ويشمل الكثير من التفسير للتوراة) كما كان متبحرا في اللغة الآرامية، شأن كل عالم يهودي متبحّر في التلمود، وكانت العربية الفصحى بشتى لهجاتها العامية، وبخاصة عربية حارات اليهود ـ هي لغته الأمّ، ثم إنه كان طلق اللسان بالإسبانية القديمة، وكان متينا في الحساب والرياضيات والهندسة والمساحة والفلك، مما يجعلنا نشعر بأنه كان على علم كاف باللاتينية واليونانية، وربما عرف البربرية في السنوات الطويلة التي قضاها في المغرب يتعلم الطبّ، كما أنه لتنمية هذه المعرفة المهنية، كان بحاجة إلى دراية واسعة بعلم الصيدلة وخصائص النباتات في صناعة الأدوية، خصوصا وقد اشتهر في مصر بالطب خاصة. ووصف الذين حضروا تشييع جنازته بأنه مشى وراءها مئات الآلاف من المشيعين، أكثرهم من المسلمين! ثم نقل جثمانه إلى طبرية ليدفن فيها. والعجيب أنه لم يوص بأن يدفن في القدس، ربما لأنه يعلم أن البقعة المقدسة المسماة بهذا الاسم يحرم فيها دفن الموتى، ويُدفنون بعيدا خارج أسوارها. أما طبرية فليست فيها أرض حرام. بل لعله كان يخشى من مواجهة صليبية إسلامية قد تؤدي إلى تهديم قبره لو أنه دُفن في القدس. أو ربما كان قد بلغه أن له أسلافا أقاموا قديما في طبرية ودفنوا بها، فآثر أن يلحق بهم.

أما أعماله العلمية فيمكن تقسيمها إلى قسمين: (أ) علوم دينية يهودية. (ب) علوم كونية عامة.

أما مؤلفاته في الدين اليهودي فأشهرها على الإطلاق كتاب «دلالة الحائرين» وهو بحث دقيق في العقائد اليهودية، حشد له من المعارف الفلسفية أمورا أثارت فتنة عارمة بين العلماء اليهود التقليديين، حتى أعلن كثير منهم تكفيره، وحاولوا أن يثيروا عليه غضب الأيوبيين، لكنهم فشلوا في النيل منه. وكتابه هذا أشبه بكتب الفلسفة منه بكتب الدين، وهو بعيد الأغوار، صعب الفهم، إذ يقول فيه بأن الله تعالى لايمكن تصوّره من المخلوقات، فهو المطلق واللانهائي، فوق الزمان والمكان والحوادث والمتغيرات، خال من المادة، مبرأ عن الشبيه، ذاته هي مجموع صفاته التي يستحيل فصل بعضها عن بعض، وهو في كماله الروحاني المحض يختلف عنا تمام الاختلاف، وهو ـ مع ذلك ـ يخاطب الناس بلغاتهم هم على ألسنة رسله، وهذه الألسنة التي ينزل بها الوحي الرباني تتجه إلى عامة الناس في حدود مستواهم من الفهم والعلم، أما الخاصة من العلماء فعليهم أن يؤولوا كلام الله تعالى إلى الروحانية البحتة والنورانية المجردة، ومن ثم أنكر البعث والنشور بالأجسام،

وجعل القيامة والثواب والعقاب والحشر والحساب للأرواح فقط! وذهب إلى أن الإنسان يعيش حبيس فكره المحدود، ولغته الضيقة الدائمة التحول والتغير، لأن العقل الإنساني محدود أيضا، ومتفاوت في ملكاته وطاقاته وقوته وضعفه، في حين أن حكمة الله تعالى وتدبيره وتصريفه لشؤون ملكه الذي لانعرف منه إلاّ أقلّه أمور أبدية سرمدية تسير بإرادة خالقها المهيمن عليها. وهنا يقف في تفصيل لغوي للتفرقة بين الإرادة والمشيئة بالنسبة لله تعالى. والكتاب شديد التعقيد يقول عنه الباحثون المحدثون إنه مزيج فلسفي من فكر أرسطا طاليس وفلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وابن طفيل وابن باجة، مع محاولة للتوفيق بين هذه الاتجاهات المتضاربة وما جاء به أنبياء بني إسرائيل في العهد القديم، مع تأويل مبالغ فيه يأخذ من مثاليات أفلاطون ومذاهب الأفلاطونية الجديدة.

وكانت الضجة التي أحدثها هذا الكتاب بين اليهود داعيا لترجمته - في حياة ابن ميمون - من العربية إلى العبرية. ترجمه الأديب اليهودي الأندلسي يهودا الحريزي ترجمة أدبية تختفي الآراء المثيرة فيه تحت شاعرية واضحة ومقصودة. ثم انبرى لترجمته (شموئيل بن تُبُّون» شيخ المترجمين اليهود الأندلسيين من العربية إلى العبرية. واحتاج إلى أخذ رأي المؤلف في بعض المواضع، فكتب إليه ليسمح له بزيارته في مصر لهذا الغرض. ولكن ابن ميمون ردّ عليه معتذراً بكثرة أعماله ومسؤولياته. ويبدو أنه تهرّب من مناقشات طويلة توقّعها من المترجم تنضاف إلى ما كان يواجهه من لغط حول هذا الكتاب. وتاريخ هذا الرد هو عام ١١٩٩م، جاء فيه :

برنامجه اليومي

«أمّا كتابتي إليك هذه الرسالة فالله يعلم أنني اضطررت إلى الانعزال في مكان لايستطيع أحد أن يطلبني فيه. ولكي أجد شيئا أعتمد عليه مثل حائط، أو أحيانا أكتب راقدا بسبب ما أصابني من فرط الضعف وكبر السن.

أما حضورك هنا، فأبادر بالقول بأنه يسعدني جدا، وبكل إخلاص أنا مشتاق إلى رؤيتك بالقرب مني، وفكرة مقابلتك تبعث في نفسي بهجة أكثر مما تتصوّر. ومع ذلك فإنه من واجبي أن أسدي لك النصح بألا تجازف بحياتك في هذه الرحلة الخطيرة، لأنني مع حرصي على التشرف باستقبالك ولقائك فإنه من الصعب أن تجد مني فائدة لك هنا. إذ لاتتوقع إمكان الحوار معي حتى لساعة زمان، بالنهار أو بالليل. وإليك توزيع أعمالي:

فأنا أسكن الفسطاط، على حين يقيم السلطان في القاهرة، وبينهما ضعف المسافة المسموح بها للانتقال يوم السبت (٢٥٠٠ خطوة تقريبا)، والخدمة الواجبة عليَّ عند السلطان صعبة جدا. فعليّ أن أكون حاضرا عنده مع الفجر. فإذا كان بعض أبنائه أو نسائه يشكو من مرض ما، كان عليّ ألا أعود من القصر إلى بيتي إلا متأخرا. وكثيرا ما يكون بعض ضبّاط السلطان مريضا فأضطر إلى علاجه. وهكذا أبقى في القاهرة من الفجر إلى مابعد العصر حيث أرجع إلى الفسطاط، هذا في

كتابه «دلالة الحائرين» تضمن آراء فلسفية أثارت فتنة بين العلماء اليهود التقليديين إلى درجة إعلانهم تكفيره

الظروف العادية، وأكون إذ ذاك في أقصى درجات الجوع، على حين أرى غرفة الانتظار تعجّ بالمرضى فأتناول بسرعة ماأسدّ به رمقي، وتكون هذه - في الحقيقة - هي وجبتي الوحيدة في النهار وأبدأ بعدها بفحص مَن عندي من المرضى، وأصف لكل منهم ما يناسب حالته، ويستمر ذلك إلى الليل. وأؤكد لك أن ذلك يمتد أحيانا إلى ساعة متأخرة من الليل، أتمدد أثناءها بين الفينة والفينة بسبب ما أجده من التعب الشديد.

لهذا السبب لا يستطيع أحد من إخواني في الدين أن يتحدث معي إلاّ يوم السبت. ففي هذا اليوم يحضرون عندي عقب صلاة الصبح ليسمعوا توجيهاتي الخاصة بالأسبوع التالي. ثم تأخذني القراءة والدرس إلى الظهر حيث ينصرفون، ثم يعود بعضهم ليستأنفوا الدراسة معي إلى الغروب. فهذا برنامجي ليوم السبت. وأنا لم أخبرك إلا بجزء مما قد تشاهده إذا حضرت لزيارتي! ومع ذلك، ولأنك قد أنجزت ترجمة «دلالة الحائرين» خدمة لإخواننا التي كنت قد بدأتها من قبل، فإنني أتمنى أن تحضر، لكن من دون أن تطمع كثيرا في فوائد تجنيها مني لدراساتك الخاصة، نظرا لما ذكرته لك آنفا من أعمال تزحم كل أوقاتي».

وإذا كان مؤرخوه من اليهود المعاصرين يرون فيه اعتذارا بضيق الوقت، فإنني أشعر بأن ترجمة دقيقة لهذا الكتاب المثير يوضع بأيدي اليهود الذين يجهلون العربية، سيكون من إضافة وقود إلى الحريق، ولاسيما إذا شاع بين اليهود أن هذه الترجمة قد راجعها مترجمها مع مؤلف الكتاب. وهو هنا يتهرب من ذلك المأزق حتى تبقى له - على الأقل - فرصة اتهام الترجمة بأنها غير دقيقة.

الرسالة اليمنية

وكنا قد ذكرنا أثناء حديثنا هذا رسالة عنوانها (الرسالة اليمنية)، وهي موجهة منه إلى يهود اليمن، لكن لأي سبب؟ لأنهم كانوا يعانون في ذاك الوقت من فورة من اللاسامية يمارسها السكان ضد اليهود وهي رسالة طويلة، دبّجها ابن ميمون بأسلوب عبري جميل، ينضح بالأخوة والعطف على أولئك التعساء. وهو فيها لايبدو طبيبا ولا مجتهدا في الدين، بقدر مايبدو موجها سياسيا ويهوديا قوميا. يقول فيها: إخواني: تَقَوَّوْا ... تشجعوا .. شدّوا أزركم بفضل هذه الآيات البينات، ولا يهولنّكم الاضطهاد مهما تكرر وتوالى بسرعة.. ولاتفزعنكم القسوة، ولا ما في أمتنا من الضعف.. فما ذلك إلاّ اختبار ومحنة ليظهر للدنيا بأجمعها إيمانكم وإخلاصكم.. حتى لايبقى في هذه الأزمات إلاّ سادة يخافون الله، من ذرية يعقوب، الذرية الخالصة المخلصة التي أشار إليها الكتاب بقوله:«فبما أنكم أخذتم فضتي وذهبي، وأدخلتم نفائسي الفاخرة إلى هياكلكم، وبعتم أبناء يهودا وأبناء أورشليم لأبناء اليونان، لتنفوهم من بلادهم ، فهأنذا أنهضهم من الموضع الذي بعتموهم فيه، وأقلب عدوانكم على رؤوسكم. (العهد القديم - سفر النبي يوئيل ٣:٥ ومابعدها).

أما مولفات موسى بن ميمون في الشريعة اليهودية وفي العلوم الكونية فأهمها:

١- السراج في شرح الشريعة الشفهية (المِشنا)، وهي في عرفهم تعادل السنّة عندنا.

موسى بن ميمون والمسلمون

٢- شرح الفصول الثمانية، وهي مقدمة لقراءة سفر «فقرات الآباء» من المشنا.

٣- رسائل أهمها «رسالة اليمن» التي ذكرناها - مقالة في الاستشهاد أثناء الاضطهاد، وهي التي اشتهرت، في موضوع الخروج من الدين اليهودي بالإكراه - مقالة في البعث والنشور.

٤- كتاب أحكام المشنا في أربعة عشر جزءا، يجمع الأوامر والنواهي في الدين اليهودي.

٥- كتاب الأوامر، وهو مقدمة لدارسي التوراة والمشنا. وقد نتناول ذلك فيما بعد إن شاء الله.

٦- تأليف في علم الفلك، خاصّ ببدايات السنوات في التقويم اليهودي.

٧- كتاب في مصطلحات المنطق.

٨- مختصرات طبية من كتب أبقراط الطبيب اليوناني، عنوانها «فصول موسى». وعلى بعضها ملاحظات مختارة من جالينوس أيضا.

٩- شرح أسماء العقاقير، وهو مرتب ترتيبا أبجديا.

١٠- دراسة في البواسير.

١١- دراسة في الجماع، والعلاقات الحميمة بين الرجال والنساء.

١٢- رسالة في مرض الربو.

١٣- كتاب السموم والتحرّز من الأدوية القاتلة.

١٤- رسالة في تدبير الصحة.

١٥- رسالة في بيان العَرَض (الدالّ على المرض).

من ترجمة القفطي له

طبقت شهرة موسى بن ميمون الآفاق، وخصّه العرب والمسلمون بتراجم دقيقة في كتبهم التي تتناول تاريخ الفلاسفة والحكماء والأطباء. وقد اخترت منها ما أورده القفطي من كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» لمؤلفه الوزير جمال الدين أبو الحسن بن القاضي الأشرف يوسف القفطي، المتوفى سنة ٦٤٦هـ - قال: موسى بن ميمون، الإسرائيلي. كان هذا الرجل من أهل الأندلس، يهودي النحلة. قرأ علم الأوائل بالأندلس، وأحكم الرياضيات، وأخذ أشياء من المنطقيات، وقرأ الطب هناك، فأجاده علمًا، ولم يكن له جسارة على العمل. ولما نادى عَبدالمؤمن بن علي الكومي البربري المتولي على المغرب في البلاد التي ملكها بإخراج اليهود والنصارى منها، قدّر لهم مُدة وشَرَطَ لمن أسلم منهم بموضعه على أسباب ارتزاقه ما للمسلمين، وعليه ما عليهم. ومن بقي على رأي أهل ملته، فإما أن يخرج قبل الأجل الذي أجّله، وإما أن يكون بعد الأجل في حكم السلطان: مستهلك النفس والمال. ولمّا استقر هذا الأمر خرج المختفون، وبقي من ثقل ظهره، وشحّ بأهله وماله، فأظهر الإسلام وأسرّ الكفر.

فكان موسى بن ميمون من فعل ذلك ببلده، وأقام. ولمّا أظهر شعار الإسلام، التزم بجزئياته من القراءة والصلاة. ففعل ذلك إلى أن مكنّته الفرصة من الرحلة، بعد ضم أطرافه في مدة احتملت ذلك. وخرج عن الأندلس إلى مصر، ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط، بين يهودها، فأظهر دينه، وسكن محلّةً تُعرف بالمَصيصَة، وارتزق في التجارة في الجوهر وما يجري مجراه، وقرأ عليه الناس علوم الأوائل، وذلك في أواخر أيام الدولة المصرية العلوية (أي الفاطمية). وراموا استخدامه في جملة الأطباء، وإخراجه إلى ملك الإفرنج بعسقلان، فإنه طلب طبيبا، فاختاروه، فامتنع من الخدمة والصحبة لهذه الواقعة. ولمّا ملك مصر المعزّ (يقصد بني أيوب) - وانقضت الدولة العلوية، اشتمل عليه القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي البيساني، ونظر إليه، وقرر له رزقا. فكان يشارك الأطباء، ولاينفرد برأيه، لقلة مشاركته. ولم يكن رفيقا في المعالجة والتدبير. وتزوج بمصر أختا لرجل كاتب من اليهود يعرف بأبي المعالي، كاتب أم نور الدين علي المدعو بالأفضل بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأولدها ولدًا هو اليوم طبيب بعد أبيه بمصر، وتزوج أبو المعالي أخت موسى وأولدها أولادا، منهم أبو الرضى، طبيب ساكن عاقل، يخدم آل قليج أرسلان ببلاد الروم. ومات موسى بن ميمون بمصر في حدود سنة خمسين وستمائة (غير صحيح لأن القفطي مات قبل ذلك) وتقدم إلى مخلفيه أن يحملوه إذا انقطعت رائحته إلى بحيرة طبرية ويدفنوه هناك، طلبا لما فيها من قبور بني إسرائيل، ومقدَّميهم في الشريعة، ففُعل به ذلك، وكان عالمًا بشريعة اليهود وأسرارها، وصنّف شرحا للتلمود، الذي هو شرح التوراة وتفسيرها (هكذا يزعم اليهود، وهو زعم مرفوض علميًا في رأي كاتب هذا المقال) وبعضهم يستجيده. وغلبت عليه النحلة الفلسفية، فصنف رسالة في إبطال المعاد الشرعي. وأنكر عليه مقدَّمو اليهود أمرها، فأخفاها إلاّ عَمَّنْ يرى رأيه في ذلك. وصنف مختصرا لواحد وعشرين كتابا من كتب جالينوس، بزيادة خمسة على ستة عشر، فجاء في غاية الاختصار وعدم الفائدة، لم يفعل فيه شيئا. وهذّب كتاب «الاستكمال» لابن أفلح الأندلسي في الهيئة (أي علم الأرصاد الفلكية) فأحسن فيه، وقد كان في الأصل تخليط. وهذّب كتاب «الاستكمال» لابن هود في علم الرياضة، وهو كتاب جامع جميل، يحتاج إلى تحقيق، فحقّقه وأصلحه وقُرئَ عليه. وابتلي في آخر زمانه برجل من الأندلس فقيه يُعرَف بأبي العرب بن معيشة، وصل إلى مصر، واجتمع به، وحاققه على إسلامه بالأندلس ، وشنّع عليه، وأدام أذاه. فمنعه عنه عبدالرحيم بن علي الفاضل، وقال له: رجل مكره لايصلح إسلامه شرعا.

وبعد، فقد اخترت ترجمته من كتاب ابن القفطي لأنه قرينه في العصر والمصر، خصوصا بعد أن استقر موسى بن ميمون في مصر وقضى بها الجزء الأكبر من حياته وإنتاجه الفكري. كما أنه يتبين لنا من خلال هذه السيرة كيف كان العالم المسلم موضوعيا، ينقل ماوصل إليه من معلومات من غير انفعال أو تعصب، حتى لو كان الأمر يتعلق بغير المسلمين، وكيف كان العلماء في ذلك الزمان البعيد يعرفون عن اليهود والنصارى والصابئين أكثر مما يعرفه علماء عصرنا، بعد ألف سنة أو تزيد. بل إن الرحالين من أمثال البيروني وابن حوقل ومسعر بن مهلهل كانوا يعرفون أكثر مما نعرف عن الهند والصين وأرمينيا وأقاليم الجنوب الروسي وسرنديب (سريلانكا) بما فيها من المسلمين وأهل الكتاب والكفار الوثنيين. ولعل هذه الإلمامة السريعة تُحفّز بعض الأصدقاء من القراء على الاهتمام بأحوال العالم الكبير الذي حولنا، فذلك - فيما يظهر لي - من أهداف هذه المجلة، إذ ألمس فيها حرصا على توسيع آفاق الثقافة توسيعا جادا وشاملاً.

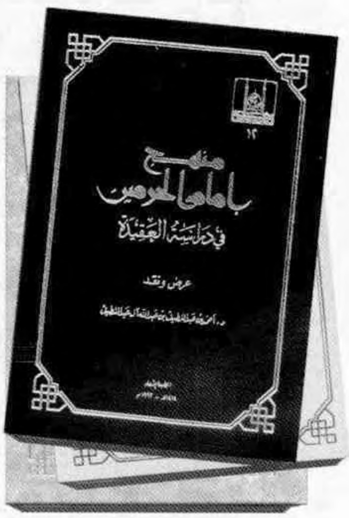
صدر عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

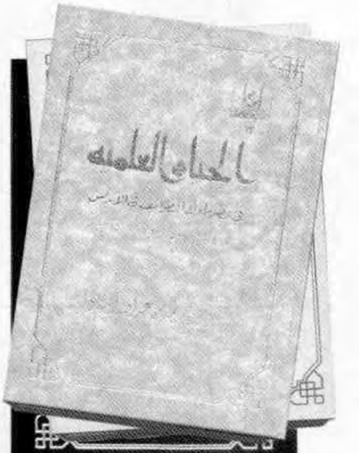
الكتب التالية :



الاستشراق في الأدبيات العربية:
عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب
للدكتور علي بن إبراهيم النملة



منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة
عرض ونقد :
للدكتور أحمد آل عبد اللطيف



الحياة العلمية
في عصر ملوك الطوائف في الأندلس
للدكتور سعد بن عبد الله البشري

حوار مع

د. صابر عبدالدايم :



الحداثة هي الإبداع المتفوق لغة وصوراً

أجراه : محمد سيد بركة

الدكتور صابر عبدالدايم شاعر، وناقد، وأستاذ جامعي متخصص في الأدب والنقد، نشأ أزهريا، أو تربى في الأزهر الشريف منذ صباه حتى حصل على أعلى درجة علمية أزهرية، وهي درجة «الأستاذية» حيث لازال يعمل إلى الآن أستاذًا بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (فرع الزقازيق)..

منحته موهبته الشعرية فرصة الفوز في العديد من المسابقات الأدبية التي أقامتها بعض الجهات الأدبية والهيئات الثقافية وبخاصة في مطالع شبابه وتفتح موهبته..

دفع إنتاجه الشعري الغزير باحثا إلى دراسة شعره في كتاب بعنوان: «أبعاد التجربة الشعرية في شعر صابر عبدالدايم».. التقيناه فكان لنا معه هذا الحوار:

ـ هل يمكن إعطاؤنا لمحة عن البدايات؟ ولماذا اتخذتم من الشعر بالتحديد وسيلة للتعبير دون غيره من الوسائل الإبداعية الأخرى؟

ـ البدايات لدي تمتد إلى طفولتي، وأحمد الله أنها كانت طفولة متزنة في ظل والد كريم سمح.

وقد أنعم الله عليَّ بحفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، والتحقت بعد ذلك في سن الحادية عشرة بالمعهد الديني بالزقازيق، ثم التحقت بكليات اللغة العربية بالقاهرة، وكانت أملا تحقق لي، وفي المعهد الديني وفي الكلية بدأت الموهبة الأدبية تنمو وتتطور، واحتل الشعر المكانة الأولى في اهتماماتي الأدبية، والشعر هبة من الله وموهبة يتعهدها صاحبها بالصقل والتجويد، وأعتقد أن الموهبة أولاً ثم الرغبة في ازدهار هذه الموهبة هما السر في اختياري الشعر وسيلة للتعبير في مجال الإبداع. ومن دلائل هذا الاختيار أنني أقدمت على طبع ديوان شعر لي وأنا في السنة الأولى بالكلية بالاشتراك مع الصديق الراحل الشاعر عبدالعزيز عبدالدايم من كلية دار العلوم عام ١٩٦٩م.

وحصلت على جوائز كثيرة في التفوق الشعري في مصر وفي العالم العربي، ومع ذلك فليس الشعر هو الفن الإبداعي الوحيد الذي اتخذته وسيلة للتعبير، وإنما أجدني أكتب القصة القصيرة، ولكني مقل جدا في هذا المجال..، كذلك أكتب المقالة الإبداعية التي تقترب من دائرة الشعر. وتقترب من فن السيرة الذاتية..

ألست معي: أن النقد إبداع جديد للنص، وكتاباتي النقدية ترتبط بكتاباتي الإبداعية. وبخاصة في مجال تحليل النصوص الشعرية، ولي في هذا المجال دراسات متعددة منها «التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث» و«الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق» و«شعراء وتجارب»..

ـ ماذا يعني مصطلح الأدب الإسلامي؟

مصطلح الأدب الإسلامي يعني ـ في رأيي وفي تصوري الإبداعي والنقدي ـ أنه الأدب النابع من وجدان مشبع بالعاطفة

الإسلامية، وممتزج بتعاليم الإسلام الصافية النقية. وهذه السمة الوجدانية الإيمانية تتسم بها الأنواع الأدبية كلها من شعر وقصة ورواية ومسرح ومقال أدبي.

فالأديب المسلم تنطلق تجاربه من نبع إيمانه الفياض بالتسليم المطلق لخالق الكون جل وعلا، وهو يمزج هذه الانطلاقة الإيمانية بالتأمل في مشاهد الكون والنظر في ملكوت السماوات والأرض، واستجلاء معالم القدرة الإلهية في صنعة هذا الكون البديع المتناسق..

والأديب المسلم في غمرة تجاربه الإيمانية والتأملية لايكون بمعزل عن واقع الحياة ومشاغل الإنسان وآماله وأحلامه، فهو في تجاربه الأدبية ووسائله التعبيرية يستجلي أسرار الحياة، ويبحث عن منافذ الخلاص للإنسان عبر رؤية إسلامية متميزة تصاغ معالمها في قالب فني مؤثر..

ـ ماعلاقة الأدب الإسلاميّ بالمذاهب الأدبية العالمية العقدية منها والفنية، هل ينكرها أو يرضاها؟ هل يتفاعل معها أو ينأى عنها؟

ـ الأدب الإسلامي هو أدب الفطرة الإنسانية الصحيحة التي نجت من شوائب التصوّر البشري، ولذلك نرى الأدب الإسلامي لايتصادم مع مافي المذاهب الفنية الأدبية من وسائل تعبيرية، وقيم أسلوبية. فالفن والجودة في الصياغة هما معيار تفوق العمل الأدبي، والمضمون الإسلامي هو مايميز الأدب الإسلامي من غيره من الآداب.

ولذلك أرى أن الأديب المسلم يمكن أن يكون أديبًا في الإطار (الكلاسيكي، وأيضا في الإطار (الرومانسي). وكذلك في الإطار الواقعي.. والرمزي و(البرناسي).. ولكن هذه الأطر الفنية لابد أن تغلّفها رؤية إسلامية، وهذه الرؤية تصبغ الأدب الإسلامي بصبغة التفرد والخصوصية، حيث ينأى عن مثالب هذه المواهب الفنية والعقدية، فليس في الأدب الإسلامي عبث ولاعدم جدوى، كما يرى «كامي» وليس فيه إهدار لمعقولية الحياة والوجود وعدم الانتماء كما يرى «كافكا» وليس فيه حرية أخلاقية مطلقة من كل قيد كما يرى «سارتر» وليس فيه تناقضات نفسية لانهاية لها تنتهي دائما بالضياع كما يرى «دستويفسكي».

فالفن الإسلامي كما يقول الدكتور عماد الدين خليل في هذا السياق يستمد تجاربه الوجدانية من خلال الحقيقة لا الزيف، ومن الاستقامة لا الانحراف، وانطلاقا من هذا التصور فإن الأدب الإسلامي يصادم الوجودية والشيوعية والخيالية السريالية؛ لأن هذه المذاهب تقوم على الوجود المادي الذي لايؤمن بالغيب، ولايؤمن بالله عز وجل، والمذهب الخيالي السريالي، يقوم على إنكار العقل.. ويعمد أصحابه إلى الهوس والجنون والتجديف في عالم الأخيلة العابثة والأساطير الواهمة..

ـ يرى البعض أن الالتزام مصادرة لحق الإبداع والفكر.. فما رأيكم في ذلك؟

ـ هناك فرق كبير بين «الإلزام» و«الالتزام».. فالإلزام يمثل مصادرة لحق الإبداع والفكر؛ لأنه يمثل ضغطا خارجيا، وفرض رؤية على الأديب عليه أن يتحرك في إطارها مثل الأدب الشيوعي الذي ينطلق من مبادئ مسبقة، تتخذ من المجتمع وقضاياه ستاراً تخفي وراءه كل ماتكنه للبشرية من أحقاد وشرور وتدمير، وقد تهدمت هذه المبادئ على رؤوس أصحابها، وانقلب أنصارها المقهورون إلى خصوم قاهرين وشامتين..

أما الالتزام فهو نابع أساسا من قناعة الأديب بما يعتقده.. ومايتخذه إطارًا لرؤيته..، وما يبثه في نفوس المتلقِّين من قيم ومبادئ. والالتزام بالرؤية الإسلامية يمثل ذروة الالتزام الأدبي النابع من يقين صادق وقناعة كاملة.. بحتمية التصور الإسلامي لإنقاذ البشرية من الصراع المدمر.. ومن موجات العبث والفساد في الرؤى والتصورات..

ـ هل هناك حركة نقدية تقوم بتقويم الإبداع الإسلامي؟

وإلى أي مدى تشارك هذه الحركة النقدية في رفع الأدباء إلى المستوى المأمول؟

ـ نعم تتمخض الحياة الأدبية في العالم العربي والإسلامي الآن عن حركة نقدية تنطلق في أحكامها من منظور فني يضع الرؤية الإسلامية في إحدى كفتي الميزان النقدي. وأحسب أن هذه الحركة بدأت الآن تتخذ مسارها الصحيح المتفاعل مع الإبداع الأدبي الإسلامي، وتتمثل هذه الحركة في نشاط رابطة الأدب الإسلامي العالمية النقدي ممثلاً في مسابقة القصة والرواية التي أظهرت للحياة الأدبية أصواتا إسلامية جيدة في فنَّي القصة والرواية على مستوى العالم العربي.

وتتمثل هذه الحركة النقدية أيضا في النتاج النقدي لأعضاء رابطة الأدب الإسلامي.. وللأساتذة المتخصصين في النقد الأدبي مثل الدكتور عماد الدين خليل، والدكتور عبدالباسط بدر والدكتور حلمي القاعود، والدكتور حسين علي محمد، والدكتور عبدالقدوس أبو صالح وغيرهم كثير..

ويعد كتاب «الورد والهالوك» للدكتور حلمي القاعود وكتاب «القرآن ونظرية الفن» للدكتور حسين علي محمد، وكتاب «الأدب الإسلامي ضرورة» للدكتور عبده زايد، وكتاب «الأدب الإسلامي» للدكتور محمد بن سعد بن حسين، وكذلك كتابات الدكتور عبدالباسط بدر. من أهم الكتب التي تشارك في تقويم الحركة النقدية والأدبية عبر رؤية إسلامية متفتحة على المنجزات النقدية الحديثة. ولكني لا أرى أن النقاد الإسلاميين لايزالون في مرحلة التجريب أو المخاض، فهم يتعاطفون غالبا مع المضمون الإسلامي، ويضحّون كثيرا بالصياغة والإطار الفني، فكثير من إبداع الأدباء الإسلاميين يدور في إطار الصياغة التقليدية والمعاني المباشرة، أو الأساليب الخالية من الإيحاء.

ونحن نريد أدبا إسلاميا عالميا ينافس في رؤاه الفنية مايبدعه الآخرون في ظل التقنيات الحديثة رواية وقصة وشعرًا، ومسرحا، نريد

التجديد في لغة القصيدة وخيالاتها مع التزام الرؤية الإسلامية. نريد صياغة الواقع وفق المنظور الإسلامي في قالب روائي جديد متطور متفوق في رسم الشخوص، والمواقف، وفي الكشف الفني لعبقرية المكان، وفي تحديد المصائر للشخصيات الروائية في إطار التصور الإسلامي.

ـ كيف تفهم الحداثة؟

ـ الحداثة في تصوري الخاص هي الإبداع المتفوق لغة وصورا وإيقاعا متزامنا وسابقا لإيقاع العصر.. وهي في هذا الإطار غير مرفوضة حين يلتزم المبدع الاتجاه الأخلاقي والإنساني في أدبه.

وتبلغ هذه الرؤية ذروة النضج حين تدور في فلك الرؤية الإسلامية.. أما الحداثة في عرف أصحابها والمدافعين عنها فهي شيء آخر، إنها تجاوز المألوف، وزلزلة الثوابت، والتمرد على كل مايقره العقل، إنها الهدم ثم محاولة البنيان المشوه الذي سرعان ماينقضّ ويتهاوى.. والحداثة عند منظّريها تصادم المكونات الدينية في النفس البشرية وتتعامل مع غرائز الإنسان في صورتها الدنيا، ولاتعترف بأعراف أو قوانين تنظم العلاقة بين عنصري الوجود البشري «الرجل والمرأة».

إن الحداثة تنطلق من منظور متمرد على كل مافي الحياة من قيم سائدة وأعراف إيجابية، وهي مرفوضة ـ حسب هذه الصورة ـ شكلا ومضمونا.

ـ ما مدى اطلاعكم على النتاج الشعري العربي الحديث؟ وما رأيكم فيما وصل إليه؟

ـ إنني أتابع حركة الشعر العربي الحديث والمعاصر بداية من البارودي إلى اليوم، فقد استقرأت معظم نتاج مدرسة الإحياء والبعث، مدرسة شوقي ورصفائه، وتأثرت كثيرا بالنتاج الإبداعي لشعراء مدرسة أبولو، ومدرسة الديوان، ومدرسة المهجر، ولي دراسات نقدية ترصد جوانب الإبداع الفني في هذه المدارس الشعرية.

وإنني على صلة فنية ونقدية بنتاج مدرسة الشعر الحر «شعر التفعيلة»، ومعظم نتاجي الشعري يصاغ في القالب الإيقاعي لشعر التفعيلة، ولكني أختلف مع رؤاهم الشعرية..، وجيل الروّاد أمثال: صلاح عبدالصبور، ونازك الملائكة، وعبدالمنعم عواد يوسف، وحسن فتح الباب، لم ينزلقوا إلى الخزعبلات السطلية والألاعيب اللفظية التي سيطرت على القصيدة الحداثية في الوقت الراهن، وكذلك لم يقع في أسر اللعبة السطلية شعراء الجيل الثاني بعد جيل الرواد مثل: فاروق شوشة، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وأحمد سويلم، فشعرهم يرتبط بوهج التجربة الشعرية..

وشعر غازي القصيبي، وعبدالرحمن العشماوي، ومحمد بنعمارة، وحسين علي محمد، وأحمد فضل شبلول، وعبدالله شرف، وفاروق جويدة، وإسماعيل عقاب، ومحمود مفلح، يستشرف معالم الرؤية الإسلامية ويعيد تشكيل الرؤى والتجارب ابتغاء الوصول إلى واقع حضاري مسلم جيد.

أما جيل الحداثة الذي يسعى إلى تدمير اللغة ونسف الجسور بين الواقع والماضي فهو جيل الهالوك، وهو الذي أوصل القصيدة الحديثة إلى شكل هلامي مشوه الملامح، شاذ القسمات، موغل الضبابية، مغرق في الأوهام، يجري ويلهث وراء التجديدات حتى ولو كانت ألاعيب حُواة، وخزعبلات مشعوذين..

والفكر الشيوعي يغلف رؤاهم ويسيطر على تجاربهم، وصاحبا «آية جيم» وفقه اللذة ـ تأمل غرابة العناوين وجرأتها على النصوص الدينية. وهما حسن طلب وحلمي سالم، وكذلك عبدالمنعم رمضان وقعوا جميعا في لعبة الشكل.. وقادهم وهم الريادة والتجديد إلى طريق مسدود. وفقد شعرهم التواصل مع الجماهير؛ لأنهم يتوجهون إليهم بخطاب شعري مجهول النسب والعنوان، غريب الرؤى والتصورات.

الحداثة هي الإبداع المتفوق لغة وصوراً

ـ كيف نتعامل مع الأدب الإسلامي الذي أبدع بلغات أخرى تنطق بها شعوب إسلامية غير عربيةّ؟

ـ التعامل مع الأدب الإسلامي الذي أبدع بلغات غير اللغة العربية يتم عن طريقين:

أ ـ الترجمة الفنية الدقيقة لهذه النصوص مع الاحتفاظ قدر الإمكان بروح اللغة المترجم عنها، وبوهج التجربة ونقلها في صورتها التي كتبت بها وهذا باب جد عسير. فالترجمة غالبا ماتُذهب جماليات النص. ويبقى المضمون والصُور الجزئية التي تغلف ذلك المضمون.

ب ـ قراءة هذه النصوص في مصادرها الأصلية واكتشاف جمالياتها؛ لأن لكل لغة قيما تعبيرية، ورؤى تشكيلية، وطرقا تركيبية للعبارة والجملة، وخصائص صوتية.

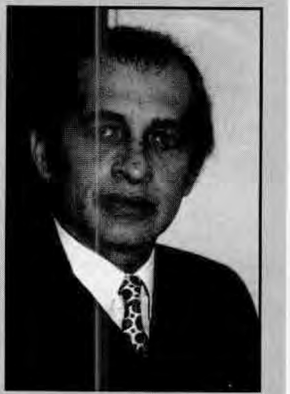
ويقع العبء الأكبر في هذ االمجال على أقسام اللغات الشرقية والأوربية بالجامعات العربية والإسلامية.

وعلى الأدباء الإسلاميين الناطقين بغير العربية أن يتقنوا اللغة العربية إتقانا فنيا جيدا، فهم الوسطاء الحقيقيون في نقل أدبهم إلى اللغة العربية محتفظا بدفئه وجمالياته ومضمونه الإسلامي الرائع.

وحين يتحقق هذا الهدف الكبير فإن الأدب الإسلامي سيكون أدبا عالميا في رؤاه النابعة من مقومات التصور الإسلامي في كل زمان وفي كل مكان وهي الربانية ـ الثبات ـ التوازن ـ الواقعية ـ الإيجابية ـ الشمولية ـ التوحيد..

ويكون عالميا في طرائقه التعبيرية وصورة الفنية وإيقاعاته الداخلية؛ لأن الشعوب الإسلامية تشكل أكثر من نصف العالم.. ومازال الإسلام يكسب أنصارًا جيلاً بعد جيل.

قصيدتان مجهولتان لشاعر مجهول



د. علي شلش

في سنة ١٩٨٥م نشرت ديوان شاعر مجهول تناثرت قصائده في الصحف والمجلات، هو فخري أبو السعود. وكان ما لفت انتباهي إليه أنه نشر تلك القصائد جميعا قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره أي إنه كتب شعره في مرحلة التوهج التي يمر بها شعراء كثيرون بعد سن العشرين. فبين سن الثالثة والعشرين وسن الثلاثين نشر أبو السعود جميع قصائده المتاحة اليوم. وفي سن الثلاثين ودع هذا العالم وانتقل إلى العالم الآخر.

ولم يكن التوهج في الإبداع والتعبير الشعريين هو وحده الذي لفت انتباهي إلى شعر ذلك الشاب الموهوب المثقف ثقافة رفيعة، صاحب المبادرات الناضجة في الترجمة عن الإنجليزية والمقارنة بين الأدبين العربي والإنجليزي. بل لفت انتباهي أيضا أن شعره يجمع بين المزاج الرومنتي والتعبير الكلاسي. ومع أنه لم يكن وحده في هذا الجمع الغريب غير المألوف فقد نجح في هزِّ رصانة التعبير الكلاسي، وبث الحرارة في معجم المفردات الموروثة.

بلغ مجموع القصائد التي استطعت اصطيادها من مجموعات الصحف والمجلات التي نشرت لأبي السعود خمسا وثمانين قصيدة، وهو رقم غير عادي، يدل على توهج موهبة صاحبه الشعرية من ناحية، وإقبال محرري الصحف والمجلات على شعره من ناحية أخرى. فإذا علمنا أن هؤلاء المحررين لم يكونوا من طراز عادي، وأن من بينهم أدباء مرموقين (أحمد حسن الزيات محرر «الرسالة» وأحمد أمين محرر «الثقافة») أدركنا مدى ذلك الإقبال (نشرت «الرسالة» ٦٤ قصيدة، ونشرت «الثقافة» ١٢ قصيدة من المجموع المشار إليه) وليس المقصود من كتابة هذه المقالة أن نعرض لحياة أبي السعود أو نحلل شعره. فقد سبق أن درسنا هذين الموضوعين بإفاضة في مدخل ديوانه.(١) ولكن المقصود أن نقدم قصيدتين مجهولتين لهذا الشاعر الموهوب سبق أن نشرهما بمجلة «أبوللو» سنة ١٩٣٣م ولم نهتد إليهما عند جمع ديوانه. وبذلك يصل مجموع قصائده المنشورة - حتى اليوم - إلى سبع وثمانين قصيدة. وأقول «حتى اليوم» لأن القطع والجزم في هذه الأمور مجلبة للتعميم وإلغاء للاحتمال. فقد نعثر، أو يعثر غيرنا، على قصيدة أخرى أو أكثر فيكون في ذلك كسب للشعر ولأبي السعود معا.

قبل أن نقدم هاتين القصيدتين المجهولتين يحسن بنا التوقف قليلاً جداً عند الشاعر وشعره، حتى نربط الماضي بالحاضر.

عاش فخري أبو السعود ٣٠ سنة (١٩١٠ - ١٩٤٠م)، ودرس بمدرسة المعلمين العليا (كلية المعلمين فيما بعد)، وتخرج فيها سنة ١٩٣١. وفي العام التالي سافر في بعثة دراسية إلى إنجلترا، حيث درس أصول التربية، وتعمق في دراسة اللغة الانجليزية بجامعة إكستر، وتزوج إنجليزية. وفي سنة ١٩٣٤م عاد إلى مصر، حيث عين مدرسا بالتعليم الثانوي في الإسكندرية التي عاش بها حتى وفاته. ومنذ عودته أقبل بصورة مدهشة على نشر الشعر والمقالات والترجمة، حتى ترك - عدا قصائده - سبعا وسبعين مقالة، منها نحو ست وخمسين مقالة في الأدب المقارن، وكتابا في تاريخ الثورة العرابية، وترجمة لرواية «تس سليلة دربرفيل» للأديب الإنجليزي توماس هاردي.

كان أبو السعود في شعره رومانتي المزاج كلاسي الصياغة كما أشرنا.

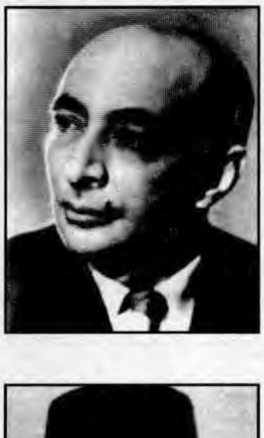
وكانت رومانتيته واضحة الظهور في خصائص معينة، مثل الميل إلى التأمل، والحزن والتشاؤم، والشعور بالغربة، والعاطفة الفياضة نحو الإنسان والحيوان، والتعلق بالمرأة والطبيعة. ولكن هذه الخصائص الرومانتية الواضحة لم تبدد حسه الوطني والقومي والإسلامي النادر في مثل سنه وجيله. وله في هذا الجانب أكثر من عشر قصائد قوية النبرة إنشادية الجرس. وكانت كلاسيته تتركز في الصياغة والتعبير. فهو من ناحية الأوزان الشعرية يؤثر وزنا بعينه هو الكامل، ويتجنب مجزوء البحور إلا نادرا، مع التزام تام بالقافية الواحدة. وهو من ناحية البناء الشعري يستعين بالكثير من أدوات القدماء مثل حسن التقسيم، وتعريف النكرة غير المقصودة. وهو من ناحية المفردات دائم المتح من بئر المعجم المألوف عند الجاهليين والعباسيين بصفة خاصة.

ولايعني هذا أن شعر أبي السعود تقليدي بغير طابع أو شخصية.

فهو من بدايته إلى نهايته شاعر مجاهد مجتهد بالرغم من ميله العام إلى المحافظة والتحفظ. بل هو شاعر غني المادة متنوع الموضوع، فيه رصانة القدماء وحيوية المحدثين.

نعود إلى القصيدتين المجهولتين فنقول: إنه نشرهما بمجلة «أبوللو» التي اشتهرت - برغم عمرها القصير جدا - بالتجديد واستقطاب المجددين من شباب الثلاثينيات. وأعترف أنني عند جمع أشعاره أقصيت مجلة «أبوللو» عن المظان المحتملة لشعره المنشور، وشجعني على هذا الإقصاء أنني لمست فيما قرأته له من شعر روحا محافظة، وابتعاداً عن التجديد بالمعنى الواسع. كما شجعني خلو كتاب «جماعة أبوللو» الذي نشره الدكتور عبدالعزيز الدسوقي خلال الستينيات من أي إشارة إلى أبي السعود كمساهم في النشر بالمجلة. ولكنني فوجئت وأنا أقلب في أعداد مجلة «أبوللو» أخيرًا بأن أبا السعود نشر بها ثلاث قصائد: قصيدتين سنة ١٩٣٣، وثالثة سنة ١٩٣٤م بعنوان «بني مصر» أعاد نشرها بمجلة الثقافة في ذات الأسبوع أو بعده بقليل. ولما كنت ضممت هذه القصيدة إلى ديوانه فقد بقيت القصيدتان الأوليان.

أما أولى هاتين القصيدتين فعنوانها «شروق الشمس»(٢). وقد ذيلها بعبارة «إكستر - إنجلترا» التي ذيل بها بعض قصائده المكتوبة في إنجلترا، أو المرسلة من هناك. وفي هذه القصيدة تتجمع بعض خصائص شعره التي أشرنا إليها، مثل التعلق بالطبيعة وعناصرها ومفردات المعجم الموروث (بحر الروم: البحر المتوسط، جلواء، العباب، الخ) ولكن فيها أيضا خصيصة أخرى لم نشر إليها، هي إضفاء صفات الإنسان على غير جنسه، فالشمس هنا حورية حسناء تسر العين والخاطر. وهذه من خصائص الشعر القديم على أي حال برغم انتشارها في الشعر الحديث.



إبراهيم ناجي



أحمد أمين

وأما القصيدة الأخرى فعنوانها «موت الصداقة»(٣). ومع أنه لم يذيلها بالعبارة المذكورة فأغلب الظن أنها كتبت في إكستر أيضا.

وفيها يظهر ميله إلى التأمل. ومن التأمل تتداعى إلى ذهنه الحِكَمُ والمأثورات. وتشترك القصيدة مع سابقتها في الدوران حول موضوع واحد محدد دون الخروج منه أو عليه، على عكس المألوف في الشعر الغنائي. وبالرغم من سلاسة الصياغة - وهي هنا كلاسية - وألفة المفردات لانعدم أصداء قراءات الشاعر ومحفوظاته؛ ولكن موهبته نجحت في صهر هذه الأصداء ونسبتها إليه كما هو واضح.

غير أن الفرح الذي يبديه الشاعر لشروق الشمس لايلبث أن ينقلب هَمًّا وغمًّا عند مواجهة إساءات الأصدقاء، أو من كان يحسبهم أصدقاء.

ومع ذلك، لاتَعدُ القصيدتان بالتجديد الذي دعت إليه «أَبوللو» ولابتوجيه الشاعر نفسه نحو الرومانتية في صورتها الأوربية أو في نسختها العربية المعدلة. وسنتبين بعد قراءتهما أنهما قد لاتزيدان عن أن تكونا لشاعر تقليدي من النوع الذي لم تتحمس له «أبوللو». وفي مايلي نصهما:

شروق الشمس

ولقد شَهِدتُ الشمسَ عند شروقها
وهَّاجةً ينجاب عنها الغيهبُ
مِن أُفْقِ بحر الرومِ يُسفر بعضها
فوق الخضمِّ وبعضها متحجِّب

قصيدتان مجهولتان لشاعر مجهول

فكأنها لمّا تبدّى نصـــفها
والنصفُ في خَلل الغمـــامِ مُغيَّب
حوريةٌ قد حجَّبتْ من وجهـــها
جزءًا، وجزءٌ سافرٌ لك مُعْجِـــب
جَلواءُ تحسبها أفاقـــتْ من كرًى
كانت به منذ احتواها المغــــرب
وكأنما قد جُـــــدِّدتْ وازَّينت
وغدتْ لمقبل يومـــــها تتأهب
وتُطلّ من عليـــاء مَطلعها على
كونٍ بعودتهـــا إليه يُرَحِّب
ظَلَّتْ تَسامَى في الفضا حتى اعتلى
قرصٌ لها وسْـــط السماء مُذَهَّب
تتوهج الألـــوان فيه: فصفرةٌ
ملء العيون، وحمـــرةٌ تتلهّب
يرمي الفضاء سمـــاءَه وعبابَه
بأشعة من حولــــه تتشعب
بينا تُرى ذهبًا إذا هـــي فضةٌ
بيضاءُ تَكســفُ كلَّ عين ترقب
وجرى بمخضّـــر العباب بياضُها
نهرًا يفيض من السمـــاء ويُسكب

موت الصداقة

هجرتُ من الإخوان مَن خلتُ عهدَهُ
مقيمًا على الأيام لا يتحـــوَّل
ومَن كان في الدنيـــا مبائي ومرجعي
فرحـــتُ لخير أو عرانيَ مُعضلُ
كذلك عهـــدي بالأخلاَّء قبْلَهُ
تبدَّل ظنـــي فيهمُ وتبدَّلوا
تغاليتُ في بـــرِّي به ومودَّتي
وحِلْميَ عن جَهـــلاته حين يجهلُ
إلى أن تــــراءَتْ لي دخيلةُ نفسه
وصَـــرَّح منها ضِغْنُها المتأصلُ
يضيق بفضـــلي ذَرْعُه، ولعله
مُفيدٌ بذاك الفضـــلِ لو كان يعقلُ
ويُخْمِد ضوئـــي وهو مَن يهتدي به
ويحســـد بحري وهو مَن منه ينهلُ
ويرتدُّ إحســـاني لدَيْه إساءةً
ويُشقيه إكرامـــي له والتطوُّلُ
وألأَمُ مَنْ تَلـــقى مِنْ الناسِ معشرٌ
هَوَاهُم بتنقيـــص الرجال مُوكلُ
فما فاز إلاَّ بالنقيصـــة كاملٌ
لديْهم وإلاَّ بالمـــذمة مُفْضِلُ
ولوْ أحرزُوا بعـــضَ الذي هو مُحرزٌ
لطـــارُوا به ولهوَّلوا
تقاصَـــرَ عن دَرْكِ المكارم باعُهم
فأعـــدَى عدَاهُمْ مَن يسود وينبُلُ
يُـــريدون هَدْمَ المَكرمات ليستوي
أخـــيرٌ عَلى حُكم القُصور وأوَّلُ
فلـــم يظفروا يومًا بذاك وَحظُّهُمْ
من الحقـــد نارٌ في الفؤاد تغَلْغَلُ

والآن: ماذا تضيف القصيدتان إلى أبي السعود بغض النظر عن زيادة رصيده الكمي في مصرف الشعر؟

من الواضح أنه كان وقت نشر القصيدتين في الثالثة والعشرين من عمره، ولكن القصيدتين توحيان بأن صاحبهما في الأربعين أو أكثر.

ومعنى هذا أن الفرق المجازي هنا يحسب في خانة النضج والتمكن من عدة الشعر وأدوات التجربة الشعرية. وهذا ما يحسه قارئ الديوان في مجموعه على كل حال. فثمة نضجٌ فكريٌ وفنيٌ بارز في قصائد الديوان، وفي هاتين القصيدتين أيضا، قد لايتناسب مع سن الشاعر. وهذا مادفعني إلى الحكم على أبي السعود بأنه «على رأس شعراء جيله الذي ظهر في الثلاثينيات، وضم شعراء من أمثال على محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمد عبدالمعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل. بل إنه يتميز عن هؤلاء جميعا بعمق أفكاره وتأملاته ورصانة أدائه وصياغته. ولعل قصائده هذه التي تجمع - لأول مرة - تفتح الباب لإعادة النظر في تقويمنا لشعراء الثلاثينيات هؤلاء، وأن تتيح لأبي السعود موقعا بارزا حرم منه طويلا بغير ذنب جناه»(٤).

وقد خالفني في هذا الحكم بعض من كتبوا عن الديوان عند ظهوره (٥). ومن حق هؤلاء وغيرهم أن يعارضوا ويعترضوا. ولكني أعتقد أنهم أخذوا عبارة «على رأس» بمعناها الحرفي الذي لم أقصده. فما قصدت سوى المعنى المجازي الذي يضع على رأس الجيل - كل جيل - ثلةً لافردًا ومجموعة لاواحدًا. وقد كان أبو السعود ضمن الشعراء المذكورين على رأس شباب جيله وكان تفوقه عليهم مركزا في عمق الفكر ورصانة الأداء.

غير أن ما أثلج صدري بعد ظهور الديوان كان بداية انتباه الدارسين إلى شعر أبي السعود. فقد عرفت أن باحثة عراقية شابة تعد عنه رسالة ماجستير بجامعة الموصل، وأن باحثا مصريا شابا أيضا أعد عنه رسالة ماجستير بجامعة الأزهر. وهذه بداية أرجو أن تتطور.

الهوامش :

(١) ديوان فخري أبو السعود، القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٨٥م، ص ص ٧-٤٠
(٢) مجلة أبوللو: فبراير/ شباط ١٩٣٣م، ص٦٢٦
(٣) نفسه: نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٣٣م، ص٢٣٠
(٤) الديوان، مرجع سابق، ص٤٠
(٥) كامل السوافيري (الدكتور): ديوان للشاعر فخري أبو السعود، جريدة الدستور، عمان، ٣يناير/كانون الثاني، ١٩٨٦م، ص٩

الصُّورة والبِناءُ الرِّوائيُّ

عبداللطيف الطاهر الزكري

تقوم الكتابة الروائية على أسس بنائية يلتزم بها كتّاب هذا الجنس الأدبي، من بينها مثلاً، السرد، والمنظور (أو وجهة النظر)، أو الفضاء، والشخصيات ... وتتضافر هذه الأسس مع غيرها في تشييد صرح العمل الروائي. وقد نالت هذه التقنيات الكتابية حظها من البحث والمعالجة، وبالمقابل تم إغفال التقنيات الأخرى، كالصورة التي لاتقل أهمية وفاعلية عن سابقاتها ، ومن هنا يحق لنا أن نتساءل: هل للصورة حضور في الكتابة الروائية؟ وقبل ذلك : ما "الصورة الروائية "؟ كيف تُبْنَى وَتَتَشَكل ؟ كيف تتضافر وتتآلف مع باقي المكونات في الكتابة الروائية؟ .. تلك بعض الأسئلة التي نروم الإجابة عنها في هذه الدراسة.

حضور الصورة في الرواية

إنَّ قارىء رواية محمد حسين هيكل - التي قيل عنها إنها أول رواية عربية - الموسومة بـ" زينب، مناظر وأخلاق ريفية " سيعثر في التقديم على تذكير للكاتب يقول فيه : إنه قص " فيها صوراً لمناظر من ريف مصر وأخلاق أهله " (١) . وليس الأمر بدون معنى، فكأن هذا الكاتب كان يصبو إلى تقريب قرائه من مناخ خاص وأجواء معينة ، من خلال انسكابها في صور مؤثرة . ولئن كان تقديم بعض الأمثلة عن حضور الصور في الرواية ضرورياً ومجدياً لإثبات هذا الحضور ، فإننا نَسوُق هذا المثال من رواية " رامة والتنين " كنموذج :

" في عينيك كآبة، وفي سماء نوفمبر إشراق أزرق صاف وبرد الهدوء. المدينة البحرية، مدينتي، تَنْسَربُ في ظهر طريقها المرصوف. طعنة عينيك ثقل يشق صفحة نفسي، حتى القرار. وأنا على خطوة منك، في ظهر الطريق. وأنت، ياحبي، ماأبعدك، أَوَهْمٌ من أوهام حبي، ماأرقبه في نظرتك ؟ أهذه النظرة وعمق مافيها من غربة، أهذه النظرة منك أم من وهمي، وهذا الحب، يشقيني ويملكني ويرديني، أهذا الحب من وهمي؟ وما في نفسك يارامة، أحُزْنٌ مرهف كآب أم فراغ؟ فراغ ظهر نوفمبر! لست أدري ، لست أدري عنك شيئاً ياحبي الملغز. لست أعرف معنى نظرتك، لست أعرف من أنا عندك. لست أعرف من أنت، ياحبي . فراغ الشتاء في ظُهري المكتوم. مدينتي تهرب مني. الناس والأوهام وسياراتها، شارات المرور والأبواق، صلصلة الترام وعيون الناس مدفونة في أسرار همومهم، صامتة كلها في الطريق. كلها تختفي في صفاء نوفمبر، في سحابة الأبيض البعيد معلقاً على سقف المدينة. في محطة الرمل، لم تبق إلا نظرتك. سراً لن أعرفه"(٢).

ليس تألق اللغة وتوهجها مايميز هذا النص المستشهد به فقط، بل هناك أيضاً انبجاس الصورة من لاوَعْي السارد. وقد يبدو للناظر المتعجل أن تَوالِي العناصر التي تُحيل على كائنات وموجودات خارجية لاعلاقة لها بدَوَاخِلِ المُخَاطِب (بكسر الطاء)، إلا أن قليلاً من التركيز والتمعن يثبت عكس ذلك.

تنطلق الصورة من ملامح العين المسربلة بالكآبة، والكآبة استبطان لشعور داخلي دفين، ثم تشير إلى مناخ يلف الوجود، الذي ينصهر من جهة ما مع هذه الحالة النفسية. ويُتمم هذا الوضع النفسي انسراب المدينة البحرية من "ظهر الطريق المرصوف" فهل هو فَقْدٌ وضياع " متناغم " بين الحبيبة/ المدينة، وبين السارد "المتلفظ" في " ظهر الطريق" أيضا؟ ذلك

ماتؤكده أسئلة الحيرة والتيه ...

إن الإبداع الروائي يمتزج بتجذير دافع المحاكاة، وهذا الدافع يحتضن مبدأ التمثيل، مادامت أنساق العلامات تتكون في سياق الواقعي، ومادام اشتغالها واستمرارها ينجليان بوضوح تام فوق أرض هذا الواقعي الذي يحيل بدوره من حيث هو جزء من المضمون على الفرد أو على الطبقات والفئات الاجتماعية. أليست الرواية ملتقى علامات؟ أليست الذات (مؤلفاً وسارداً) مقولة جوهرية بدونها يتعذر تشكيل هذا الملتقى؟ والإجابة التي تقدمها هذه الذات عن وضعها أليست هي مايحدد الرواية؟ هكذا إذن تتهيأ جمالية الرواية وصورها المُتَخيَّلة على عمق مختلف التعليلات التي تخترق الفضاء الاجتماعي المُوَسَّط من خلال الرمزي والمتخيل والتصويري (٣) .

إن " الصورة " تشارك إلى حد كبير في تحقيق النموذجية الجمالية للرواية، باعتبارها عنصراً تكوينياً (بنائياً) وأسلوبياً بما تضيفه على العمل الروائي من أبعاد، لم تكن لتتحقق لولاها. إن الرواية كما يقول "بيرسي لوبوك" : تفتح عالماً جديداً أمام الخيال، ومن الممتع أحياناً أن نكتشف ذلك في بعض الروايات، إنه العالم الذي "يبدع الوهم" والذي نرتضي الضياع فيه بكل سرور. حين يتم ذلك فليست هناك أية فرصة لأن نجد أو ندرك أو نبدع شكل ذلك الكتاب، وإلى الحد الذي نضيع نحن عنده في عالم الرواية، يتعين علينا إبعاده عنا وأن ننظر إليه بتجرد وأن نستخدمه كلياً لصنع الصورة التي نَبْحَثُ عنها وهي الكتاب نفسه(٤).

مبدئياً ، يمكن دونما غموض يذكر ، تصور وجود نصوص سردية خالصة موقوفة على تصوير الأشياء في حدود كينونتها الفضائية خارج أي صرامة تمثيلية، بمعنى أن الصورة ، إذ تمنحنا الإحساس بالأشياء والأحداث والشخوص وهي تتفاعل، لاتدعي مع ذلك القدرة على عكس الواقع كما هو، إذ من الممكن إعادة خلق هذا الواقع أو تجاوزه، إما عن طريق التعيين المباشر الملتزم للحدود المعروفة، أو إضافة علامات لما هو واقعي والدفع به إلى مسارب أخرى ، مسارب تنبض بحيوية الكون الروائي.

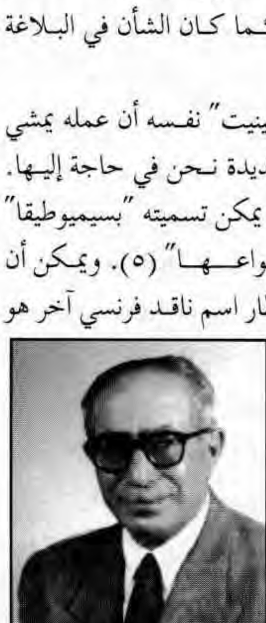
محاولات الاقتراب من " مفهوم الصورة الروائية"

علامات مضيئة

أول مايستوقف المرء وهو يخطو خطواته الأولى في هذا المسار مسألة تكوُّن "الصورة الروائية" ، كيف تنبثق إلى الوجود؟ ماهي علامات انتشارها ... ؟ وكلما تأججت الرغبة لتحقيق هذه الصبوات والأحلام الممتعة، ازدادت الرؤية وضوحاً! ولكن ، قبل الشروع في استقصاء هذا الإشكال، يَجْدُرُ بنَا أنْ نَلمْلمَ القول حول اهتمامات النقاد بالصورة الروائية .

يقول ناقد مغربي: " الواقع أن جيرار جينيت، عندما كتب عن الخطاب الحكائي في مؤلفه " صور ٣ " (Figures III) كان لديه إحساس واضح بأنه يتحدث عن الصور (Figures) البلاغية الخاصة بالحكي، وليس بالضرورة عن تلك الصور البلاغية الخاضعة لسلطة الاستعارة كما كان الشأن في البلاغة التقليدية .

ولقد وَضَّحَ "جينيت" نفسه أن عمله يمشي في سياق بلاغة جديدة نحن في حاجة إليها. وهي لاتنفصل عما يمكن تسميته "بسيميوطيقا" الخطابات، بكل أنواعها" (٥). ويمكن أن نضيف في هذا الإطار اسم ناقد فرنسي آخر هو



محمد حسين هيكل

هنري متران (Henri Mitterand) فقد خصص في كتابه "خطاب الرواية " (Discours du Romam)(٦) فصلاً خاصاً عن الصور في رواية "جيرمينال" (Germinal) للروائي زولا (Zola). وقبلهما كان كل من "بيرسي لوبوك" و " ستيفن أولمان " قد أشتغلا بالصورة الروائية في غير ما رواية . والأمر لايقتصر على هؤلاء النقاد فقط، ومع ذلك فإن موضوع الصورة الروائية لازال بكراً، إذ إن مفهومها حتى الآن مازال يعاني من قصور في المتابعة والاستقصاء ؟! إنْ لم نقلْ غياب هذه المتابعة .

إذا كان الفن الروائي مَجَالاً لإثراء خصوبة الحياة، ونوعاً من المنافسة بين أنواع الدهشة التي تنبّه وَعْيَنا وتمنعه من الخدر، فإن الرواية بمثابة تجربة إنسان معين بحيث يمكن روايتها، أو إنها التأثير العام الذي خلفته أشياء عديدة في ذهن معين، إنها تلاحم عناصر لا حصر لها وترسبات فترة من الزمن .

من هنا تكون الصورة الروائية وليدة غضة (طازجة) من بوتقة الأحاسيس، فـ "القاص" هو الذي يحكي القصة ويبدع الصورة" (٧) . التي تعبر عن اتساع رؤيته واستيعابها لكافة الأحداث والوقائع، ارتباطاً مع الشخصيات .

وتلي عملية الوقوف على مصدر الصورة الروائية وتكونها، عملية أخرى تنطوي على أبعاد متوهجة، وتتمثل في "البحث" عن حَد للصورة الروائية، وعن تخومها البارزة منها والخفية، مع مايطرحه مثل هذا البحث من صعوبة نابعة من قلة الدراسات المهتمة بالموضوع ومحدوديتها، ولنذكر معاً - مرة أخرى - أن الدارسين الذين كرسوا أنفسهم للاهتمام بالصورة الروائية، لم يحظ مفهومها لأيهم بعناية تذكر، وليس من أغراضنا - الآن - أن نعدد الأسباب التي تقف وراء ذلك. فلنستشعر الفلتات القليلة التي تشير من قريب أو بعيد إلى الصورة الروائية .

الصورة والبناء الروائي

عناصر الصورة الروائية

إن محاولة الاقتراب من مفهوم الصورة الروائية، يقتضي منا الإلمام بالعناصر المكونة لها، فبالإضافة إلى الإمكانات البلاغية التي تتضمنها الصورة الروائية ، هناك عناصر أخرى تحقق لها تميزها. وهكذا نجد الناقد " فليب هامون " يشير إلى أن " كل مايتعلق بالحيل التي يستخدمها الكاتب - الروائي - أو الراوي الذي ينوب عنه لعرض الشخصيات وترتيب الزمن وتحديد زاوية النظر إلى كل شخصية، والقطع الزمني، وتوزيع الأدوار العاملية ، وسكونية أو تغيير الصفات والأسماء والطباع (السيكولوجية) لدى الشخصيات، ثم مايتبع ذلك من تسلسل منطقي للمتواليات وترصيعها، وتبادلها، كل هذه الوسائل والحيل يعتبرها "هامون" صوراً أساسية أسلوبية لتنويع الكتابة الروائية "(٨). يتبدى من هذا القول أن التقنيات الحكائية وكذا عمليات التنويع والتوزيع في الكتابة الروائية هي نفسها صور . مما يُجلي طبيعة الصورة الروائية وخصوصيتها بالمقارنة مع الصور الأخرى المرتبطة بهذا الجنس الأدبي أو ذاك .

الصورة الروائية والرمز

يتطرق الناقد الإنجليزي " غراهام هو " في كتابه " مقالة في النقد " إلى الرمز والصورة في الكتابة السردية فيقول : " سنستعمل كلمة (الموضوع) للعنصر المجرد غير الهادئ في الحكاية الرمزية، وكلمة " صورة " للمحسوس من شخصيات وأحداث وأشياء يتجسد فيها الموضوع "(٩) . ويدل استعمال كلمة "الصورة" في السياق المذكور على ما تحيط به حواس المرء، وكل مايدركه حسياً، فالصورة بهذا المعنى تَخَوِّلُنا ملامسة الشخوص والوقائع السردية وغيرها، والتي يستحيل النفاذ إليها بدون الصورة، إن الصورة قرينة الحسي .

ويدعو ناقد إنجليزي آخر إلى ضرورة التمييز بين الرمز Symbol والصورة Image بقوله : " الرمزية هي وسيلة أدبية يستخدمها الروائي للدلالة على شيء ما بشيء آخر ... أما الصورة فإنها أقرب ماتكون إلى الرمز، ولكنها تختلف عنه في اتسامها بالصفات المحسوسة أكثر من المعاني المجردة التي يتصف بها الرمز " (١٠) .

بإمعان النظر في " التعريفين " السابقين ، نستنتج مايلي :

- إن الصورة الروائية تعمل على إبراز العناصر المشكلة للعمل الروائي وذلك برسم ملامح وسمات تلك العناصر، فالصورة الروائية، بهذا المعنى، تقرب القارىء من المتخيل الحكائي .

- وبالتالي فالصورة الروائية تمتزج بمكونات العالم الروائي، إذ تلقي بظلالها على تلك المكونات وتلفها تحت جوانحها، إلا أن هذا التماذج لايمنع عزل الصورة بمفردها إذا اقتضت المقامات والسياقات ذلك. فكما يجوز لنا أن نتكلم عن صورة السارد، صورة الشخصية، صورة الحدث الروائي، صورة الزمان، وصورة المكان... يجوز كذلك أن نتحدث عن الصورة بوصفها مكوناً أسلوبياً و(سيميائياً) يساهم في بلورة الكتابة الروائية .

الصورة والوصف

يثير "الوصف" في علاقته بالصورة أسئلة كثيرة، خاصة إذا كان مدار هذه العلاقة ملتبساً في الأدبيات النقدية. ولعل أكثر وجوه هذا الالتباس بروزاً ذاك الذي يجعل الوصف متضمناً للصورة ومهيمناً عليها في الكتابة



ادوار الخراط

السردية، بخلاف الكتابة الشعرية! وينضاف إليه التباس آخر لايقل إثارة إذْ يَتمُّ التداخل والتمازج بين الوصف والصورة في منظور هذا الاتجاه . وما يدعو للحيرة هنا أننا لانكاد نميز بين الوصف والصورة ولانلمس حدَّ هذا من ذاك . سنحاول الآن أن نناقش باقتضاب وَتَأنٍ هذين المنظورين لنرى إلى أي حد يساهمان في بلورة مفهومي كُلٍ من الصورة والوصف ؟

الاتجاه الأول : الوصف متضمناً للصور :

نُمثِّل لهذا الاتجاه بكتاب " وظيفة الوصف في الرواية " (١١). ففي الصفحات الأولى من الكتاب المذكور تتبدّى طريقة الكاتب في معالجته لمفهوم الوصف. يقول: "وبما أن الوصف قد يختلط أحياناً بأنماط كتابية قريبة منه كالاستعارة والصورة اللتين تدخلان في تكوينه في الكتابة الروائية، ولاتنعزلان وتتساميان عليه إلا في الكتابة الشعرية، فإننا سنحاول في البداية وضع بعض الفوارق الآتية بين هذه الأشكال :

أ - الوصف : إن الوصف كما نفهمه - من خلال بحثنا هذا - هو الخطاب الذي يسم كل ما هو موجود فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه .

ب - الاستعارة : هي استبدال كلمة بكلمة أخرى ، من أجل التعبير عن الشيء نفسه تقريباً وذلك بواسطة استبدال حقيقة (أ) بحقيقة (ب)، وتقوم هذه العملية على مبدأ الاختلاف لا الترادف لذلك نشعر بهزة في المعنى، إنها تثير المفاجأة، وتخلق المتعة ، وهي إما تصريحية أو مكنية ..

ج - الصورة : إنها بخلاف الوصف الذي يحاكي المرئي، والاستعارة التي تستعير لوصف شيء ما صفات شيء آخر أو تعطي لما ليس

إنساناً صفات إنسانية، تشكل (الصورة) التقنية الكتابية الأكثر إيحاء، لأنها لاتصف شيئاً مرئياً ولاتحاكي الأشياء وفق منطق الواقع - كما نتصوره على الأقل - بل تحاكي الأشياء وفق منطق اللاشعور وهي بذلك تخلق النفس الشعري داخل النسيج النثري فتجعله يتلألأ، ويغور في أعماق لاسبيل إلى سبرها دون التسلح بالأدوات اللازمة لفك (الشفرة) الشعرية (...) هكذا يمكن أن نميز الوصف بكونه محاكاة لما هو مرئي، والاستعارة ذلك التعبير عما هو مرئي بشيء غير مرئي، والصورة باختصار هي التعبير عن طريق التجريد " (١٢) .

إن عذرنا في الإتيان بهذا النص/ الاستشهاد - على طوله - هو تبيان مجموعة من الحقائق أهمها:

أولاً : عزل الكاتب الاستعارة عن الصورة، باعتبارهما منفصلين، ولانجد أي مرتكز نظري يدعم ماذهب إليه، ومن ثم ، فإن القول بانفراد الاستعارة عن الصورة قول مردود ولا مبرر له . فالصورة - كما نعرف - تنبني من خلال تشاكل العناصر البلاغية، ومن ضمنها، إن لم نقل أهمها الاستعارة، ومن ذلك قولهم الصورة الاستعارية .

ثانياً : إن القول باحتواء الوصف للاستعارة، والصورة في الكتابة الروائية، بعكس الكتابة الشعرية التي تمنح للصورة مجال الهيمنة، يستدعي البرهنة عليه إجرائياً، وهو مالاينطبق على أغلب النصوص الروائية العربية ، خصوصاً تلك التي تمارس مغامرة الكتابة عن طريق " التجريب " ، مثل كتابات عز الدين التازي، أحمد المديني، الميلودي شغموم، وربيع مبارك في المغرب، وكتابات إدوار الخراط، وجمال الغيطاني، وغيرهما في المشرق.

ثالثاً : إن التعريف الوارد أعلاه، للصورة، يجانبه الصواب كثيراً إذا ما ألحقناه بالفن الروائي، والحق أن هذا التعريف لصيق بالكتابة الشعرية، وجدير بها .

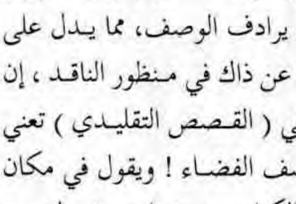
رابعاً : وبالتالي، فالذهاب إلى اعتبار الصورة نمطاً من التعبير عن طريق التجريد، يخل بمفهوم الصورة عموماً، والصورة الروائية خصوصاً ، إذ الصورة تقترن بالحسي وتعبر عنه مثلما تعبر عن المجرد .

وخلاصة القول حول هذا الاتجاه، أنه يجازف كثيراً عند تحديده للمفاهيم ويذهب مذهباً غريباً ..

الاتجاه الثاني : ترادف الوصف والصور :

ويتجلى، مثلاً ، في كتاب " أبحاث في النص الروائي العربي "(١٣) . ونحن لانكاد نَسْتَبِينُ معالم الوصف من الصورة في الفصل الذي خصصه الناقد لـ "الوصف في موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صلاح" . ويتعمق لدينا هذا الإحساس حَالَمَا نشرع في البحث عن حدود كل من الوصف والصورة .

يقول سامي سويدان : " ... شاع إلى زمن طويل قصص (تقليدي) لا يبدأ سرد الوقائع قبل تصوير الإطار الذي تتم فيه ، وصف المكان في مدينة أو قرية، في شارع أو حي أو حقل أو غرفة .. ووصف الزمان عند الفجر أو المغيب أو عند الظهيرة " (١٤) . فالتصوير (أو الصورة) في هذا القول يرادف الوصف، مما يدل على عدم تمييز هذا عن ذاك في منظور الناقد ، إن صورة الفضاء في (القصص التقليدي) تعني في الآن ذاته وصف الفضاء ! ويقول في مكان لاحق من نفس الكتاب، عندما يتعرض لمفهوم الوصف وحده: "إذا اعتبرنا وصفاً كل تعبير في



جوستاف فلوبير

(...) النص (الروائي) يسعى لتبيان وضع حالة أو مشهد لشخصية - أو أكثر - أو لمعطيات زمانية و/ أو مكانية قائمة فيه، حيث يتم الاعتماد لأداء ذلك على رسم أو تصوير بعض العناصر المكونة و/ أو المميزة لها للايحاء من خلال ذلك بجو أو بموقف مفترض، فإن مسائل كثيرة تبقى بحاجة لتوضيح، لعل أكثرها أهمية هي تلك المتعلقة بشخصيات القصص، فهل يمكن اعتبار أي معلومات واردة بشأنها وصفاً؟ وهل يمكن تحديد اعتبار مايذكر عن كفاءاتها وصفاً؟ وهل تدخل في خانة الوصف تأملاتها الخاصة؟ وماهو الموقف من أحاسيسها ومشاعرها ؟ " (١٥) . ويجيب عن هذه الأسئلة بقوله: " ربما كان الحل الملائم إزاء ذلك باعتماد مفهومين للوصف، واسع وضيق. الأول يتسع ليشمل كل الإشارات المتعلقة بموضوع الوصف يجمعها ويؤلف بينها جميعاً لتكوين الصورة الكلية لهذا الموضوع. ضمن هذا المفهوم تتشكل كل المعلومات الواردة حول شخصية ما على سبيل المثال في ماضيها أو حاضرهاعن كفاءاتها أو إنجازاتها، عن أفكارها أو مشاعرها ... لتؤلف صورة حسية ومعنوية أو عقلية أو أخلاقية أو نفسية... متعددة الأوجه أو المستويات عنها. أما الثاني فيتشدد إزاء هذه الإشارات المختلفة ويميز بين مايأتي تصويراً بحد ذاته ومايصبح كذلك تأويلاً أو مجازاً..(١٦).

وعلى الرغم من تقلص حدة الضبابية التي كانت تلف منظور الناقد إزاء مفهوم الوصف والصورة في الاستشهاد الذي أتينا على ذكره، فإننا لانكاد نلمس الفروق الجوهرية التي تفصل بين المفهومين، والتي تباعد أو تقارب بين حديهما، ومماينبغي أن نسجله في هذا الإطار هو تداخل الوصف مع الصورة وتعانقهما، وهو مالايمكن إنكاره أو رفضه. إن العناصر الوصفية تساهم إلى حد كبير في بلورة الصورة وإبراز سماتها المشعة.

وبلفظ آخر، يصبح الوصف خادماً

الصورة والبناء الروائي

للصورة، حين يسعفها بالأدوات اللازمة لتأسيس ذاتها وتكوين معالم بنائها. إن "الوصفي" يوحد بين الموضوع والشيء في السرد، والأشياء ليست إلا كما هي محسوسة ومترائية " (١٧) .

تُقيمُ الصورة الروائية، إذن، علاقات متباينة من حيث مسافة التواشج بين عناصر كتابية متعددة، إلا أن مراعاة الخصوصية داخل النسق العام، ضروري لنتمكن من تجذير مفهوم الصورة الروائية.

اذْ على ضوء هذه الخصوصية يتجذر مفهوم الصورة الروائية، خصوصاً وأن هذا المفهوم مازال قيد التبلور والتشكل. لنرى -الآن- موقع الصورة في الرواية، وطبيعة العلاقة التي تؤسسها الصورة في نسيج العمل الروائي.

تشابك الصورة الروائية وتآلفها مع المكونات الروائية

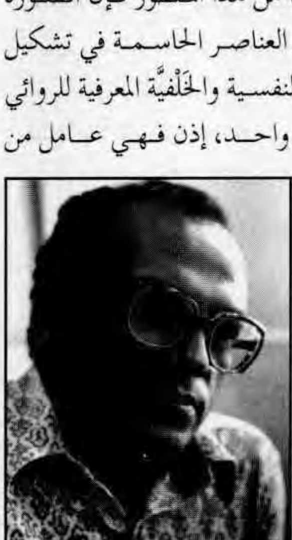
إن أهم مايطبع العمل الروائي بوصفه تقنية فنية هو البناء .. أو المعمار الروائي، وهو النسق الذي تتلاحم داخله الأحداث الروائية في علاقات عضوية يربطها نظام متماسك. والسرد هو لغة الرواية القائم على التصوير والحكي، ونقل الحدث في مجال الواقع إلى الصورة اللغوية، ورسم ملامح الشخصيات ودلالاتها وأفعالها وعلاقاتها ونظم الدوال في إطار قوانين محددة، ثم المكان الذي يشبه إلى حد ما إطار "ديكور" الأحداث ومجال وقوعها، أما الزمن فيشبه التوزيع الموسيقي للحدث لأنه يعتمد على تقطيع تسلسل الحدث وفق نظام من اللحظات أو الفترات أو الحقب. وقد يكون زمناً داخلياً يعتمد استحضار الذكريات وتداعي الماضي.

إن العمل الروائي قائم أساساً على مجموعة من القوانين الداخلية التي تتحكم في حدود العمل وتحولاته... ومانتساءل عنه الآن هو موقع الصورة داخل العمل الروائي وعلاقاتها بالمكونات الروائية؟

يقول تودوروف (Todorov): "إن معنى عنصر من عناصر العمل... هو الإمكانات التي تتوافر لها لترتبط مع عناصر أخرى في هذا العمل أو مع العمل برمته، فمعنى استعارة مايتمثل في أنْ تعارضَ صورة غيرها أو تفوقها توترا بدرجة أو درجات، فقد يكون معنى حوار داخلي ما إنما يضفي سمات على شخصية ما..." (١٨). وعليه، فإن الصورة الروائية لاتكتسب دلالتها إلا بالعلاقات التي تجمعها مع مكونات البناء الروائي. وإذا ماحاورنا الروائي الفرنسي فلوبير (١٩) بصدد كلامه عن عناصر العمل الأدبي، أمكننا القول: "ليس هناك من صورة منعزلة أو مجانية في كتابه. فكل الصور تخدم شخصياته ولها تأثير في تسلسل الأحداث الروائية قد يكون بعيداً أو مباشراً " (٢٠).

خلاصات

إن الصورة، ولكونها علامة دالة داخل النسيج الروائي، تقيم علاقات متعددة مع مجمل عناصر الكتابة الروائية، فهي إلى جانب كونها تَسِم كل ماهو موجود بطابع التميز، تحدد نوعية الأشياء من حيث دلالتها المرجعية، المحسوسة منها أو المجردة، التي تحيل إلى و اقع عيني أو التي تنحو نحو أقاليم لامرئية، كما تحدد نوعية التفكير من حيث تكوينه النفسي والاجتماعي، من هذا المنظور فإن الصورة الروائية من بين العناصر الحاسمة في تشكيل وإبراز التركيبة النفسية والخَلْفيَّة المعرفية للروائي والرواية في آن واحد، إذن فهي عامل من



جمال الغيطاني

عوامل إغناء الشبكة الإشارية المشكلة لُلحْمَة النص الروائي، ومن ثم تشرئب إلى تكشيف المستوى الدلالي بالشحنات التي تتدفق في أفق انتظار القارىء لا باختراق المتن التصويري للدلالة المعيارية للّغة فقط، بل بحمولة النص المتوهجة. إن الصورة خادمة لمعنى السرد الذي تؤسسه وتستقطره وتحكم انتشاره الدلالي، كما أنها جزء من ذلك المعنى .

الهوامش :

١ - محمد حسين هيكل: زينب، مناظر وأخلاق ريفية، الناشر: الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، اغسطس ١٩٨٥م، ص ٨ .

٢ - ادوار الخراط: رامة والتنين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت، يونيو ١٩٨٠م، ط١، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

3 - Vladimir krysinski: Carrefours des sigmes, essais surle raman moderne, ed, Moutom, Paris 1981, P 17.

٤ - صنعة الرواية، مرجع مذكور، ص ١٧ .

٥ - حميد الحمداني: أسلوبية الرواية : (مدخل نظري)، منشورات سال، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، الدار البيضاء، ص ٨٠.

6 - Puf, Ecriture, ledition, 3 trimestre. 1980, de p 23 Oala vPage 241.

٧- بيرسي لوبوك، مرجع مذكور، ص ١٢٨.

٨- حميد الحمداني: أسلوبية الراوية ، ص ٨٠.

٩- ترجمة محي الدين صبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة جامعة دمشق، (د.ت)، ص ١٥١.

١٠- "دراسة الرواية"، عرض لكتاب جيريمي هوتورن يحمل نفس العنوان، قام به ياسر الفهد، مجلة عالم الفكر، م ١٧، ع ٣، اكتوبر- نوفمبر- ديسمبر، ١٩٨٦م، ص ٢٨١-٢٨٢.

١١- عبداللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر والتوزيع، الدار البيضاء (المغرب)، ط١، ١٩٨٩م.

١٢- المرجع السابق، ص ٧-٨.

١٣- السامي سويدان : منشورات مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

١٤- نفسه ، ص١٣٤.

١٥- نفسه ، ص ١٤٠.

١٦- نفسه ، ص ١٤٠ .

17 - La description, textes reunis par philippe bommefis et pierre Reboul Presses Universitaires de Lille, 1981. P 18.

18 - Les Categories du recit litleraire, Commumication No 8, edition du Seuil, 1981, P 131.

١٩- كان فلوبير يتحدث عن "الوصف" ووظيفته في روايته، وقد حورنا قوله لاعتقادنا أن الشيء نفسه يصدق على الصورة .

20 - Ibid, P 131 .

دراسات في أدب الجزيرة العربية (١١)

المقامة الضمدية وقيمتها الأدبية



د. عبد الله بن محمد أبو داهش

تعد المقامة الضمدية للحسن بن علي البهكلي التهامي (١٠٩٩ - ١١٥٥هـ) فريدة في أدب الجزيرة العربية في القرون الأخيرة الماضية، لما اتصفت به من: الجزالة في الأسلوب، والأداة اللغوية، وما تضمنته من المعاني والأفكار الجديدة ذات المدلول الرمزي المناسب، وبخاصة في ذلك الوقت الزماني المتأخر من تاريخ الأدب العربي الذي انصرف فيه الأدباء إلى التقليد في: الأفكار، والأساليب المتكلفة الجامدة.

وإذا أدرك تفرد هذه المقامة، وندرتها، تبين أن معظم الذين أسهموا في تأليف المقامات الأدبية وكتابتها بالمخلاف السليماني بتهامة، كانوا - في الغالب - من علماء أسرة آل البهكلي وأدبائها، أمثال: الحسن بن علي البهكلي (١٠٩٩ - ١١٥٥هـ)، وعبد الرحمن بن حسن البهكلي (١١٤٨ - ١٢٢٤هـ)، وعلي بن عبدالرحمن البهكلي (١٢٠٧ - ١٢٧٤هـ)، وعبدالرحمن بن أحمد البهكلي (١١٨٢ - ١٢٤٨هـ)، وذلك يشير إلى أن هؤلاء النفر الأدباء من أسرة آل البهكلي، يتصفون بشيء من الأصالة الأدبية.

ولقد اهتم: المؤرخون، والأدباء، والكتاب بذكر هذه المقامة وتدوينها ، يقول أحد نسّاخها: «تمت المقامة الضمدية»(١)، وقال: «وقد أسمعنيها ولدُ المؤلف عبد الرحمن بن حسن متع الله به بمنزله بأبي عريش المحمية»(٢)، إلى جانب قول محمد بن أحمد العقيلي عن هذه المقامة: «ويذكر صاحب خلاصة العسجد أنها مشهورة في الجهة، وأن عليها شرحًا وافيا للفقيه الأديب أحمد محمد النمازي»(٣)، بالإضافة إلى قول صاحب خلاصة العسجد نفسه حين ذكر بأن للحسن بن علي البهكلي: «المقامة الضمدية في الكرمة التي وجدها في بعض تلك الرياض الندية»(٤)، مما يدل على أهميتها، واهتمام الناس بها.

يقول البهلكي: «فإنه لما كان في شهر جمادى(٥) عام ١١١٣(٦) خرجنا نحن وبعض الإخوان إلى أرض ضحية من أعمال هجرة ضمد، فوجدنا في بعض مسائله كرمة مورقة ، وبلهب شمس القيظ محرقة، فاشتاق لسان الحال بهذه المقامة، وهي على جمود قريحة قائلها علامة، وأي علامة.

ومن عجائب الاتفاق، ونوادر الغرائب الحلوة المذاق أنْ ضَمَّتنا بعض النزه مع بعض الرفاق بأرض ندية من رياض الهجرة الضمدية، إذ مررنا بكرمة في بعض تلك الجنان ناحلة الجسم زاوية الأغصان، وهي تنادي بصوت حزين، مشوب بزفرة وأنين، وتقول: يا معشر المسلمين، هل من مستمع لشكيتي، وواع لقضيتي، وراث لمن ترامت به البلدان، واعتورته نوائب الحدثان، ثم تنفست الصعداء وأنشدت:

وما ذات طوق في فروع أراكة
لها رنّة تحت الدجى وصدوح

ثم شهقت شهقة عظيمة من أحشاء وجوانح سقيمة، خالطنا الشك أنها قضت نحبها، ولقيت ربها، فتفطرت منا لعظم ما شاهدناه الأكباد، ولبسنا من أجل ذلك غلائل الأنكاد، وعلمنا أن الاستماع لشكواها من بلواها والإصاخة لقضيتها من ابتداها إلى انتهاها إن لم يكن فرضًا واجبًا وحتما لازبًا، وإلا كان من باب قول القائل:

ولابد من شكوى إلى ذي مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع

فقلت لصحبي: هلم إلى هذه الضعيفة، فلابد عندها من نكتة لطيفة، فإن صدور بعض الأعراب من خزائن الآداب، فدنونا إليها راغبين، ولما سمعنا منها شافعين، فقلنا لها: أي صاحبة الزفرات، عليك السلام تحية الأموات:

قدر أجلك ذا المجاز وقد رأى
وأبى مالك ذو المجاز بدار

ما أقدمك البلاد من الحجاز، وإنما هي مواطن النعمة المباركة الفروع والأعجاز، أضللت عن السبيل، أم أردت سكون الأطراف تبعًا لبعض الأشراف فهي مواضع الطراف لقد استسمنت ذا ورم...

فقالت: وعليكم السلام ما صدحت وُرْقُ الحمام على عذبات البشام، وأهدت نسيمات

الصبا روائح الخزام، أيها القوم الأدباء، والرفقة النجباء، صه ومه، أصيخوا لما ألقيه واستمعوا لما أرويه... وإني من صميم سادات الكرم أصلاً، وممن نال سهم القدح المعلى، إذ لا أُقطف إلا للملوك الأكابر، ولا ينالني الصعلوك المغامر، وكنت غرسة في بعض حدائق الأشراف، يخدمني من أنواع الكرم الحظر والأطراف، وتاقت نفسي أن يخدمني غيرهما من الألفاف، فحصل على أهل تلك الناحية جدب عظيم، وقحط عميم، فالتجأوا إلى بعض أهل الصلاح مستشفعين في سيل يملأ الشعاب والبطاح.

وكان قطبًا من الأقطاب منقطعًا في طاعة رب الأرباب، لايعرف بوطن ولا يحن على حضن، وإنما دأبه السياحة، وديدنه النياحة، فمد يده إلى السماء، في رفع تلك الدهماء، فجاء سيل الطوفان، يقتلع الأعجاز والأغصان، فمر بي وأنا بين أولئك الوصائف مع رفقة شرائف، فاعتصموا منه بجبل عال، لاتنال قلله الأوعال، ولما كنت من أهل الترف، لا أستطيع أتحول عن موضعي، فاقتلعني السيل، وقال: هيا معي، فرمى بي بهذه الديرة، وأنا بأحوال الوقت غريرة، وصرت كما ترون مجاورة للأثل، والأراك، وزرع الذرة، والتنباك، ووددت لو أني حللت رمسي، ولا حبسي مع غير جنسي، ثم أعرضت إعراض الكئيب المحزون، وسحت بالدموع منها الجفون، وأنشدت شعراً يكتب بماء العيون:

ثلاث يعز الصبر عند وجودها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد تحبها
وفرقة إخوان وفقد حبيب

فقلنا لها: الأولى بك صبراً وتأسيًا وإعراضًا وتسليا، فمهلاً مهلاً لقد أتيت أهلاً، ووطئت سهلاً، فهل لك في مصاهرة ذي البسر والرطب؟ فهو كفؤ كريم من صميم العرب، فلعل أن تنجلي عنك هذه الغمة، فقد جعل الله بين الزوجين مودة ورحمة، ويقل ما بك من لوعة الغربة، والشطن، فإن الزوجية ـ على ماقيل ـ وطن.

فقالت: أما علمتم أني في عصمة بعض ملوك الكرم، فأمسكوا عما ثمَّ، ثم إن محبة الوطن من خلال الشرف ومحايل الكرم، بل من الإيمان، كما ورد في الأثر الذي رواه السلف، وما زادها ذلك إلا تلهفًا وتحسرا... فحينئذ أضربنا عما أردناه من إقامتها صفحا، وطوينا عنه كشحا، وأجمع الرأي نحن وأولئك القوم أن نجمع لها ما تيسر من الورق، رعايةً لحق الجوار، وفراراً من اللوم، وعلمنا أن إرجاعها إلى موضعها من مجامع الإحسان، فمن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، كما نص عليه القرآن، فأرسلناها صحبة مَن يُركن عليه، وأركبناها هودجًا، وقلنا: على اسم الله، وتوكلاً عليه»(٧)

وإزاء هذه المقامة الأدبية يتبين من دراستها أن كاتبها قد أدرك ما تطور إليه فَنُّ المقامات في عهده، حين أجرى أحداث مقامته هذه حول كرمة مَرَّ بها في نزهة من نزهه الريفية، ولانعلم ما الذي كان يرمز له البهكلي في هذه المقامة، ولكن هذه المعاني لاتعدو أن تكون معالجة فكرية لبعض الظواهر: الاجتماعية أو السياسية، إذ صور حياة الناس وما كانوا عليه في مجتمعهم من مظاهر الحياة المختلفة، فقد أشار إلى أمراء المخلاف السليماني في تلك المرحلة التاريخية بقوله: «أم أردت سكون الأطراف تبعًا لبعض الأشراف»، «رفقة شرائف»، «في بعض حدائق الأشراف»، كما أنه أشار إلى بعض عناصر البيئة الطبيعية في تهامة، مثل: قوله: « سيل يملأ الشعاب والبطاح»، «البشام»، و«الأثل، والأراك، وزروع الذرة، وغرائس التنباك».

وقد أراد بقوله ـ فيما يبدو ـ «فحصل على أهل تلك الناحية قحط عظيم وجدب عميم» ما وقع سنة ٩٧٣هـ/١٥٦٥م من: المجاعة، وانحباس القطر، فقد عُرفت تلك الأيام بمجاعة سنة أم العظام، إذ اضطُر الناس إلى سحق العظام وأكلها. وكان يقصد كذلك بقوله: «فالتجأوا إلى بعض أهل الصلاح»: القاضي: محمد بن علي الضمدي الذي أنشأ في هذا الشأن قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:

إن مسنا الضر أو ضاقت بنا الحيل
فلن يخيب لنا في ربنا أمل

وله قصة مشهورة في تهامة، ولذلك فقد اتخذ الكاتب عناصر مجتمعه المختلفة مادة أدبية، يبث من خلالها خواطره النفسية، وأحاسيسه الذاتية، ويرمز إلى أشياء خفية في خياله، مما يجعل القارئ يدرك العنصر المحلي لهذه البيئة الاجتماعية.

ومن الواضح أن الحوار الذي عمد إليه الكاتب في أسلوبه، قد أضفى على مقامته شيئا من المتعة الأدبية، كذلك كان للتشخيص الذي استخدمه الكاتب في تجسيم الكرمة والسبيل وغيرهما أثر في اتصاف هذه المقامة بجمال الأسلوب، وبالرغم من ذلك فإنه قد تبين من أسلوب هذه المقامة أن كاتبها قد سلك النهج التقليدي الذي يستلزم: الصنعة اللفظية، ويكثر من المحسنات البديعية، والتضمين، والاقتباس.

ومع ذلك فإن هذه المقامة قد اتسمت بشيء من جزالة الأسلوب، وترابط الجمل والعبارات، والقدرة على التعبير والتصوير، فقد كان الكاتب يصدر عن ثقافة لغوية واسعة. وكان يحتذي أسلوب القرآن الكريم في مثل قوله: «أعجاز الشجر»، «فاعتصموا منه بحبل عال»، «فكأنما أحيا الناس جميعًا».

وقد اتصفت هذه المقامة بالعرض القصصي الممتع الذي خفف كثيرًا من مظاهر التكلف والصنعة، وأضفى على المضمون الجاد قيمة أدبية ممتعة، ولذلك فقد أشبهت هذه المقامة ـ إلى حد ما ـ القصة القصيرة، واستطاعت أن تقترب في مضمونها وطريقة تعبيرها من الفن القصصي الحديث، كما أنها قد حوت إشارات تاريخية وفوائد أدبية ولغوية.(٧)

الهوامش :

(١) إحدى نسخ هذه المقامة المخطوطة ورقة٢.
(٢) المصدر نفسه، ورقة٢.
(٣) «البهاكلة علماء المخلاف»، مجلة العرب، ح٧،٨، س٩، (المحرم وصفر ١٣٩٥هـ) ص٥٥٦.
(٤) عبدالرحمن بن حسن البهكلي، ورقة١٦.
(٥) لم يحدد البهكلي الشهر (٦) لعله أراد سنة (١١٣٠هـ).
(٦)الحسن بن علي البهكلي، «المقامة الضمدية»، تحقيق عبدالله أبو داهش، ص٣٥ ـ ٤٩، ط٢، مط الجنوب، أبها، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
(٧) المصدر نفسه، ص٢٤ ـ ٢٦.

البارونيت البريطاني جلال الدين برانتون:

تناقضات النصرانية كشفت له الحقيقة

نشأ في بيت نصراني عريق، في كنف والدين لايقبلان في النصرانية نقاشًا، فشب على مثلهما، وكان طبيعيًا أن يتجه الصبي لودر برانتون في ظل هذه الظروف إلى علم اللاهوت، أو الدراسات الدينية النصرانية، ليستزيد من المعارف، وليتقوى إيمانه حسب ظنه آنذاك، ومالبث حين بلغ مرحلة الشباب أن أصبح عضوًا فاعلاً في الكنيسة الإنجليزية، يولي اهتمامًا بالغًا للعمل التنصيري، خاصة أنه يحمل لقب بارونيت النبيل.

ولم يكن أحد يتوقع أن هذا الشاب الذي يمثل نموذجًا للنصراني المتشبث بدينه سوف يراجع نفسه يومًا ما، ويعتنق دينًا هو أبعد مايكون عن باله، لكنها إرادة الله، التي لاراد لها، ثم الفطرة النقية التي كانت تقبع كامنة في حنايا صدره منتظرة اللحظة المناسبة لتعلن عن نفسها، غير مستبقة الأحداث.

شكوك وتحرك إيجابي

لقد بدأ خلاص روح لودر برانتون، حين استلفتت انتباهه عقيدة العذاب السرمدي الأبدي، ولم يستطع أن يتقبل فكرة أنها ستكون مصير كل البشر عدا مَن اصطفاهم الإله والبابوات، كما لم يستسغ مايشيع لدى النصارى من تجلي الله وإظهاره لنفسه أمام الناس بالحلول في جسد بشري، تعالى الله عما يقولون.

بالرغم من هذه الشكوك إلا إنه لم ينفصل عن النصرانية، ولم يسع لاتباع الشيوعية في إنكار وجود الله، لكنه نحى منحى إيجابيًا، حين عمد إلى البحث في الأديان لعله يجد في أحدها مايروي روحه العطشى إلى المعرفة الحقيقية، التي تعتمد العقل لا النقل مقياسًا للوصول إلى الصواب.

تناقض الأناجيل

وحين نظر برانتون إلى أناجيل النصارى، وجدها بطلاسمها، وماتحويه من تناقضات وخرافات لاتروي رغبته العارمة في تعرف إله حقيقي غير زائف، وتبادر إلى ذهنه تساؤل: هل من الممكن أن تكون تعاليم المسيح والأناجيل قد أسيء تأويلها، وقدمت على نحو خاطئ؟!

كان هذا التساؤل بداية اتجاهه الوجهة الصحيحة، ولم يصعب عليه وقد تلقى علومه في جامعة أكسفورد العريقة أن يتجه في بحثه عن الله اتجاهاً علميًا، عبر دراسة متأنية دقيقة للإنجيل.

هكذا كانت البداية

ويروى المهتدي كيف بدأت رحلته الإيمانية، فيقول: «شعرت أن هناك شيئًا ناقصًا غير مكتمل، وقررت الخروج بنفسي من دائرة جهالة معتقدات الناس، وبدأت أوضح لهم أن البشر خلقوا وبداخلهم روح وقوى روحانية خفية خالدة لاتموت، وأن الذنوب يتم عقابها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن الله بألوهيته ورحمته دائمًا غفور رحيم، يغفر ذنوبنا إذا ماقمنا بتوبة نصوح، وعندها أحسست بالحاجة إلى العيش على هدى الحق والحقيقة، وبالحاجة إلى مزيد من البحث المتعمد عساي أستطيع العثور على الجوهرة الثمينة، وقمت مرة أخرى

بتكريس وقتي لدراسة الإسلام، إذ كان هناك شيء مايجذبني إلى هذا الدين»

أكاذيب حول الرسول

حين بدأ لودر برانتون في دراسة الدين الإسلامي، كان يعلم سلفًا مايدعيه القساوسة والرهبان من أن هذا الدين يقوم على أساس وثني وأن مُقتنعيه يعبدون نبيًا يدعى محمدًا، هكذا كانوا يزعمون، ويُروِّجون للأباطيل في أذهان البسطاء من أتباعهم، ليبعدوهم عن الحق، ويجذبوهم إلى باطلهم.

كان المهتدي الجديد يعلم هذه الأقوال، فقد سبق وأن سمعها من القسيس مئات المرات، لذا كان حريصًا على أن يبدأ بحثه بداية صحيحة، بخلع نظارة التعصب السوداء المقيتة، ليرى الأمور بوضوح، دون تكوين رأي مسبق فيها.

وهاله حين درس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ماكتشفه من نواحي عظمة شخصيته، وهو مايتعارض كليًا مع الصورة الخاطئة التي رسمتها الكنيسة لشخصية محمد عليه الصلاة والسلام، ووجد بعد فترة وجيزة من الدراسة أن اتهام هذا المبعوث الإلهي بأنه مدعي نبوة أمر لايمت إلى الحقيقة بصلة، إذ إن مجرد مطالعة سيرته تكفي لإزالة أي شك في حقيقة نبوته، وكونه نبيًا مرسلاً من لدن الرحمن الرحيم.

إعجاب بشخصية الرسول

وجد لودر برانتون في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم صورة المجاهد الصبور، الذي لاقى العنت والظلم في سبيل إيصال دعوة ربه إلى البشرية، وكيف استطاع بمثابرته أن يحول قومه عن عبادة الأصنام والفحش، ويعلمهم التقوى والتطهر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقادت العناية الإلهية مسلمًا هنديًا، يدعى ميان أمير الدين، ليسهم في صنع الخطوة الأخيرة نحو إسلام لودر برانتون، إذ بعد لقاء بينهما ومجادلات ومحاورات حول حقيقة النصرانية، تأكد المهتدي الجديد أن استنتاجاته بشأن الإسلام لم تكن خاطئة، وأنه الشريعة التي يبحث عنها.

اعتناق الإسلام

ولم يضع لودر برانتون وقتًا، إذ مالبث بعد فترة من لقائه مع ميان أمير الدين، أن اقتنع تمامًا بأن الدين عند الله الإسلام، وغمر الرضى روحه بعد ما توصل إلى هذه القناعة، فأشهر إسلامه، وتسمى باسم جلال الدين لودر برانتون.

كان اعتناق جلال الدين لودر برانتون لـلشريعة الإسلامية مكسبًا للمسلمين في بريطانيا، ذلك أن الرجل فضلاً عن اللقب النبيل الذي يحمله، كان أيضًا من أبرز الشخصيات السياسية والعامة في البلاد، مما جعل لإسلامه صدى واسعًا.

من جانبه لم يتوقف جلال الدين عند حد إشهار إسلامه، بل وهب حياته ونفسه للدعوة الإسلامية، غير تارك مناسبة أو فرصة إلا ويشير فيها إلى نواحي العظمة في الإسلام، وفي مقدمتها أنه دعوة إلى الفضيلة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دعوة فيها صلاح البشرية في دنياها وأخراها، تحقق المساواة والعدل، بالشكل الذي يستحيل أن تحققه عقيدة أخرى. ذلك أن الشريعة الإسلامية بعالميتها وإنسانيتها لاتفرق بين شعب وآخر، أو غني وفقير، فالجميع أمام الخالق سواسية، لايميز أحدهما عن الآخر سوى التقوى، التي هي أساس المفاضلة.

لقد كان جلال الدين في إسلامه إيجابيًا مع نفسه وغيره، فلم يقصر علمه على نفسه، وإنما حرص على أن ينشره، لعل إخوته في البشرية يستفيدون منه، فأكسب الدعوة الإسلامية بذلك أرضًا جديدة صلبة أساسها الإيمان، وأركانها الإخلاص والأخوة.

*** بتصرف عن كتاب: اخترنا الإسلام دينا، ترجمة طارق السيد خاطر، الناشر دار المختار الإسلامي، القاهرة ١٩٩٢م.**

طريق الهدى

فضيلة الشيخ :

د. صالح بن سعد اللحيدان

هل الشمس أكبر نجم مضيء؟

هَلِ الشَّمسُ آية منظورة تُعَدُّ أكبر نجم مضيء؟

س.ل.ع
لندن

الشمس جرم كوني مُضيء، وهي أكبر نجم بالنسبة لرؤية الإنسان على سطح الأرض، وليس شيء أكبر منها كالقمر والليل والنهار، وقد ذكرت هذه الآيات الكونية كثيرًا في القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، لأنها أقرب شيء للإنسان؛ يراها ويحس بها، وإلا فهناك ماهو أكبر من الشمس وأبعد سعة من جهة الضوء، لكن تم ذكر الآيات الأربع لأنها التي يعيش بها المرء في حياته، قال تعالى ﴿ومنْ آياته الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ﴾ (فُصِّلت ٣٧)، وقال سبحانه: ﴿وهُوَ الَّذي خَلَقَ الليلَ والنهارَ والشَّمسَ والقَمرَ كُلٌّ في فَلَك يَسْبَحُونَ﴾ (الأنبياء٣٣)، ولم يُذكر المشتري ولازحل ولا الدبران ولا المجرات... إلخ، لأنها لاتعلق لها بحكمة ظاهرة للعباد لكنه تعالى ذكرها جملةً للاهتداء في البر والبحر، وإلا فهناك ماهو أكبر مما تراه العين، وخذ مثلا لو ابتعدنا عن الشمس وسط النهار على الأرض وصعدنا مئة ألف مليون ميل فلن نرى الشمس، ولو قربنا قليلاً لبدت الشمس كنجم صغير.

فانظر سعة هذا الكون وعظمة خلقه ونظامه وهول ثقله، كيف الحال مع من يعيش لشهوة وشبهة؟

فالإنسان مسكين مسكين، يرى أنه الجليل الكبير، ولو تفكر بعين حرة عاقلة متزنة لوجد أنه يحتاج إلى نظرة أخرى، وأنه مخلوق ضعيف خرج من ضيق ويعود إلى ضيق، إن كان عاش لحياته دون سواها ولم يتفكر في خلق السموات والأرض، ماخلق الله ذلك باطلاً «ذلكَ ظَنُّ الذينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للَّذين كَفَرُوا منْ النارِ» (ص:٢٧).

الصلاة بالسراويل

ماحكم فسخ السراويل عند أداء الصلاة؟

سيف بن ناهض قايد
صعدة ـ اليمن

لم أجد لهذا أصلاً في السنة الصحيحة ولا عن التابعين بنسبة ثابتة، فخلع السراويل ليس له أصل. ومن يخلعه هكذا فلا أراه له، لكن من يخلعه لوجود نجاسة فهذا لازم في حاله لوجوب كمال الطهارة عند أداء الصلاة فريضة أو نافلة.

التعليل بالتقاليد

ماحكم لبس «دبلة» الذهب، لا بحجة المخالفة ولكن لأن تقاليد الزواج في بلد ما تقول بهذا؟

محمد م. م.م
نيجيريا

العرف ليس دليلاً، ولا شبهة دليل إذا خالف النص شرعيا، فعُرْف بلد ما أو تقاليده لاتكون قاضية على الصحيح، فمادام قد ورد النص بالتحريم فيجب الأخذ به قولاً واحدا.

وخاتم الذهب «الدبلة» محرمة بالنص والإجماع فلا تُستعمل. وحجة التقليد لاتقوم. وبهذا الصدد فإنك لاتجد من يلبس «دبلة» الذهب إلا وهو قد ارتكب معصية أخرى، لأن المعصية لها أخت والذنب وراءه ذنب، وتستطيع أن تفتش عن حياة من يلبس «الدبلة» الذهبية فسوف تجده مقصرًا مع الله تعالى في أشياء كثيرة مثل: المحافظة على الصلوات وسماع الغناء، والتهاون في كسب المال، والظلم بصورة ما، والغفلة عن فقه الأحكام الشرعية في الحياة... الخ.

فلبس «الدبلة» الذهبية لم يأت جزافًا، فهو ذنب، لكنه ذنب دفعه ذنب وذنب حتى تم التساهل مع الأيام، وحتى تم التعليل بالتقاليد ونحوها.

دوران الشمس وتسبيحها

هل دوران الشمس باتجاه الجهتين شرقًا وغربًا؟

بلشرف.م.ل
خولان ـ اليمن

لعل السؤال لم يكتمل، لكني أُجيب على قدر ماورد، حيث النظر يقتضي هذا من وجه قريب فأقول: إن الشمس جرم سماوي خلقه الله تعالى لحكم عديدة، ودورانها جزء مما خلقت له من الحكمة، وهي بهذا آية دالة على عظيم قدرة الخالق.

والشمس لها دورة واحدة متسعة الدائرة جدًا حول نفسها، لكن بحكم سعة الكون المنظور وبحكم بعدها فلا نحسّ بهذا ولاذاك، لكننا نعيش فقط متمتعين بالحكمة من وراء خلقها.

ومن جانب آخر يقال إن الخطاب في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة يتوجهان دائمًا بما يكون محسوسًا لدى المخاطب، ولهذا يأتي التعبير بالشروق والغروب بالنسبة لأهل الأرض على هذا الأساس.

والمقصود أن الشمس تسبّح بإذن الله تعالى في هذا الكون الفسيح لحكمة عظيمة، وخروجها وغيابها يكون بحكم دوران الأرض حولها، والله تعالى أعلم.

التثقيف الطبي ليس للأطباء فقط !

محمد كرزون ـ يوسف المصري

في مدينة حلب بسورية ظاهرة تثقيفية تستحق الوقوف عندها، فقد قرر بعض الأطباء، وبمبادرة ذاتية، يغلب عليها التطوع المجاني، إصدار سلسلة أطلقوا عليها تسمية (سلسلة التثقيف الطبي المستمر)، وقد صدر منها حتى الآن أربعة أعداد، وهي سلسلة تقدم ثقافة صحية مدروسة ميسرة، يستطيع كل من أوتي حظًا من الثقافة أن يفيد منها. هذه الظاهرة تعدّ إضافة خيّرة إلى ظواهر جادّة بدأت تظهر على امتداد وطننا العربي، في وسائل الإعلام وفي المطبوعات الرصينة.

وعندما نجد مثل هؤلاء الأطباء المخلصين لايكتفون بالجسر التقليدي بين الطبيب والمريض، وهو العيادة، بل يبحثون عن جسور أخرى على أرض الواقع، تسمح بالتواصل مع الناس على نحو أفضل وأوسع، بما يلائم كلا الطرفين، وتؤدي في النهاية إلى إيصال المعلومة الصحية الصحيحة الميسرة إلى كل مواطن، لتكوّن عنده فكرة أولية وشاملة، تسعفه عند الحاجة، ولو لأمد محدود، وترفع من مستواه الصحي، عندما نجد مثل هؤلاء فإن هذه الظاهرة تستحق كل اهتمام وتقدير في وطننا العربي الذي تتداعى فيه كثير من الظواهر الجميلة، وقلما تمتد فيه جسور التواصل عامة، وينحو نحوا حثيثا إلى الحياة الفردية والأنانية بطابعها الاستهلاكي المستهجن.

لقد أمست العلاقة بين الطبيب والمريض ـ مثلا ـ أشبه ما تكون بعلاقة الميكانيكي مع الآلة. ومن المؤسف أن نرى أغلب الأطباء يصوّبون أنظارهم إلى طموحاتهم المادية فقط، غير عابئين بالطريقة البائسة التي سيكفل بها المريض جزءًا أو كلاً من هذه الطموحات.

لقد كان في تراثنا العربي تسمية أخرى للطبيب هي «الحكيم». هذه التسمية لها مدلولها الإنساني العميق قبل أن تكون لها أبعادها الطبية المعروفة. فالحكمة هي خلاصة ما توصلت إليه الحضارة الإنسانية من رقي خلقي وعقلي ونفسي وبدني. وليتنا جميعا ـ بمن فينا من الأطباء ـ نتمثل هذه العبارة من جديد، فنذهب إلى الطبيب وفي أذهاننا أنه حكيم فعلا، ويستقبلنا استقبالاً مشبعا بالحكمة!

وفي حوار أجري حول التثقيف الطبي المستمر وبعض الجوانب الأخرى ذات العلاقة تحدث كل من: الدكتور سعيد الحيدري الخبير في كلية الطب في جامعة حلب الذي سبق له التدريس في جامعة المنصورة والكلية الملكية البريطانية، والدكتور نادر نور الدين والدكتور نزار الباش المحاضِرَيْن في كلية الطب في جامعة حلب، وجميعهم لهم إنتاج علمي منشور إلى جانب نشاطاتهم الأكاديمية.

• ما المقصود بالتثقيف الطبي؟ وما المطلوب من الطبيب والمريض معا؟

يجيب أولاً د. سعيد الحديدي: بدأت





من إصدارات سلسلة التثقيف الطبي المستمر

فكرة مشروعات التثقيف الطبي في الغرب منذ خمسة عشر عامًا تقريبا، وكانت موجهة للأطباء فقط، وليس للمواطنين العاديين. لأن الطبيب ـ غالبا ـ عندما يتخرج ويحصل على شهادته يظن أنه قد أعفي من المسؤولية، فلا بدّ من تذكيره الدائم بالمعلومات الطبية وبما استجد في ميادين البحث الطبي الدائم. أما نحن، فقد أردنا أن نجعل لعملية التثقيف بعدًا ثنائيا، فهي من ناحية منبر للطبيب ليطل من خلاله على مجتمعه بالمعلومة السليمة الهادفة، ومن ناحية أخرى هي فرصة طبية ليتعرف ما يطرحه زملاؤه الأطباء من مشكلات ومسائل تمس هذه المهنة الحساسة، زد على ذلك أن أغلب المواطنين عندنا ثقافتهم الطبية محدودة ومشوّشة، فلابدّ من مشروع ثقافي يحقق شيئا في هذه المجالات التي ذكرناها. إن امتلاك المريض ثقافة طبية يساعد الطبيب كثيرا في معرفة موطن الداء أو العلة، وذلك عندما يستطيع المريض أن يحدد للطبيب أشياء مهمة تساعده على تشخيص المرض. ثم إن أغلب المعلومات التي تتداول في الأوساط الشعبية مشوّهة، وتفتقد السند العلمي الصحيح. فمن ضمن مايعنيه التثقيف الطبي المستمر تقديم معلومات عن أهم الموضوعات الطبية بحيث تبقى في ذاكرته بشكل صحيح غير بعيد عن الحقيقة العلمية.

ويعقب د. نادر نور الدين: هذه المعلومات يهمنا أن تكون متخلصة من الأفكار الشعبية ومن الأفكار التي يقدمها بعض الأطباء للتخلص من إلحاح المريض في معرفة مرضه. فبعض الأطباء يقولون لبعض مرضاهم (معك عصب في المعدة) لمريض يشكو شكاية مستمرة من أعراض هضمية غير مفسرة يصعب على الطبيب الممارس أن يعبر عنها. هذه العبارات العامة الجاهزة غالبا ما يطلقها الأطباء لمريض مايفتأ ينتقل من طبيب إلى آخر ليصل إلى نتيجة، وهي الشفاء التام، الذي يعني ألا يتناول أي دواء بعد الشفاء، ويأكل كما يشاء، ويتصرف بحرية شخصية كما يتصرف بقية الأصحاء دون أن يشكو من شيء بعد ذلك، بمعنى آخر: إن المريض يذهب إلى الطبيب وفي زعمه أنه سيُشفى من أول جرعة للدواء يأخذها، وهذا غير وارد في أغلب الحالات المرضية. ولذلك نرى كثيرا من الأطباء يختبئون وراء ألفاظ مظهرها طبي، ولكن ليس لها أساس طبي، فعبارة«عصب في المعدة» لاتعني شيئا لأن لكلّ معدة عصبا، ولكن المريض يرتاح لهذا التفسير ويأخذ به.

وقد صارت هذه العبارات ـ للأسف ـ من مفردات القاموس الطبي الشائع بين الناس في بلادنا العربية، انطلاقا من هذه المفاهيم الخاطئة التي تطرق مسامعنا في عياداتنا من العامة ومن الأطباء على حد سواء. قد يكون لبعض الأطباء العذر في ذلك لأنهم يريدون أن يصلوا إلى إفهام المريض عن طريق تبسيط المفاهيم. ولكن لابدّ أن نوجد وسيلة ترقى بوعي الناس وتصحح لهم كثيرا من القناعات الخاطئة، وهذا يندرج ضمن أهداف التثقيف الطبي المستمر.

مفهوم التثقيف الطبي

وحول مفهوم التثقيف الطبي يضيف د. نزار الباش قائلا: إن عبارة تثقيف طبي تجمع مصطلحين معا: التثقيف والطب، والشطر الأول معروف، وهو الاطلاع واكتساب المعرفة عموما، أما الشطر الثاني فهو تطبيق هذه الثقافة على الطب. والواقع أنّ دمج هذين التعبيرين مفيد في حد ذاته، فلو عدنا قليلاً إلى الوراء لوجدنا أنّ المعلومة الطبية كانت حكرا على الأطباء وفئة محدودة جدّا من الناس، لقد كان الأطباء في أوربا وأمريكا قديما يكتبون وصفاتهم باللاتينية منعًا لمعرفة المريض حقيقة ما يشكو منه حفاظا على روحه المعنوية، وحتى يبقى الأطباء متفردين في علومهم. هذا الأسلوب انتهى الآن، الطب أصبح علما مدروسا، وليس حكرا على فئة من الناس، وبعيدا عن الشعوذة والدجل. هذا العلم يجب أن يعرفه أكبر عدد من الناس لأنه يتصل بحياة كل إنسان أوثقَ صلة، ويهمّ كل الناس أكثر من أي علم آخر، لأنه يتعلق بحياتهم وصحتهم. ومعرفة مبادئ الطب تجنّب الإنسان الكثير من الأخطاء والأخطار. إن التثقيف الطبي يعني استعمال لغة سهلة بعيدة عن اللغات الأجنبية والتعابير الطبية، لغة يستطيع

إنسانية الطبيب وطموحه المهني والمادي: هل يجتمعان؟

التثقيف الطبي ليس للأطباء فقط!

كل إنسان ملم بثقافة بسيطة أن يفهمها، وهذا يفضي بنا إلى أمرين: الأول النزول باللغة الطبية إلى الوعي الجماهيري، والثاني إخراج الأطباء من أبراجهم العاجية وتحوّلهم إلى لغة أخرى سهلة مبسطة ومفهومه بإمكان الإنسان أن يستوعبها. فإذا ما وصلنا إلى هذه النتيجة نكون قد حققنا الغايتين معا: إراحة الطبيب، وإراحة المريض، هذا على المدى القريب، أما على المدى البعيد فإننا سنضمن نتائج علاجية أفضل، وأيضا فإننا نكون قد جعلنا ظاهرة الاستشارات الطبية بين مريض وآخر تتلاشى شيئا فشيئا، لأن الناس قد وعوا أن مسببات الصداع - مثلا - ليست واحدة، ومن ثمّ فإن معالجة الصداع ليست نفسها عند كل الناس. إن التثقيف الطبي ليس محدودا في نشرة أو مجلة أو سلسلة كتب فقط، إنه يبدأ من عيادة الطبيب، إذ من المفيد جدًا أن يكون لكل طبيب مختص نشراته وتوجيهاته المطبوعة في مجال اختصاصه، تقدم ثقافة مدروسة للمريض، وتتناسب مع واقع البلد والمحيط الاجتماعي.

المريض المزعج

هل يمكن الاستنتاج إذًا أن مقولة «المريضُ المثقفُ متعبٌ لطبيبه» مقولة خاطئة؟

يرى د. الحديدي أن هذه المقولة خاطئة. أما د. نادر فيقول: هي مقولة ليست خاطئة تماما، وليست صحيحة تماما. فقد يكون الإنسان مثقفا في كثير من المجالات مثل المسرح والرسم والموسيقى، أما الطب فهو موضوع تخصصي، ولايستطيع أن يكون مثقفا طبيا إلا من درس الطب دراسة علمية أكاديمية، وأما أن نقول إنّ من يقرأ مجموعة من كتب الطب يصبح مثقفا طبيا فلا. إننا نرى بعض من كانوا قد قرؤوا كتابا في الطب في موضوع معين يقف أمام الطبيب المختص ليناقشه أو يعترض عليه من خلال تخصصه، وهذا الأمر مزعج أكثر مما هو متعب.

يضيف الدكتور نزار الباش: هذا مزعج بالنسبة للطبيب الذي لايسمح له وقته بالشرح للمريض، والمزعج أكثر هو المثقف الواهم الذي يحاول أن يستعمل ثقافته في التشخيص الطبي، في حين أن الثقافة الحقيقية تفرض عليه الابتعاد عن هذا السلوك الذي يعبر عن جهل أكثر مما يعبر عن معرفة. أما المثقف الذي يستمع إلى طبيبه ويحاول أن يستوعب ما يقال له، فهو المريض الذي يريح نفسه ويريح طبيبه، وهذا مانريد جميعا أن نصل إليه.

تثقيف المريض طبيا

ويبين د. الحديدي: ونحن حين نقوم بالتثقيف الطبي للمواطن فليس لكي يصبح طبيبا، ولكن ليلم بشيء من التنوير بالموضوع الذي يعاني منه، وما يلزمه من أجل الشفاء، وتمكنه من الوقاية من كثير من الأمراض.

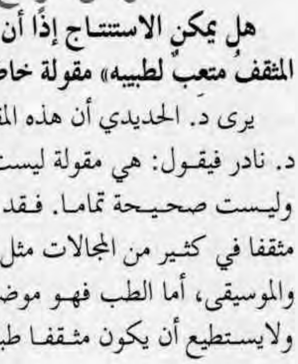
تبقى الحالة - كما يلحظ القارئ - مرتبطة بالطبيب المختص، وفي هذا الصدد يضيف د.الحديدي: لاشك في ذلك، فالطبيب تلقى منهاجا علميا متكاملا وعلى مدى أعوام طويلة، وتعرض لاختبارات كثيرة منظمة ومبرمجة، وتزود بخبرات أساتذته من قبل، واكتسب خبرة ذاتية خاصة فيما بعد، ومن هنا فلا مجال لمقارنته بمثقف قارئ مهما كانت قراءاته غنية. بل إن العلوم الطبية ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما أوجدت مناهج اختصاصية مستقلة. فكيف بنا بعد كلّ هذا التقدم العلمي والمنهجية في الدراسة نساوي بين المثقف الذي قرأ بعض كتب الطب، ولو بلغات مختلفة، والطبيب؟ ثم إن جسم الإنسان كل متكامل، والاختصاصات متداخلة بعضها مع بعض، ولايدرك ذلك إلا الطبيب، فربما جاء مريض إلى عيادة طبيب متخصص في الجهاز الهضمي يشكو من أعراض إسهال، فيحوّله هذا الطبيب إلى طبيب متخصص بالغدد. في هذه الحالة يظن المريض الذي اكتسب نوعا من الثقافة المحدودة أن طبيب جهاز الهضم لم يفهم مرضه، ويخرج بحكم قاس على الطبيب.

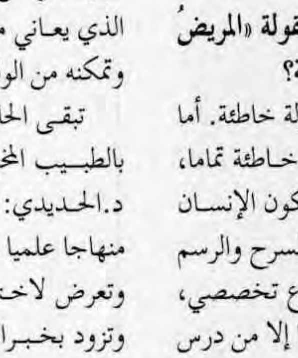
ويعلق د. الباش على ذلك قائلا: كثير من الأطباء يحاذرون أن تقع مراجعهم العلمية في أيدي من لم يدرسوا الطب دراسة علمية، خشية أن يحصلوا منه على اسم دواء أو مركب فيتعاطَوْهُ بأنفسهم دون استشارة طبيب، لأن معرفتهم تبقى جزئية، بينما تكون معرفة الطبيب شاملة، كما يحسن بالمراجع العامة التثقيفية ألا تذكر الأسماء التجارية للأدوية.

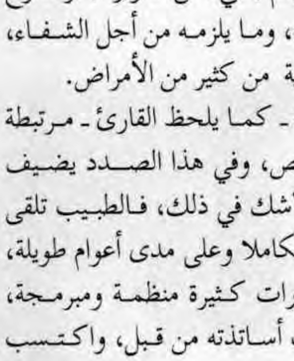
وفي الموضوع نفسه قال د. الحديدي: نحن نتحاشى ذلك كثيرا، فمثلا يذكر مرجع أنه لعلاج ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم فينصح بالدواء الفلاني، ومن الممكن أن يسهم هذا الدواء برفع معدل الكوليسترول إذا كان المريض يعاني من مشكلات أخرى، وعندها سيكون تأثير هذا الدواء ضارا بدل أن يكون نافعا.

الطبيب بين الانسانية والجشع

عن علاقة المريض بالطبيب وعلاقة الطبيب بالمريض وهو من الموضوعات الحيوية في عملية التثقيف الطبي المستمر يقول د. نادر نور الدين:


د. سيد الحديدي


د. نادر نور الدين


د. نزار الباش

كل عدد من أعداد السلسلة التي أصدرناها يحوي مقالة في هذا الموضوع، وهذا النوع من المقالات هو حجر أساس في التعامل بين المريض والطبيب، وهذا التعامل يختلف من بلد إلى آخر، التعامل في الشطر الغربي من العالم يجب أن يكون صريحا جداً، وإذا لم يكن الطبيب صريحا في تعامله وشرحه لمرض مريضه فقد يعاقب قانونيا. المريض في إنجلترا - مثلا - إذا كان مصابا بسرطان، فيجب أن يصارح بذلك. هذا الأمر لايحدث لدينا في الشرق، وقد كتبتُ في إحدى المقالات عن ذلك، إن مريضنا الشرقي يتوقع نسبة ٨٠٪ أنه مصاب بالسرطان، ومع ذلك يتمنى من طبيبه أن يتوقع له مرضا آخر، أضف إلى ذلك أن الطبيب في كثير من الأحيان يسرّ بالمرض إلى أقارب المريض، ويطلب منهم ألا يطلعوا مريضهم عليه. هذا عن الصراحة بين الطبيب والمريض، العلاقة الأخرى هي علاقة نفسية اجتماعية، والسؤال يفرض الإجابة عن هذه وهذه. العلاقة الاجتماعية بين الطبيب والمريض يجب أن تكون جيدة جداً، وهناك كثير من الأطباء المشهورين شهرتهم أتت من أنهم عندما يستقبل أحدهم مريضه يخاطبه بودّ وحميمية، ويرفع الألقاب، ويسأله عن وضعه الاجتماعي ووضع أقاربه قبل أن يشرح المريض مرضه الذي يشكو منه، عندها يطمئن المريض ويسترخي، ويجد نفسه كأنه في بيته أو مع صديق له، وليس في عيادة طبيب، هذا الحاجز النفسي الموجود بين الطبيب والمريض يزول معظمه، وهذه نقطة مهمة جداً، وفعالة ومفيدة للمريض والطبيب معًا المريض يطمئن، فيتحدث بجرأة وصدق واستفاضة عن حالته، وهو في حالة تقبّل لما سيعطيه له الطبيب من علاج لأنه انطلق معه من حميمية صادقة، واقترب من مشاعره، وأبدى اهتماما بالغًا به، وعندها يستطيع الطبيب تشخيص المرض بدقة، ولا يخامر المريض أدنى شك في صحة التشخيص، وكذلك فإن الدواء الذي سيصفه له هو العلاج الناجع. إن المريض في الشرق أو الغرب يتمنى أن يكون طبيبه ودودا يسمح له بتداول الحديث والاستفاضة به. ولكننا - للأسف - نرى هذه الظاهرة تنحسر شيئا فشيئا، مع أنها مهمة.

وبيّن د. الباش رأيه قائلا: العلاقة بين الطبيب والمريض لها عدة أبعاد، أهمها البعد الإنساني. إنها تعامل إنسان مع إنسان بقصد المعالجة وتخليصه من علته. فالإنسان في تعامله مع كل الأشياء المحيطة به لاتؤخذ عليه مآخذ تذكر، وبالمحصلة فليتعامل كما يشاء شرط أن لا يحدث ضررا للآخرين، أما معاملته مع أخيه الإنسان بقصد المعالجة فهذه لها شأن آخر، وهذا ما أعطى الطب منذ القدم بعداً إنسانيا، ويجب ألا ننسى أبدا أن الطب ليس سريريا وحسب، وإنما له بعده النفسي أيضا، فالطبيب الذي اختار مهنة الطب عليه أن يدرك البعدين معًا الإنساني والنفسي في التعامل مع مرضاه. فالمطلوب من الطبيب أولاً وأخيراً أن يدع مشكلاته الشخصية جانبا وهو يتهيأ للدخول إلى عيادته، وأن يتفرغ للعمل، فإذا تحقق هذا الشرط فإن الطبيب يستطيع أن يستوعب شكايات مريضه الصحية، وأما إذا دخل عيادته وهو مشحون بمشكلاته الشخصية فإنه سيضيق ذرعا بمشكلات مرضاه. هذا هو البعد الثاني، وهو أن يكون الطبيب قادرا على استيعاب مشكلات الآخرين الصغيرة والكبيرة النفسية والجسدية. ما معنى كسب ثقة المريض؟ إن كسب ثقة المريض تعني إراحته أولا وإشعاره بأن الطبيب متفرغ له، وأن لدى الطبيب المقدرة العلمية على وصف العلاج له لأنه أعطاه الأهمية التي يستحقها. وهذا الأمر يعكس ثقافة الطبيب ومقدرته على التعامل مع الطبقات الاجتماعية المتفاوتة. وهنا لابدّ من التذكير بالخلط الحاصل بين كون الطب مهنة إنسانية ووجود العلاقة المادية بين الطبيب والمريض. في رأيي كون الطب مهنة إنسانية لايعني أن على الطبيب أن يعالج مرضاه بالمجان، أو لايعير الجانب المادي أي أهمية. هذا الالتباس الذي يحدث في مهنة الطب حقيقي، ولكن لاغنى للطبيب من أن يحصل على أجره. إن الطب المجاني لم يثبت جدواه في معظم دول العالم؛ لأن المريض لايشعر بأنه بذل شيئا لقاء حصوله على وصفة لعلاجه، ففي كثير من الأحيان لايشتري الدواء، إذًا لابد من المقابل المادي ولو كان المبلغ زهيداً.

يعقّب د. الحديدي على هذا بقوله: هذا الكلام لا أحلى منه ولا أسهل، ولكن التطبيق



العلاقة المثالية بين الطبيب والمريض .. كيف تكون؟

التثقيف الطبى ليس للأطباء فقط!

متى يكون المريض المثقف أو المطلع مزعجا للطبيب؟

العملي مختلف تماماً عنه. في صدر كلامنا كلمة تحمل الكثير من المعاني الأصيلة والجميلة، وذلك عندما وُصفَ الطبّ بأنه حكمة كما كان يقال في تراثنا. وفي الماضي كنت ترى الطبيب شاعراً وفيلسوفا وفلكيا ورياضيًا، ومن ثمّ فإنه ينظر إلى الإنسان من هذه الأبعاد. حاليا فإن الكلام الجميل كلّه الذي نقوله غير موجود، وأنا أعتقد أنه أسلوب للاستهلاك الشخصي. إنني أتصور أن الطبيب سيكون في أفضل حالة له إن استطاع أن يعطي المريض جزءاً من ذاته، يعني أن يصغي إلى مريضه باهتمام ويبتسم له، وهذا أقل حقّ من حقوق المريض على الطبيب، ولكن عمليا فإن معظم الأطباء لايفعلون شيئا من هذا. إن المريض لم يدخل عيادة الطبيب ليخرج منها بورقة تحمل أسماء خمسة أدوية أو ستة، بينما هذه هي الحقيقة. المطلوب أن يسأل الطبيب نفسه: إلامَ يحتاج هو عندما يكون مريضا؟ ويعكس ما كان يحتاج إليه في مرضه على مرضاه عندما يرتادون عيادته. أغلب مرضى اليوم لاتتجاوز نسبة مرضهم العضوي ١٠٪، بينما يكون مرضهم ممزوجًا بمتاعب نفسية بنسبة ٩٠٪ نتيجة الضغوط الاجتماعية والمادية، بل إننا نستطيع أن نعزو أسباب أكثر الأمراض العضوية إلى الضغط النفسي الهائل الذي يعاني منه إنساننا المعاصر، من ذلك مثلاً أن التشنجات التي تحصل للقولون غالبا ماتكون نتيجة قهر نفسي. وهذه الأمراض يمكن أن يعالجها الطبيب لو كان يملك وقتا كافيا.

ونعود إلى مشكلة الوقت والتكاليف، إن الطبيب يخطط لعمله وعدد مرضاه وفقا لاحتياجاته المادية، فهو يضع حداً أدنى، فهو مثلا يحتاج يوميا إلى أجور معاينة عشرين مريضا تسد حاجته المادية وطموحاته، ولذلك تراه ينظر إلى ساعته مرارا عندما يعالج مريضا اضطر إلى الإسهاب في الحديث، لأن هذا المريض سيؤثر في دخل الطبيب في ذلك اليوم، وبالتالي فإن الطبيب غير مستعد لأن يستمع إلى المعاناة النفسية للمريض. ولكن حينما تعطي هذا الطبيب الأجر المعقول فإنه سيعطيك فرصة للاستماع. إنّ للمسألة المادية دورا كبيرا جدا، لأن الأطباء معظمهم تحولوا الآن للسعي وراء المجد المادي فقط.

طب الأعشاب والطب الشعبي

هناك جانب آخر في موضوع التثقيف الطبي يتعلق بمسألة عامة ومهمة: الطب الشعبي والخلط بينه وبين طب الأعشاب الذي بدأ العالم كله يهتم به، وصارت له مدارس، وبلغ من الرقي والاهتمام مبلغا عظيما.

يقول د. سيد الحديدي عن هذا المجال الذي يهتم به: طب الأعشاب موضوع علمي بحت وقديم جداً قدم الإنسان، وهو مقبول بشرط واحد أن يدرس علميا. في الغرب وفي الدول المتقدمة بدؤوا ينهجون هذا النهج، يعني عندما يتحدث الناس عن خواص الحبة السوداء فإن هذه الخواص موروثة من أمم عديدة، ولكن مراكز الأبحاث بدأت تهتم بهذه الطروحات، وتدرس بالتجربة مدى فاعليتها لمعرفة ما إذا كانت تلك الخواص تتمتع بقدرة علاجية أم لا؟ وهذا ما يجب أن يكون عندنا أيضا.

(يعلّق د. نادر: من ذلك ما يشاع شعبيا عن أن تناول العسل يخفض من نسبة السكر في الدم، ولكن أثبتت التجارب والأبحاث عكس ذلك).

ويتابع د. الحديدي: وللأسف الشديد فإن هذه المسائل تؤخذ عن طريق وصفات غير علمية، وهنا يكمن الخطر، وأما إذا خضعت الأعشاب إلى التجربة العلمية فإن فوائدها عظيمة.

ولايمنع أن نأخذ آراء علمائنا القدامى مأخذ الجد، ونؤسس عليها تجارب جديدة، ونخلص إلى ربط علومنا القديمة بعلومنا المعاصرة، لأن العلماء العرب القدامى لم يصفوا ماوصفوه من فراغ، وإنما وجدوا حظا كبيرا من النجاح لوصفاتهم عند عدد كبير من مرضاهم، فدوّنوها في مؤلفاتهم. إن علوم الأجداد تجعلنا لانبدأ بحثنا العلمي في الأعشاب من الصفر، وإنما لدينا أسس مهمة جداً يمكن أن نبني عليها ونتابع البحث. وهنا لابدّ من التذكير بأن أغلب الأدوية في العالم انطلقت من الأعشاب، من استخلاص مادة ما من أحد الأعشاب، ثم تطورت العمليات المخبرية، فصارت هذه المواد تركب في المخابر من مواد وعناصر تكاد تكون متطابقة مائة في المائة مع المادة التي استخلصت من الأعشاب أو من غيرها من المواد الطبيعية البرية أو البحرية. النباتات والأعشاب لها دور مهم جدا بشرط أن تكون خاضعة لتجربة علمية أثبتت فاعليتها، وأما غير ذلك فهو غير مقبول. كثير من الناس يتحدثون عن عادات خاصة أو وصفات خاصة، وهذا لانحمله محمل الجد ما لم يخضع للتجربة العلمية. أما الطب الشعبي فهو نوع من الشعوذة الممزوجة بالخرافات.

الدواء حين يكون داء

النقطة الأخيرة التي تحدث عنها الأطباء الثلاثة تتعلق بالأدوية والعقاقير الصيدلانية، وكيف يجب على الإنسان العادي أن يتعامل

التثقيف الطبي ليس للأطباء فقط!

معها، بمعنى آخر: المريض الذي يعاني من صداع أو ارتفاع حرارة أو نوع من الإسهال أو القبض.. إلخ، هل يخول له أن يأخذ دواء شائعا دون استشارة طبيب؟

قال د. نادر: هذا موضوع حساس جدا. هناك بعض الأدوية في أوربا سمحت بتداولها الهيئات الطبية التي تهتم بالاستعمالات الدوائية، وهي أدوية توجد في الصيدليات، وتصرف لمن يشاء، وليس لهذه الأدوية أضرار جانبية تذكر، منها أدوية لتسكين الصداع أو استعمالات يومية أخرى، وهي - على كل حال - أدوية محدودة جداً. وفي رأيي الوصفة الطبية هي الأساس في صرف العقاقير، ويجب ألا يسمح بصرف عقار طبي من صيدلية إلا بوصفة أصلية، ماعدا بعض الاستثناءات، ولبعض الأدوية المأمونة من أية أعراض جانبية. إن بعض تجاوزات الصيادلة في بيع الأدوية اعتباطا دون وصفة طبيب، هو من الأخطاء الشائعة التي قد تسبب كوارث صحية عند بعض الناس، فهناك بعض الأدوية التي يؤدي تعاطيها غير المدروس إلى الإدمان عليها مما يجعل لذلك نتائج خطيرة على صحة المريض. وعلى العموم ففي كل دول العالم هناك أدوية على الصيدلي ألا يبيعها إلا بوصفة من الطبيب. إن الصيدلي ليس طبيبا.

وتوسع د. الباش في الموضوع قائلا: إن الطبيب وحده هو الذي يعرف لماذا أعطى هذا الدواء أو ذاك لمريضه، وهو يحسب كل التأثيرات التي يمكن أن تحدث لمريضه نتيجة تناوله العقار الذي يصفه له. فبعض التأثيرات الجانبية لدواء مايتوقع أن تكون كبيرة وخطيرة، ولذلك فإن الطبيب يستبعده لأنه شخّص حالة مريضه، بينما الصيدلي لايعرف بدقة طبيعة المرض، وإنما يسمع شكاية عامة فيعطيه دواء كيفما اتفق. وعند وصف أيّ دواء هناك ثلاثة أمور يحسب الطبيب حسابها: ١- الفاعلية المطلوبة في الجرعة الاعتيادية للدواء. ٢- الفاعلية السمية عندما تزداد جرعة الدواء عن الحد المسموح به. ٣- التحسس الدوائي. وهذه الأمور لايستهان بها، ولهذا فإن الطبيب عندما يصف الدواء يكون هدفه الأساسي الوصول إلى الفاعلية المطلوبة في الجرعة الاعتيادية للدواء لتخليص المريض من علّته. وفي الوقت نفسه فإن الطبيب يتفادى الأمرين الآخرين (الفاعلية السمية والتحسس الدوائي). وأريد أن أنبّه على أمر مهم أيضا: كثير من المرضى يأخذون دواء من وصفة طبيب فيلاحظون تحسنا في حالتهم، فيلجؤون إلى شراء عبوة جديدة منه دون الرجوع إلى الطبيب، وهذا تصرف خطير ربما يسبب لهم مشكلات صحية هم في غنى عنها، لأن الطبيب ربما قدّر احتياجهم من هذا الدواء بعبوة واحدة فقط.

وتساءل الحديدي: لماذا يجب ألا يُعطى الدواء إلا بوصفة من قبل طبيب؟ لأن الطبيب يبحث عن السبب الحقيقي لارتفاع الحرارة أو الإسهال أو الأعراض الأخرى، بينما لايستطيع الإنسان غير المختص أن يحدد السبب.

مجالات التثقيف الطبي عديدة وأهمها حديث الطبيب مع مريضه باهتمام

وحول ما يؤاخذ عليه الطبيب العربي عموما أنه يصف عدة أدوية لمريضه قد تصل في بعض الأحيان إلى عشرة أدوية لمرض واحد، بينما العرف العالمي عند الأطباء يقضي بأن يصف الطبيب لمريضه دواء واحدا أو دواءين على الأكثر، وسارع د. الحديدي إلى القول: من الخطأ أن يلجأ الأطباء إلى الإكثار من الأدوية لمرضاهم، والصحيح هو أن يصفوا دواء أو دواءين.

أخذ د. نادر الموضوع من زاوية أخرى، فقال: الأمر لا يعدو أن يكون خطأ، ولكن الطبيب العربي المعاصر له أسبابه في ذلك، وربما يكون الخطأ مشتركا بين الطبيب والمريض، فالطبيب عندما لايستطيع أن يشخّص بشكل سليم يلجأ إلى التوقع والتخمين، ليحاول تغطية أكثر من احتمال في وصفة واحدة. وعندنا المريض متعود غالبا على أن تكون صفحة الوصفة مملوءة بأدوية، ويفضلها أحيانا مرتفعة الثمن، أضف إلى ذلك أن المريض يريد أن يملأ صيدلية منزله الخاصة بأدوية يستعملها من تلقاء نفسه عند الحاجة.

مجالات التثقيف الطبي

انتهى كلام الأطباء، وتبقى ملحوظة أخيرة هي: أن التثقيف الطبي المستمر يتعزز في المجالات الآتية:

١- الكتب والمقالات الطبية المبسطة.

٢- النشرات الخاصة التي يعدها الطبيب للتوعية من بعض الأمراض الشائعة، أو أنظمة الحمية للوقاية من أمراض عصرية.

٣- حديث الطبيب مع مريضه هو نوع مهم من أنواع التثقيف الطبي الناجح.

٤- الندوات الطبية الجماهيرية التي تهدف إلى التوعية الصحية.

٥- الرقي بالبرامج الصحية التي تقدمها أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وعدم اقتصارها على النصائح فقط.

السياسة اللغوية والمذهبيات الفكرية المعاصرة

د. عبدالله بن هادي القحطاني

ليست اللغة وعاء ثقافيًا يحفظ للأمة تاريخها وحضارتها وتراثها وحسب، بل هي أيضًا وسيلة للكشف عن حقيقة شخصياتنا، وعلاقاتنا الاجتماعية أفرادًا ومجتمعات. فاستخدامنا لأسلوب لغوي دون آخر ليس مسألة عفوية، بل هي ذات مغزى نفسي، واجتماعي نعبر به عما ينبعث في نفوسنا من مشاعر التقدير، والحب، والفخر، أو أي أمر شعوري آخر.

وعن طريق اللغة تتمازج العلاقات الإنسانية، والروابط الطبقية، فعلى سبيل المثال عندما يطلب شخص من خادمه كوبًا من القهوة، يقول:

– أعطني كوب قهوة يابني

ولكنه عندما يطلبه من أخيه أو من صاحبه يقول: هل يُمكنك إعطائي كوب قهوة. أو بأي أسلوب لغوي آخر أكثر تهذيبًا من الأول، وكذلك يُستخدَم أسلوب مماثل في اللغة الإنجليزية للسياق السابق نفسه. فمثلاً يمكن قول: Acup of tea! عند طلب كوب من الشاي من خادم أو نادل في مطعم. ولكن حين يكون الطلب من صديق أو قريب تربطك به علاقة اجتماعية تحتاج لبعض المجاملة فتقول: May I have cup of tea!، لذلك فإن استخدامنا لأسلوب دون آخر ليس أمرًا عشوائيًا، بل يحمل في طياته معاني كثيرة جدًا تتعلق بنفسية المتحدث أو العلاقة الاجتماعية أو الوظيفية التي تربطه بالمخاطب.

وقد ذهب بعض الباحثين في علم اللغة الإنساني (الانتروبولوجي) وارتباط الثقافة باللغة من أمثال سابير و ورف إلى أن اللغة تتعدى كونها إشارات تخاطبية، وأن التراكيب اللغوية ذاتها تؤثر تأثيرًا مباشرًا في طريقة تفكير متحدثي لغة ما ورؤيتهم للحياة. ويطلق على هذه الطريقة «الجبرية اللغوية» Linguistic Determinism (١) واستشهد ورف لذلك ببعض النتائج بعد دراسته للغات الهنود الأمريكيين حيث أشار إلى أنه يبدو أن لغة (الهوبي) Hopi لاتنطوي على أية كلمات أو صيغ أو بُنى نحوية أو تعابير تعود مباشرة إلى مانسميه بالزمن الماضي والحاضر والمستقبل، أو ما يدل على الاستمرارية. لذا فلايوجد في لغة الهوبي مايدل على الوقت في شكل متتابع كما نتصوره يتمثل في الزمان والمكان. ولغة الهوبي لاتحتوي على إشارة إلى الزمن بتاتًا (٢).

لقيت هذه النظرية «الجبرية اللغوية» تحديات كثيرة من قبل اللغويين التركيبيين من أمثال تشومسكي وجاكوبسون، وكانت موضع ريبة لديهم. ولكنها لقيت انتشارًا وقبولاً لدى المهتمين بالعلوم الإنسانية مثل علماء النفس والاجتماع (الأعراق الإنسانية) والسياسة (٣). وخاصة لدى المهتمين بالفكر الماركسي.

ولكننا نجد أن تعبيرنا عن شخصياتنا وعلاقاتنا في كثير من لغات العالم أكثر تعقيدًا من مجرد تغييرات أسلوبية أو قواعدية في نمط لغوي معين كما في المثالين السابقين من اللغة العربية والإنجليزية، بل يتعدى ذلك ليشمل تغييرًا جذريًا في النظام اللغوي، كما هو الحال في كثير من لغات الهند، حيث يسود نظام الطبقية العرقية Cast System. فكل طبقة من تلك الطبقات تصنف وفق مهنتها العرقية المتوارثة أبًا عن جد. وتبدأ من أعلى طبقة وهي طبقة البراهما «Brahman» أو سدنة الآلهة، ثم طبقة الكشاتريا «Kshattriya» أو طبقة الحكام والفرسان، ثم طبقة الفايزايس «Vaisyas» أي طبقة التجار والفلاحين، ثم طبقة المنبوذين «Untouchables» التي تسمى بشودراز «Sudras»، وهي من أحط الطبقات في السلّم العرقي الاجتماعي الهندوسي، ومهمتهم الأساسية خدمة الطبقات العُليا (٤). يسير

التخاطب بين الطبقات وفق نظام لغوي شديد التعقيد كشدة تعقيد ذلك النظام العرقي العنصري في الأساليب اللغوية غير المتبادلة Non-resprical(٥)، فكل طبقة عرقية لها نظام لغوي في الحديث يختلف اختلافًا جذريًا حسب اختلاف المخاطب إن كان من طبقة أعلى أو من طبقة أدنى، أو حتى من الطبقة نفسها، ولكن هذه الأنظمة اللغوية قد تصل إلى حد كونها لغات مختلفة تمامًا. وذلك ما حدا بكثير من علماء التخطيط اللغوي الذائعي الصيت من أمثال فيشمان إلى أن يطلقوا على الهند أكبر مختبر للتعدد اللغوي في العالم.

وتلخيصًا لما سبق، نجد أن هناك نوعين من الاختيار اللغوي Language Choice

١ - نوع أسلوبي Stylistic يعود إلى الشخص نفسه في حرية اختيار أسلوب لغوي دون آخر سواء أكان بطريقة عفوية، أو مقصودة.

٢ - ونوع آخر كما في المثال عن الطبقية اللغوية في الهند يعتمد على نظام لغوي مخطط ومعقد، وفق سياسة لغوية محددة. وهذا النوع من الاختيار اللغوي، سواء أكان اختيار لغة دون أخرى في حالة الازدواجية اللغوية Bi-lingualism، كما في كثير من المجتمعات مثل: الإنجليزية والفرنسية في كندا، أو الإنجليزية وإحدى اللغات المحلية مثل: الهوسا، أو اليوربا كما في نيجيريا، أو اختيار لهجة دون أخرى، كما في اللغة العربية، حيث إنها لغة الأدب، والثقافة، والسياسة، وماسواها من اللهجات تستخدم في سياقات اجتماعية أخرى، وعبر التاريخ كان معيار الاختيار بين لغة و أخرى، أو بين لهجة و أخرى معلقًا بين الساسة والمفكرين والمخططين اللغويين بغض النظر عمّا يطلق عليهم. وسنناقش في هذا البحث نوعين من السياسة اللغوية مع الإشارة إلى بعض أهدافها الفكرية (الأيدلوجيه) والاجتماعية والنفسية.

السياسة اللغوية في القرآن

من الواضح أن عوامل التفرقة الاجتماعية والعرقية ليست معيارًا لتقويم متحدثيها أو محاولة انتقاص لغاتهم، كما حدث في أماكن كثيرة من العالم. وكما استعرضنا، فاللغة ليست مجرد أصوات وكلمات وجمل تستخدم كوسيلة لإيصال ما نريد منها، وفهم ما نسمع، إنما هي وسيلة نعبر بها عن أنفسنا، ونبين من خلالها للمخاطبين نوعية العلاقة التي تربطنا بهم، ومدى الفجوة الاجتماعية أو الطبقية بين المتحدثين التي قد تكون كبيرة جدًا إلى درجة أن لايكون هناك أي تقارب أو تمازج مطلقًا، فاللغة إذن تفصح عن علاقتنا بأنفسنا، وبهذا الكون من حولنا. والعلاقة مع اللغة علاقة متشعبة الاتجاهات ومعقدة التركيب. فبينما الاختلافات اللغوية في الهند مثلاً مبنية على تفرقة عرقية عنصرية تعتمد على نوع الأسرة التي ولد فيها الشخص، دون النظر إلى القدرات الشخصية، أو الصفات الأخلاقية على الإطلاق. نلحظ أن القرآن الكريم يقرر أن تلك الاختلافات، إنما هي للعبرة، والتفكير، والتحليل والدراسة، وليست وسيلة للتفرقة وتكوين تراكمات عنصرية وفقًا لها. قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم: ٢٢) والله عز وجل هو القائل أيضًا: ﴿ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات﴾ (الأنعام: ١٦٥). حيث نجد في هذه الآية من كتاب الله تعبيرًا عن التلاحم بين اختلاف الألسنة، أي اللغات جنبًا إلى جنب مع اختلاف اللون. فعادة مايكون الاختلاف اللغوي مرتبطًا بالاختلاف العرقي. وهذا من العلامات الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى في تصريف الخلق وتشكيله، وقد ذكر ابن كثير في تفسيره حول قوله تعالى: ﴿واختلاف ألسنتكم﴾(٦) أن الألسنة تعني اللغات فهؤلاء عرب يتكلمون بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء ترك، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج بربر وهؤلاء أحباش وهؤلاء هنود، إلى غير ذلك مما لايعلمه إلا الله في اختلاف بني آدم. وقد سعى الإسلام إلى محو تلك الحواجز الاجتماعية والعرقية الناتجة عن الاختلاف اللفظي حيث قال تعالى: ﴿ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات: ١٣)

وفي هذه الآية تتجلى العدالة الاجتماعية في الإسلام وحقيقة التفاوت بين الناس، فليس باللون والحَسَب، أو الطبقة الاجتماعية، ولكن بالتقوى والتقرب إلى الله فقط، فالهدف من كل تلك الاختلافات بشتى أنواعها هو أن يعرف الناس بعضهم بعضًا.

ومما لاشك فيه أن الطبقات الاجتماعية كائنة منذ الأزل وباقية حتى يوم الدين، فهناك الغني والفقير، والعالم والجاهل، والحاكم والمحكوم ..الخ. ولغة كل فئة لاريب تختلف عن لغة الفئة الأخرى مفردات وأسلوبًا، وليس بالضرورة قواعديًا. ولكنها رغمّ ذلك ليست وسيلة للتمييز العنصري أو للتفرقة أو لتفضيل هذا على ذاك. فالتقوى هي المعيار، وهذا لاينفي وجود لهجات تميز وتفرق ليس بين أصحاب الطبقات الاجتماعية فحسب، بل بين أصحاب المهن المختلفة أيضًا. فلاتعارض بين هذا، وبين إقرار أن التقوى هي المعيار.

في الجانب الآخر، والمسلمون حتى في ظل القوة والفتح أرسوا قواعد نظام لغوي راسخ يمحو الطبقات اللغوية من خلال إزالة مسبباتها. ولكنه لم يمحُ اللغات الأصلية لأصحاب البلاد المفتوحة بل تركها كما هي، وهيأ لها وسائلها التي تحفظ لغتها، ودليل ذلك هو بقاء لغات كثيرة مازال المسلمون من غير العرب يتحدثونها رغم إجلالهم للُغة العربية، واستخدامهم لها كلغة ثانية، مثل: الكردية، والتركية، والبربرية، ولغات أخرى كثيرة في أواسط آسيا وأفريقيا.

والاهتمام باللغة العربية راجع إلى الاهتمام الكبير بالقرآن الكريم، وفي الآية السابقة يجتث الدين الإسلامي تلك الحواجز الطبقية والاجتماعية التي هي الدافع وراء وجود حواجز نفسية ولغوية. كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسى قاعدة عامة تشمل اللغة والعلاقات الاجتماعية.



كمال أتاتورك



ستالين

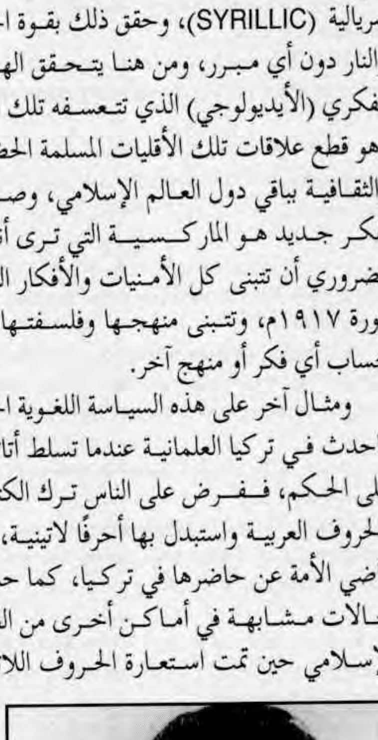
السياسة اللغوية والمذهبيات الفكرية المعاصرة

وهي كما قال صلى الله عليه وسلم: «لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى». فليس العرق واللغة هما اللذان يقرران القيمة الحقيقية للإنسان، ولكن مدى استخدامه لطاقاته التي وهبها إياه خالقه.

السياسات اللغوية والتغيرات الفكرية وتأثيرها على اللغة والتخطيط اللغوي

لقد أضحى التعسف اللغوي من مبادئ بعض المذهبيات الفكرية (الأيدلوجيات) العالمية. وذلك لأنهم ينبذون كل نظام لغوي لايتفق مع هواهم السياسي أو الفكري. ومن أمثلة ذلك ماحدث في الجمهوريات الإسلامية في جنوبي الاتحاد السوفيتي (سابقًا) وذلك عندما ألغى ستالين عام ١٩٣٨م الحرف العربي، ليقطع أي اتصال بين تلك الشعوب وماضيها، واستبدل بالحروف العربية التي كانت تكتب بها لغات أواسط آسيا أخرى سريالية (SYRILLIC)، وحقق ذلك بقوة الحديد والنار دون أي مبرر، ومن هنا يتحقق الهدف الفكري (الأيديولوجي) الذي تتعسفه تلك الأمم، وهو قطع علاقات تلك الأقليات المسلمة الحضارية والثقافية بباقي دول العالم الإسلامي، وصبغها بفكر جديد هو الماركسية التي ترى أنه من الضروري أن تتبنى كل الأمنيات والأفكار الثورية لثورة ١٩١٧م، وتتبنى منهجها وفلسفتها على حساب أي فكر أو منهج آخر.

ومثال آخر على هذه السياسة اللغوية الجائرة ماحدث في تركيا العلمانية عندما تسلط أتاتورك على الحكم، ففرض على الناس ترك الكتابة بالحروف العربية واستبدل بها أحرفًا لاتينية، ليبتر ماضي الأمة عن حاضرها في تركيا، كما حدثت حالات مشابهة في أماكن أخرى من العالم الإسلامي حين تمت استعارة الحروف اللاتينية



توم شومسكي

تحت ادعاء الاصطلاحات اللغوية. وكل هذه المزاعم لاتدعمها موضوعية، وإنما تسيرها أهواء جهات سياسية، وفكرية فقط. ومهما يكن الأمر فقد بين قاليفر (١٩٨١م) مثلاً الدوافع الحقيقية حول إلغاء أتاتورك الكتابة بالأحرف العربية مع مطلع عام ١٩٢٦م واستبدال حروف لاتينية بها بدأ في تدريسها عام ١٩٢٨م، حيث أعلن الرغبة في قطع صلات تركيا العلمانية بأصولها التاريخية والإسلامية(٧). وقد ذكر تشالز عيساوي (١٩٧٧م) بعد بحث مستفيض حول التجربة التركية تحت مسمى مايدعى بالإصلاحات اللغوية: إن معظم المصطلحات العربية في شتى المجالات المعرفية قد استبدل بها أخرى أوربية. مما يعد ثمرة للسياسة اللغوية التي ترمي إلى تركيز مبادئ العلمانية والتغريب ليتبناها النظام اللغوي الجديد(٨). ولقد كان يعلم المخططون في تركيا تمام العلم بأن قبول أي نظام كتابة يعني قبولهم الانتماء الثقافي الذي انبثق منه ذلك النظام الكتابي(٩)، ولأن أحرف الهجاء العربية تنتمي إلى الثقافة الإسلامية، فقد أقر المخططون اللغويون العلمانيون استبدال نظام آخر رغبة في الانتماء إليه، حيث اختاروا الحرف اللاتيني.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تمثل التعسف في السياسة اللغوية في شتى أنحاء العالم، والتي غالبًا ما تكون نتيجة للاستبداد السياسي والعنصري كما هو الحال في عصر الاستعمار، حيث فرضت لغة المستمر وثقافته على الشعوب المستعمَرة، وحلت محل لغات البلاد الأصلية أو همشتها، كما حدث في سيراليون، ونيجيريا، والسنغال وكثير من دول العالم الثالث. وماحدث في الجزائر من محاولات حثيثة أو خبيثة لفرنسة الشعب ولغته ليس بخاف على كل مطلع على تطور السياسات اللغوية في العالم. فقد ذكر سبنسر بأن الدور الاستعماري لفرنسا قد تعدى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في إفريقيا إلى درجة محاولة سحق اللغة العربية، لدرجة أن التعليم باللغة العربية الذي كان منتشرًا، لم يكن يُعرف بالمدارس التي تتبنى من قبل حكومة الاستعمار كمؤسسات تربوية(١٠). كما أدى تدخل المستعمرفي فرض لغته (اللغة الفرنسية) في الجزائر إلى تجهيل الشعب وارتفاع مستوى الأمية بين أفراده.

وقد أشار كولونا إلى ذلك حيث قال: «لقد كان مستوى التعليم في حاضرة الجزائر يزيد بنسبة ٤٠٪ عما هو عليه في فرنسا في ذلك الحين. ولكن بعد أن غادر الفرنسيون الجزائر، أي بعد ١٣٠ سنة من الاستعمار انخفض مستوى التعليم بين الجزائريين إلى درجة كبيرة، وحتى وصل من ١٠-١٥٪ فقط(١١)، وقد أضاف كولونا أن وزير التعليم الفرنسي رامبان Rambandقد حدد السياسة التعليمية واللغوية لفرنسا في الجزائر في عام ١٨٩٧م حين صرح بأن الغزو الأول قد تحقق على المستوى العسكري في عام ١٨٧١م، عندما سقطت قابيليه Kabylia، أما الغزو الثاني فقد تبلور من خلال إجبار أهل البلاد الأصليين على تقبل إدارتنا ونظامنا التشريعي. بينما كان الغزو الثالث عن طريق المدرسة، وهذه الخطوة كان عليها أن تعزز أهمية لغتنا (اللغة الفرنسية) فوق كل التعابير المحلية (لم يقل اللغة)، وإملاء فكرنا بكل ماتعنيه فرنسا ودورها في العالم الإسلامي(١٢)، كما ذكر المسؤول عن التعليم الخارجي في فرنسا في عام ١٩١٠م أن على الجزائريين أن يبقوا فرنسيين في اللغة، والتفكير، والروح(١٣).

ويوجد مثال آخر للسياسات اللغوية الاستعمارية في بلد إفريقي مسلم آخر هو سيراليون، حيث تتجلى العجرفة اللغوية الاستعمارية في ظل الحملات التنصيرية التي أدت دوراً كبيراً في فرض لغة المستعمر وفكره، جنبًا إلى جنب مع ديانته (النصرانية). فقد ذكر تيفن (TIFFEN) أنه لم يكن يسمح للطلاب في المدارس التنصيرية بالحديث بلغة سوسو (Susu) اللغة الأصلية للسكان في سيراليون. وقد نقل تيفن (Tiffen) هذه المعلومات عن تقرير الإرساليات الكنسية حول مراحل التعليم الأساسية في سيراليون عام ١٨٠٨م(١٤).

السياسة اللغوية
والمذهبيات الفكرية المعاصرة

ولاشك أن مايطرأ على السياسات اللغوية من تغيرات، إنما هو جزء لايتجزأ من معطيات السياسة التعليمية التي تتبلور بدورها وفقًا للأهداف الاجتماعية والسياسية للمجتمع(١٥). ويؤكد فيليبسون أن اللغة الإنجليزية قد تمتعت بقوة فكرية (أيديولوجية)، ورثت فيها هذه اللغة تراكمات السياسة بيريطانيا العظمى(١٦). كما أن بارون (١٩٩٠م) Baron ذكر بأن المناهج التعليمية للغة الإنجليزية تسير يدًا بيد لدفع القيم الإنجليزية والأمريكية حول العالم(١٧).

وقد أشار فيليبسون إلى أن مايجرى في العالم اليوم من اندفاع نحو الرأسمالية التي تقودها أمريكا وهيئة منظمة الأمم المتحدة عن طريق النظام العالمي الجديد، مثال آخر للتخطيط اللغوي العالمي المساير للتخطيط السياسي في فرض اللغة الإنجليزية كلغة للعالم، وهذا ماحدا بفليبسون للتعليق بأن المرتكزات السياسية التي تدعمها بعض نظريات تدريس اللغة الإنجليزية لاتدعمها في الغالب نتائج بحثية علمية، بل تعكس التعسف اللغوي للغة الإنجليزية ومايتزامن مع ذلك من دفع بحثي واقتصادي وسياسي حول العالم. وقد لخص بعض تلك المزاعم على النحو الآتي:

١ - من الأفضل تدريس اللغة الإنجليزية فقط.

٢ - تدريس اللغة الإنجليزية في مراحل مبكرة يحقق نتائج أفضل.

٣ - إذا تدخلت أي لغة مع اللغة الإنجليزية سيؤثر في التحصيل(١٨) اللغوي للطلاب.

ومما يعضد رأي فيلبسون بأن المزاعم السابقة ليس لها سند علمي أو منطقي ماذكرته أورورباخ في عدد الربيع لعام ١٩٩٣م من مجلة تيسول الفصلية -أكثر المجلات العلمية المتخصصة في تدريس اللغة انتشارًا في العالم- من التأكيد بأن تلك التوجهات في فرض اللغة الإنجليزية عالميًا، تعود لأسباب سياسية واقتصادية بحتة(١٩). وقد أسهبت هذه الباحثة في التفصيل حول الأسباب التي تدفع إلى فرض اللغة الإنجليزية كلغة للعالم حتى على المستوى البحثي والأكاديمي.

وأخيرًا فإن معالجة القيمة الاجتماعية والفكرية للغة في حياة الشعوب، إلى جانب تأثير السياسات والعقائد والاتجاهات الفكرية (الأيديولوجية) في صياغة السياسة اللغوية لمجتمع أو لآخر؛ قد تجلى من خلال بعض الأمثلة للممارسات المختلفة للسياسة اللغوية في أقطار مختلفة من العالم، وتحت تأثيرات اجتماعية وسياسية وعقدية ومذهبية فكرية متباينة لتحقيق أهداف خارجة تمامًا عن نطاق اللغة والتخطيط اللغوي، لخدمة أهداف ثورية كما في السياسة اللغوية الثورية التي تبناها الاتحاد السوفيتي السابق، والتي أثارها عالم اللغة الشيوعي (مار) Marr، وتحت مباركة لينين، أو من أجل تحقيق رغبات عقدية وفكرية كما حدث في تركيا على يد أتاتورك، حيث لم يراع الساسة اللغويون في اعتبارهم خلفيات الشعوب ولاتاريخها على الإطلاق، وكأن اللغة رموز جبرية صماء لاعلاقة لها بتاريخ ولاثقافة.

وكذا ماحدث للجزائر على يد الاستعمار الفرنسي، حيث أظهرت المؤسسات التعليمية الفرنسية في الخارج استبدادًا لغويًا لامثيل له في فرض لغة المستعمر، وإحلالها محل لغة الشعوب المستعمرة، وجعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية ولغة العلم والتعليم والحضارة، ومحاولة القضاء على اللغات المحلية، وقد نجحت تلك السياسة إلى حد ما في السنغال وفولتا العليا. ولكنها لاقت صعوبات كثيرة في الجزائر حالت دون تحقيق نجاح ساحق.

وقد رأينا نموذجًا للسياسة اللغوية التي تتبناها عقائد دينية مثل الهندوسية التي ترسخ نظام الطبقية العنصرية بين طبقات المجتمع، مما أدى إلى انبثاق أنظمة لغوية متعددة، وملازمة لكل طبقة اجتماعية أبد الحياة، ولايحق لطبقة حقيرة مثل التشودري أن تتجرأ على استخدام التعابير اللغوية التي يحتكرها البراهما.

وعلى النقيض من تلك التوجهات السابقة، نجد أن الإسلام وهو في قمة ذورته السياسية، وانتشاره في العالم، لم ير مثل تلك السياسة اللغوية المعسفة، ولكنه كان غاية في السمو والتسامح والانفتاح، يرتكز على العدالة الاجتماعية التي يتبناها النظام الإسلامي على المستويين الفكري والاجتماعي، والذي لايرى أن الغاية تبرر الوسيلة، بل إن الوسيلة ذاتها كما في الغاية تحكمها معايير عقدية وأخلاقية سامية بعيدة كل البعد عن التمييز العنصري ، أو استغلال النفوذ في محو هوية الشعوب ومقدرتها. فلقد انتشرت اللغة العربية في كل أقطار العالم الإسلامي دون استثناء، وبقيت للشعوب لغاتها وهويتها مع ولائها إلى اليوم للغة العربية.

الهوامش:

1 - E. Sapir, abstract of apaper entitled "Conceptual Categories in Premitive Language " Presented to the Natinoal Academy of Science. Science 74 (1931) : 578.

2 - B. L. Whorf, Language, Thought, and Reality: Selected Writings of Benjamin Lee Whorf, ed. J.B.Carroll (Cambridge: MIT Press, 1956), P.57.

3 - F. Rossi- Landi, Idelogies of Linguistic Relativity (The Hague: Mouton, 1973).

4 - A. Nadwi, Islam and The World. translated by Dr. Mohamed Asif Kidwai, (The Holy Quran Publishin House, 1992). PP. 26-27.

٥ - ومن أمثلة ذلك ضميرا المخاطب بالفرنسية Tu و Vous حيث إنهما يحملان معنيين لغويين متقاربين يعنيان بالعربية "أنت" ولكن لهما معنيان اجتماعيان متباينان، فالأول يستخدم بين الأقران، بينما الثاني يستخدمه الأدنى للأعلى في السلم الاجتماعي أو الوظيفي.

٦ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. ج ٣ ص : ٤٣٩.

7 - G. E. Lewis, Multilingualism in The Soviet Union. (The Hague, Mouton, 1972).

8- C. F. Gallagher, "Language Reform and Social Modernization in Turky", In Can Language be Planned, ed. by (The university J. Rubin and B. H. Jernudd press J Hawaii, 1981) P. 165.

٩ - المرجع السابق ، ص ١٦٦.

10 - J. Fishman, The Sociology of language, (Newburry House, 1972). P. 358.

11 - J. Spencer "Colonial Language Polocies and Their Legacies" in Current Trends in Linguisltics vol. 7. ed. T. A. Sebeok. (The Hague, 1971) P.543.

١٢ - المرجع السابق، ص ٤٠.

13 - E. Ashby, Universities: British, Indian, African. A study in Ecology of High Education. (Cambridge: Harvard University Press, 1966). P. 365.

14 - B. Tiffen "Language and Education in Common-Wealth Africa", in Language in Education. (Cambridge: Harvard University Press, 1968) P.71.

15 - R. Phillipson, Linguistic Imperialisim. (OXford University Press: Oxford, 1992) P.120

١٦ - المرجع السابق، ص ١ .

17 - D. Baron, The English Only Question: An Offecial Language for Americans. (New Haven, CT: Yale University Press, 1990).

18 - Phillipson, P. 185.

19 - E. R. Aulerbach, "Re examining English Only in the ESL Classroom" TESOL Quarterly, VOl: 27, 1, Spring, 1993.

شهادة

يحيى مختار

«الجنينة والشباك» بالنوبة القديمة هي قريتي التي ولدت فيها بعد التَعْليَة الثانية لخزان أسوان الذي اختزل مواسم العملَ في الأرض إلى موسم واحد من ثلاثة شهور، فكان على الذين بقوا في القرى بعد هجرة القادرين على الكسب إلى الشمال أن يملؤوا الشهور التسعة بالغناء والرقص، وأن يحكي العجائز (الحكاوي) حول الكوانين وعلى المصاطب، وعلى النساء والفتيات أن يغزلن الخوص أبراشا وأطباقا ملونة ويزيِّنَّ الدور بالرسوم وأطباق الصيني المزركشة.

جئت إلى القاهرة سنة ١٩٤٣م في صحبة والدتي للحاق بوالدي الذي كان مقيما في حي العرب بالمعادي جنوب القاهرة، جئت محملا برؤى ذلك العالم الجميل، غابات أشجار السنط على شاطئ النهر، وأكمات النخيل الكثيفة والمراكب السابحة كالإوز في النيل بأشرعتها البيض، الدور المتناثرة في كل نجع بألوانها الزاهية ورسومها البديعة تقف مزهوة على طول الشاطئ تطل على النيل. السكون الشامل هناك كان يلف الوجود كله حتى إننا كنا نسمع ثرثرات المتحدثين على الشاطئ الآخر تحملها مياه النهر الساجي.. هناك كان الكون كله في ديمومة تسبيح وصلاة.

جئت حي العرب ولم أكن أعرف كلمة واحدة عربية.. «بربري طازه» كما كانوا ينادون كل نوبي وافد حديثا.. غربة لغة ومكان هذا هو بر مصر، عالم غريب مختلف تماما عما ألفته، مغاير لما عشته: ضجيج وزحام.. عمائر شاهقة، وسيارات مسرعة، وعربات (ترام) وكارو ودراجات.. دنيا مفزعة ومخيفة أسقطتُ في هوة من التوجس والخوف والوحدة.. أي حصار كان؟! كان الأمر بمثابة زلزال.

تعلمت مبادئ القراءة والكتابة على يد شيخ يدعى الشيخ إبراهيم أبو ذراع، لأنه كان بذراع واحدة، كان قاسيا ورهيبا.. كاد يصرفني عن الدرس والدراسة، ثم التحقت بكتَّاب شيخ ضرير يدعى الشيخ إبراهيم مطاوع لمدة عامين حفظت فيهما جزأي عمّ وتبارك.

تعلم العربية والتعامل مع أقراني في الحي والكتَّاب والمدرسة بعد ذلك كان تحديَّ الأول، وكان بدء تجاوز الزلزال.

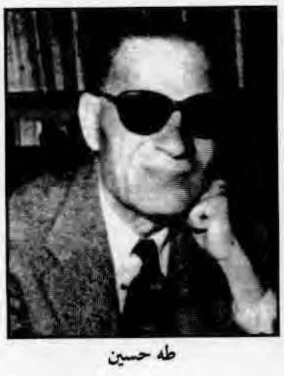
في البيت مع والدتي وأقاربي نتحدث طوال النهار بالنوبية، وفي الشارع بالعربية العامية. عالمان مختلفان ومتجاوران ومتعايشان. أعاقني ذلك عن سرعة التقدم في اللغة، وإن جعلتني اللغة النوبية أحتفظ في أعماقي بعالمي القديم وإيقاع الحياة فيه، وفي سطح الذاكرة أيضا حيث العلاقة موصولة بالأهل في قرانا، رسائل وزيارات، مسافرون وقادمون، ذكريات وأحداث جارية لاتنتهي.

كان أبي مواظبا على قراءة الأهرام والمختار من الريدرز وإيجست. وكان يختبر مدى تقدمي في الدراسة بأن أقرأ له الجريدة وفقرات مما هو منشور بالمختار، وكان ذلك صلتي الأولى بعالم القراءة بعيدا عن دروس المدرسة. كنت أقرأ دون أن أفهم كثيرا مما أقرأ، وكانت محاولة الفهم هي التحدي الثاني. فهم الواقع الجديد الذي أعيشه ولا أعرف عمق دروبه، وفهم العالم الذي تفتح القراءة نوافذه أمامي.

في المدرسة وقعت لي تجربة مثيرة، كان مدرس اللغة العربية قد أعد كراسة التحضير الخاصة به على شكل كتاب، ثم قام بتحويل هذه الكراسة إلى كتاب مطبوع ملون تحت عنوان «التعبير الحديث» وقام بتوزيعه علينا مقابل عشرة قروش. هذا التحول للكراسة إلى كتاب مطبوع يحمل اسم الأستاذ عبدالله بركات.. هذا الاسم المجرد المطبوع على غلاف الكتاب الجذاب ككل الأسماء التي أقرؤها على باقي الكتب الدراسية وعلى صفحات الأهرام والمختار، هذا الاسم يتجسد أمامي كائنا حيا.. كان الأمر بالنسبة لي أشبه بالسحر. تكونت رغبة قوية عارمة أن يكون لي أنا أيضا كتاب أضعه بنفسي يحمل اسمي. عدت من فوري إلى البيت أفكر في الأمر وشرعت في وضع كتاب في القراءة الرشيدة واستخدمت الصور الملونة التي كانت تطبع على الورق بإمرار اللعاب على سطح الصورة ولصقها على ورق أبيض والضغط عليه ثم ازالته. وظللت احتفظ بهذا الكتاب الذي لم يرسل قط إلى المطبعة لسنوات طويلة.

وكان التحول الحاسم عندما سكن ابن خال لي بجوارنا منتقلا من حيّ المناصرة في قلب القاهرة..على يديه تعلمت قراءة روايات الجيب، وبقدر مابهرني ذكاء شرلوك هولمز وحبكة روايات أجاثا كريستي، فإن روايات أرسين لوبين ملكت علي نفسي، هذا البطل

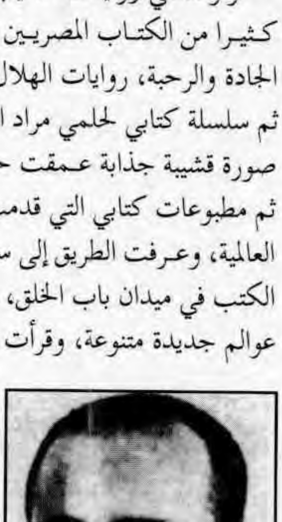

توفيق الحكيم

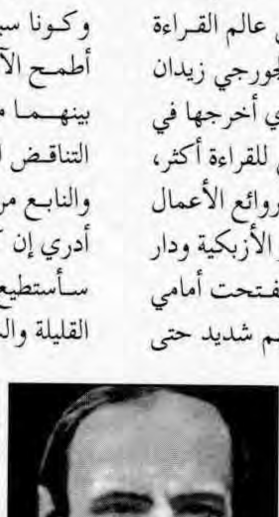

طه حسين

الذي يعرض نفسه للخطر من أجل أن يأخذ من القادرين ليعطي للفقراء؛ لقد سلَّم موريس لبلان أن هناك ظلمًا واقعا وقائما في العالم، وأن هناك أناسًا يحتاجون إلى المساعدة، هذا الحس الإنساني الرهيف في روايات بوليسية محبوكة أسرني، كنت أرى وأشعر مدى حاجة كل إنسان للمساعدة حتى أولئك الذين يبدون أقوياء. وما أشد حاجة كل إنسان في هذا العصر للمساعدة والمساندة.

إن دور المرحوم الأستاذ عمر عبدالعزيز أمين ناشر ومترجم هذه الروايات لاينسى. ومن أعاجيب القدر أن ينبعث هذا الإنسان العظيم أمامي متجسدًا بعد سنوات طويلة كهلا هشّ البنية يبحث عن نتائج مبيعات روايات الجيب في توزيع الأخبار حيث كنت ومازلت أعمل، وتذكرت أستاذي عبدالله بركات، وأوشكت عندما رأيته لأول مرة أن أنحني على يديه وأقبلهما، كانت الروايات قد بدأت في الأفول، وكان يستدين لها المال لتستمر في الظهور وكان في حاجة لمن يسانده ليستمر واقفا على قدميه.

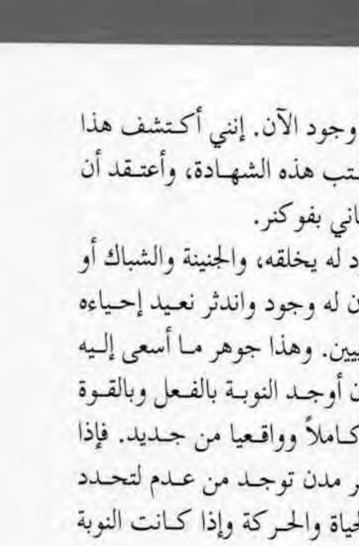
وأوصلتني روايات الجيب كما أوصلت كثيرا من الكتاب المصريين إلى عالم القراءة الجادة والرحبة، روايات الهلال لجورجي زيدان ثم سلسلة كتابي لحلمي مراد الذي أخرجها في صورة قشيبة جذابة عمقت حبي للقراءة أكثر، ثم مطبوعات كتابي التي قدمت روائع الأعمال العالمية، وعرفت الطريق إلى سور الأزبكية ودار الكتب في ميدان باب الخلق، وانفتحت أمامي عوالم جديدة متنوعة، وقرأت بنهم شديد حتى إنني كنت أقرأ أكثر من ٤٥ كتابا شهريا في شتى فروع المعرفة من فلسفة وتاريخ وأدب وقصص.. الخ وقرأت لمعظم الكتاب المصريين بلا استثناء؛ الكبير والصغير، والقديم والجديد.. تأثرت جدا بعالم الفقراء والمهمشين عند طه حسين«المعذبون في الأرض» وتوفيق الحكيم في حواره الساحر المعجز، كما دخلت في عالم أستاذنا نجيب محفوظ الذي كان قريبا من كل أجيال الأدباء الذين أتوا بعده وأخذ بيدهم هو والفنان الكبير يحيى حقي، وجذبتني بشدة المجموعات الأولى لقصص يوسف إدريس عبقري القصة القصيرة العربية. وجست في عالم الكتاب الأوربيين والروس، وكان تأثري شديدا للغاية بتشيكوف وديستويفسكي اللذين قرأت أعمالهما كاملة أكثر من مرة ومازلت، لقد غرقت في عالم شديد الخصوبة ووقعت في أسرهما بالرغم من تضاد وتماثل عالميهما. إن استراتيجية إبداعهما واحدة وإن كانا على خلاف شديد حتى إن تشيكوف بعد سنوات من نضجه لم يعد يثيره ديستويفسكي كالسابق.. معا اجتمعا لديَّ لقد توحدا داخلي وكونا سبيكة واحدة إن جاز التعبير، وكم أطمح الآن وبشكل واع أن أزيل الالتباس بينهما من خلال كتاباتي ، وأن أرفع هذا التناقض الأولي والظاهري في رأيي بينهما، والنابع من واقع واحد زمانا ومكانا، لست أدري إن كان ذلك صوابا أم لا.. وهل سأستطيع الاقتراب من ذلك خلال كتاباتي القليلة والشحيحة.


جرجي زيدان


ديستيوفسكي

كما كان تأثري شديدًا للغاية ومازال بوليم فوكنر في رواياته الرئيسة الثلاث: الصخب والعنف، سارتورس، قداس لراهبة. «يوكنا باتوفا» هذا المكان الموجود بالقوة بلا وجود، الأسطوري والواقعي معًا.. المقاطعة الخيالية التي خلفها فوكنر ليجري عليها أحداث رواياته. هي الجنينة والشباك في النوبة القديمة التي هي موجودة بلا وجود الآن. إنني أكتشف هذا الأمر الآن وأنا أكتب هذه الشهادة، وأعتقد أن ذلك كان سر افتتاني بفوكنر.

مكان لاوجود له يخلقه، والجنينة والشباك أو النوبة القديمة كان له وجود واندثر نعيد إحياءه ونشره نحن النوبيين. وهذا جوهر ما أسعى إليه في كتاباتي.. أن أوجد النوبة بالفعل وبالقوة لتتحقق وجودًا كاملاً وواقعيا من جديد. فإذا كان لدى فوكنر مدن توجد من عدم لتحدد واقعا يشقى بالحياة والحركة وإذا كانت النوبة واقعا كان موجودا قديما وعريقا يندثر ويذوب ويتبدد إلى عدم فكيف لايبعث من جديد. هذا التجاور المتضاد الذي جمعني بفوكنر هو تجاور شكلاني حتى إنه جنوبي مثلي، ولكنه شكلاني إلى حد بعيد لاختلاف مضامين العالمين في كثير من الجزئيات والأساسيات، وبالرغم من ذلك مازال حبي له وإعجابي به، وإنني مرة أخرى أكتشف هذا التجاور الآن، وربما كان مثل هذا الاكتشاف أحد فوائد أن يجلس الإنسان ليكتب شهادته لأول مرة.



هكذا بدأ الأمر معي.. شخص مسحور بما فعله أستاذه فقلده تقليدا ساذجا ومضحكا ثم انقلب الأمر جدا بالتدريج حتى أصبحت مسكونا بالكتابة.. نبتت الرغبة على استحياء وتردد من خلال قراءتي لصعوبة الأمر وجديته، وأزال الرهبة مدرس التربية الفنية في المدرسة الثانوية مختار العطار الناقد الفني الكبير الآن، الذي لاشك قد نسيني من طول الزمن. لم تكن الكتابة عن النوبة في البؤرة الواعية من توجهي

شهادة

حتى التحقت بقسم الصحافة بجامعة القاهرة عام ١٩٥٦م. وكان حلم بناء السد العالي حلما قوميا استبد بنا، وانخرطت مع زملائي في كتائب الجامعة في عدوان ١٩٥٦م من أجل السد. وظلت النوبة متوارية خلف الإطار الوطني الذي كان يحركنا، وتحقق حلم بناء السد ومعه جاء الغرق والهجرة التي اقتلعتنا من الجذور، كان حدثا كونيا، وهنا أفتح القوس لأقول شهادة صدق أنا مسؤول عنها أمام أبناء النوبة أولا، إنني ما كرهت بناء السد، ولا دعوت إلى هدمه كما ذهب بعض أهل الشمال من أبناء مصر، لقد قمنا قومة رجل واحد لندافع عن حقنا في بنائه لتطوير حياتنا نحن حفدة البناة العظام، ولكني كرهت الروح التي عالجت أوضاعنا، لماذا هجرنا شمالا بعيدا عن النهر الذي كان يجلله أجدادي؟ لماذا لم تنقل القرى حول البحيرة مثلما كنا نزحف نحو التلال شرقا وغربا عند كل تعلية للخزان؟ لماذا لم نعامل كما عومل معبد أبو سمبل حيث رفعوه في موقعه بعيدا عن منسوب البحيرة؟. وأقفل القوس لأكمل.



إن النوبة انبعثت في أعماقي بعد أن غرقت. وشرعت مع ابن خالي في كتابة رواية مشتركة عن الغرق الأخير، حتى أننا اخترنا له اسما «والجمود حرثناه» إلا أننا أدركنا أننا في حاجة إلى استكمال أدواتنا الفنية حتى يمكننا الاحتشاد لهذا العمل الكبير، وظلت الرغبة كامنة. وكان عام ١٩٥٧م عام تحول آخر وضعني بجدية في طريقي فنشرت أول قصة لي باسم «البناء» في صوت الجامعة، قصة لاعلاقة لها بالنوبة. وغبت عن الجامعة عامين لأسباب قهرية عامي ٦١، ٦٢. وظهرت «الشمندورة» للصديق الأديب النوبي محمد خليل قاسم عام ١٩٦٤م. ثم كانت النكسة فنشرت قصة باسم «قطة من العصر المملوكي» وكانت أول قصة تنشر لي في جريدة يومية هي المساء في ١٩٦٩/٤/٩م، وكانت عن النكسة وكانت مغرقة في الرمزية خشية المصادرة، وكان نشر الكاتب الراحل الكبير عبد الفتاح الجمل لهذه القصة بمثابة تدشين لي أنني قادر على أن أكتب شيئا يستحق النشر وأن يشغل بعضا من وقت القارئ. وفي ١٩٧٠/١٢/٢١م كتبت «عروس النيل» وهي أول قصة نوبية لي، وفي الوقت نفسه أول قصة نوبية طويلة نسبيا بعد «الشمندورة» ولم تنشر إلا في حزيران يونية ١٩٧٣م. كان تأخر نشرها بعد توقف مجلة المجلة صدمة عنيفة لي وإحباطا كنت في غنى عنه أنا المقل في الكتابة، فتوقفت عن الكتابة تماما وتحولت إلى قارئ جادّ فقط. وتحركت النوبة داخلي مرة أخرى لأنشر قصة «حكاية للنسيان»، في مجلة صباح الخير في ١٩٨١/٨/٢٧م وهي مشهد (اسكتش) لرواية طويلة عن التهجير لم يحن الوقت بعد لكتابتها. وغبت عن الوطن ثلاث سنوات توقفت فيها عن الكتابة. وبعد عودتي أكملت المجموعة الأولى من قصصي تحت عنوان «قصة عروس النيل»، ولم أجد من ينشرها لي، اسم مجهول، وماذا تعني النوبة لدى الناشرين والقراء على السواء؟ وظلت المجموعة في الخزانة سنوات حتى قيض الله لي صديقي الروائي الأستاذ جمال الغيطاني الذي أشرف في فترة على إصدارت إدارة الكتب والمكتبات بأخبار اليوم فصدرت عروس النيل في تشرين الأولى أكتوبر ١٩٩٠م لأحصل بها على جائزة الدولة التشجيعية، ولتكون ثاني مجموعة نوبية تحصل على هذه الجائزة بعد «ليالي المسك العتيقة» للصديق حجاج أدول. صدور المجموعة في حد ذاتها قبل حصولها على الجائزة كانت حافزًا قويا لي لأنجز رواية متوسطة وعدة قصص لتصدر في مجموعة بعنوان «ماء الحياة» عن دار سعاد الصباح وكان أيضا الصديق جمال الغيطاني وراء نشرها. وبعد ذلك نشرت عدة قصص قصيرة في صحف ومجلات أسبوعية وشهرية في مصر والعالم العربي وفي نهاية العام الماضي صدرت مجموعتي الثالثة.

ولأستكمل شهادتي، يهمني أن أقرر أنه لايعنيني مطلقا الجري وراء موضات الإبداع التي تفد إلينا من آليات واقع مغاير لحياتنا لاتعنيني الحداثة أو قضايا التجريب، كما لايعنيني أن ينوّه عن ذلك في كتاباتي، همي أن أصل إلى ناسي.. أن أعبر عنهم وعن مكانتهم كجزء من معاناة الشعب المصري، أن نعيد النوبة إلى مكانها في الجغرافيا وفي التاريخ.. أن يعود المجتمع النوبي مجتمعا حيا يثري الحياة المصرية ويواصل معها العطاء الإنساني. الإبداع تواصل، يبدأ بالكاتب ثم النص ثم القارئ وإذا لم تكتمل هذه الدائرة فلا وجود للنص، كان أستاذنا الدكتور لويس عوض ممسكا بقاعدة ذهبية في نقده وتقديمه لأيّ عمل، أن يكون النص مفهوما أولا ثم بعد ذلك تأتي باقي العناصر.

العمل الفني فعل في الواقع يتحقق بالقوة أو بالوجود. لولا الطابور الطويل من المبدعين والمفكرين العظام الذين صاغوا وجداني وتكويني وأعادوا ولادتي من جديد لما كنت أنا. هم فعلة وجودي الحالي وأنا نتاج فعلهم، يقول أندريه مارلو على لسان «كيو» بطل رواية «قدر الإنسان» لصديقه «كاتون» على لسان أبيه: «إننا لانملك من شخص ما سوى ما استطعنا أن نغيره فيه» وهؤلاء الكتاب العظام ملكوا مني ما استطاعوا أن يغيروه فيّ، كما أنني في الوقت نفسه قد امتلكتهم أكثر من خلال أعمالهم.





العنوان: الملك عبدالعزيز: رؤية عالمية
المؤلف: الدكتور ساعد العرابي الحارثي
الناشر: دار القمم للإعلام ط١
١٤١٥هـ/١٩٩٤م. (٦٣٠ص)

«مؤلف كتاب الملك عبدالعزيز - رؤية عالمية» الدكتور ساعد الحارثي، رجل إعلامي، ويتجه في هذا الكتاب اتجاها إعلاميا، لبلورة صورة الملك عبدالعزيز، من منطلق الوقائع والحقائق التي واكبت حياة هذا الملك؛ وقد وقف الكثير من رجال الفكر الحديث العربي والأجنبي. وأخذ الحارثي يجمع شتاتا من النصوص التي قالها أوثق الرجال المفكرون. ويبدو أنه ألف هذا الكتاب من منطلق الإعجاب بحياة الملك عبدالعزيز وشخصيته الفذة التي حقق من خلالها معجزة تفجرت بأقل من نصف قرن، ليشيد «مملكة مترامية الأطراف - ويوطن سكانها البدو، وينقل بهم من البداوة إلى الحضارة والتمدن، بل ويقتحم بهم آفاق العصر، وهو لايملك من الوسائل المادية مددا يُؤْبه به».

ويتسم الكتاب بالموضوعية والمنهجية، فقد اتبع الحارثي توزيع معالم شخصية الملك عبدالعزيز على محاور بارزة اعتبرها فصولاً بلغت التسعة؛ وأدرج تحت كل فصْل بعض الخطوط الأخرى التي تكمِّل رسم ملامح ذلك المحور، لتجيء أخيراً، سائر المحاور وحدة متكاملة عن تلك الشخصية التاريخية الخالدة. وهذه المحاور هي:

استعادة الرياض (مولد دولة)، الملك عبدالعزيز: البطولة والزعامة (السمات الجسدية - سمات البطولة - صورة البطل عبدالعزيز والمفاهيم الغربية في تقويم الرجال)، سمات الزعامة (بين البطولة والزعامة - مفاتيح الزعامة - الزعامة وصناعة الدولة)، أخلاق القيادة وقدراتها (البر بالوالدين - الذكاء - البساطة والتواضع - الصراحة والوضوح والصدق - الحلم - الكرم - الفصاحة - العقيدة والنجاح)، توحيد المملكة وتوطيد الأمن، تحكيم الشريعة والشورى، التنمية الشاملة (تحضير البدو - الزراعة والمياه - التعليم - تحديث الجيش - الطرق والمواصلات - وسائل الاتصالات الحديثة - الصحة - البترول والمعادن - وسائل المدنية الحديثة)، مكانته العربية والإسلامية، مكانته الدولية، الرحيل.

وإذا كانت النصوص الأجنبية المترجمة والعربية كثيرة حول تلك المعاني التي ترسم لنا شخصية الملك عبدالعزيز القيادية والأخلاقية، والدينية والوطنية، فإننا سنكتفي ببعضها مما يفي بغرضنا في هذه العجالة السريعة. وهذا مثال مما اقتطفه المؤلف من استعادة الرياض تلك العبارات النثرية الأدبية المثيرة عن محرر جريدة العرب:

«ويتم لعبد العزيز، والنفر العزيز من جنده - تسلق الأسوار واحتطاب نخلة، وحملها وأعداد ضفيرة من أليافها سلمًا، ومن جذعها متكأ.. ويرعون الصمت، ويرعشون النوم، ويهبطون إلى بيوت ويسجنون من بها من جند وخدم، ويكممون أصوات النساء، ويبعثون في إحضار المدد من خارج الرياض، ويتحلق الجيش الصغير في حلقة حول القلعة في الليل البهيم، ويصلون الفجر، ويصابرون الوقت حتى يطلع النهار، وينفتح باب القلعة، ويخرج الحاكم ومن حوله ومن فوقه جنده، فتدور المعركة. وينهزم، عنيدا مستبسلاً تاريخ ابن الرشيد، وتعلو كلمة الحرية وترفرف على الفضاء راية الوطن.

ويعود عبدالرحمن وأسرته السعودية إلى وطنه، ويتعانق الأب والإبن، ويجتمع الناس، ويؤمرون عليهم عبدالعزيز، وينطلق الناس، وينطلق معهم زمانهم دعة ورغدًا. ولكن عبدالعزيز لايغمد سيفه، فما كان بحاجة إلى قراب بقدر حاجته إلى بناء دولة». ص٥٦. أو ما قاله روزفلت يصور شخصية الملك الذي بلغ السبعين من عمره وهي عن (سمات البطولة). منها هذه العبارات: «لقد كان من عظماء المحاربين. وفي جسمه حتى الآن أثار من جراح المعارك. ولاشك في أن سنه قاربت السبعين، وهو مازال يقف مزهوًا منتصب القامة. عملاقًا، ملتحيًا، كسوته الثياب العربية الفضفاضة. على رأسه ضمادة منقوشة باللون الأحمر. وعقال مذهب. يطل على العالم كمارد كبير في قصص ألف ليلة وليلة. ليس سيد الصحراء بأعظم تحفة فنية من حيث الصورة فقط، بل هو أحد دهاة الملوك الألمعيين أيضا، في عالم القنابل الذرية والفيتو» ص٧٣

ومما قالوه عن ذكائه - برث فيش الوزير الأمريكي المفوض - :

«الملك عبدالعزيز بن سعود عبقري، قوي الإرادة، شديد الذكاء، يشعر الجالس معه بسمو شخصيته المتجلية في قامته المديدة، ، ووجهه الأسمر الذي ارتسمت على قسماته تجارب السنين، وصوته المملوء بالثقة والقوة، وعينيه الناطقتين بالذكاء ودلائل العزم» ص١٥٦ ومما قالوه عن كرمه - محمود أسد - :

«يفد عليه كل يوم كثير من البدو والوفود من أنحاء الدولة، يعرضون عليه شكاواهم ورغباتهم، ويتلقون منه أوامره، وجميعهم ينزلون ضيوفا عليه طول مكثهم في الرياض. وهو يولم الولائم لنحو ألف نفس كل يوم، ويعطي كلاً منهم عند رحيله ثوبا تبعًا لعادة العرب، وكذلك قطعة من النقود حسب مكانته، ونفقات الملك الشخصية جد قليلة، لأنه لايعرف الترف في حياته الخاصة وإنما له عدد من السيارات لابد منها لحسن القيام بشؤون الحكم في هذه المملكة المترامية الأطراف»ص٢١١

ومما قالوه عن التزامه الديني وتطبيق الشريعة الإسلامية، جريدة العربي القاهرية:

«هل نسي الملك عبدالعزيز آل سعود ما وعد الناس بتحقيقه، إذ تم له السلطان على ربوع البلاد، وهل غابت عنه أحلامه الإسلامية في غمرة الانتصارات ونشوة الرقي في معارج السؤدد والعزة؟ كلا لقد أقام في مملكته حدود الله، على الرغم من أنف دعاوى البهتان الحضارية العسيفة» ص٤٣٢. وهكذا تمضي شهادات وأقوال المفكرين الأجانب والعرب في تقدير تلك الشخصية، ورسم معالمها كاملة. هي شخصية

العنوان: جزيرة العرب مهد نشأة فكرة الحق والقانون
المؤلف: الدكتور معروف الدواليبي
الناشر: دار الشواف - الرياض، ط٣، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، (٥٤٢ ص)





ونحن نستعرض مادة هذا الكتاب، سنقف عند بعض أفكاره المهمة التي لها صدى على نحو ما في الذهن والوجدان. يذكر مؤلفه الدكتور الدواليبي في مقدمة طبعته الثالثة قصة تغيير عنوانه من: [المدخل إلى التاريخ العام للقانون]، وهو الذي حملته طبعتاه السابقتان عام ١٩٦١م، وعام ١٩٦٣م يوم كان يدرّسه في كلية الحقوق بجامعة دمشق، إلى هذا العنوان الجديد في طبعته الثالثة، وهو [جزيرة العرب مهد نشأة فكرة الحق والقانون].

وكان الدكتور الدواليبي في كتابه - عن تاريخ نشأة فكرة الحق والقانون وتطورها لدى الإنسان في مختلف حضاراته القديمة، متأثراً بجامعات الغرب التي يراها قدوة في تدريس تلك المادة القانونية - وذلك حين تعتبر حضارتي الغرب القديمتين: اليونانية والرومانية، المصدر لكل شيء، وحيث إن أحدهم يقول: «إذا استثنينا قوى الطبيعة العمياء، لم نجد شيئًا يتحرك في هذا العالم إلا وهو يوناني». كما أن المؤرخين يرون أن الشريعة الرومانية هي وحدها اليوم المنشأ للفكر التشريعي وتطوره في الغرب. وكان ذلك كله مما ظهر في طبعة عام ١٩٦١م. على أن مؤلف كتاب «قصة الحضارة» ول ديورانت يرد على ذلك كله، ويرى أن «قصة الحضارة تبدأ في الشرق، وكم مما لدينا من علوم وآداب وفلسفة ودين يرتد إلى مصر والشرق». وكذلك سارتون يقول في كتابه «تاريخ العلم» وهو بصدد كلامه عن العرب: «لقد سبق لهم أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألف سنة على الأقل قبل أيام اليونان، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريبًا.. وليس ثمة مايمنع هذه الشعوب من أن تعود ثالثة في المستقبل القريب أو البعيد». ولهذا جاءت فكرة تغيير عنوان الكتاب، ولاسيما حين رأى أن كثيراً من مصادر الدراسات العلمية القائمة على تحقيقات البحاثين وكبار علماء الغرب، فضلاً عن المكتشفات الحديثة، كلها تؤكد أن جزيرة العرب مهد الحضارات الإنسانية الأولى، وهي المهد الأول لتاريخ نشأة فكرة الحق والقانون. وكان هذا الأثر مما ظهر في طبعة عام ١٩٦٣م.

ويبدو أن الدكتور الدواليبي يجد «الفصول» أوسع من «الأبواب». لذلك فقد أدرج تحت كل فصل من فصول كتابه الأربعة مجموعة من الأبواب، وقد تندرج تحتها بعض المقدمات.

كان الفصل الأول يدور حول «معلومات وبحوث تمهيدية»، تشمل شيئًا من اضطراب حدود مادة هذا الكتاب في جامعاتنا العربية، وحدود هذا العلم، ومايعنينا فيه من نقاط وأبحاث ، وفوائد، ثم تحديد فكرة الحق وشروطه.

أما الفصل الثاني فقد كان يدور حول (أقدم الأمم في القانون)، واشتمل على ثلاثة أبواب هي: الشعوب العربية القديمة، والشعوب الشرقية الأخرى، والشعوب الأوربية. ويهمنا فكرة القانون لدى الشعوب العربية القديمة، لأنها هي مادة الفصل الرابع التي هي فكرة الكتاب كله، أما الفصل الثالث فكان يدور حول «فكرة الحق والقانون في أزمنة ماقبل التاريخ»، واشتمل على ثلاثة أبواب أيضاً وهي: خصائص الفطرة، وصور مراحل الحق والقانون، والنظم القانونية في المجتمع الفطري. ولأن مجمل موضوعات هذا الفصل كانت عن الإنسان البدائي الأول في التاريخ، فمن الأنسب أن يكون موضعه الفصل الثاني.

أما الفصل الرابع -كما قلنا- فكان عن فكرة الحق و القانون في مطلع الأزمنة التاريخية لدى أقدم الأمم في القانون والحضارة: من مصر إلى بابل، ومن أقصى جنوبي الجزيرة العربية إلى أقصى بلاد الشام. واشتمل هذا الفصل على سكان كل من: وادي النيل والرافدين، وهم: «السومريون، والعيلاميون، والاكاديون، والبابليون، والكلدانيون، والآشوريون» وربما نزح أغلبهم من جنوبي شبه جزيرة العرب، وبلاد الشام، وهم: «العاموريون، والكنعانيون، الفنيقيون، والآراميون، والأنباط» وكلهم موجات اندفعت من جزيرة العرب. والعرب المسلمون: ويمثلون آخر موجة عربية وأكبرها، وهي «الموجة الإسلامية» التي انتشرت في العراق وفي بلاد الشام، ثم مصر، وليبيا، وتونس ، ومراكش، وأسبانيا.. وجددت صلة الموجات السابقة بأصلهم العربي، واسمهم العربي. فالموجة الإسلامية وحدها التي ردت الجميع إلى اسم عربي واحد، ولغة واحدة من مراكش إلى بغداد. أما الموجات أو الهجرات العربية الأخرى فيمثلها: «الآدوميون، والابطوريون، والتنوخيون، والغسانيون، واللخميون». أما سكان جنوبي شبه جزيرة العرب، منهم الذين يشكلون الدول: «المعينية، والسبئيّة والقتبانية، والحضرموتية».

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن سكان وادي النيل عرفوا باسم: المصريين، وباسم: القبط. ولقد دلّت البحوث على أن المصريين والسودانيين من أصل واحد جاؤوا من بلاد العرب أي من جزيرة العرب، ومنهم الفراعنة في أسرهم الأولى.

وإذا كان بابا الفصل الثاني من هذا الكتاب -وهما الشعوب الشرقية والأوربية- لاتمتان بصلة إلى الجذور العربية من حيث المنشأ والتاريخ، فإن الدكتور الدواليبي لم يدعهما يمرّان دون ذكر لأثر الشعوب العربية القديمة على تلك الشعوب، وبخاصة الأوربية من: يونان، ورومان. فقد ذكر وهو بصدد الكلام عن الحضارة اليونانية مثلاً بأن معظم اليونان يعتقدون أن عناصر كثيرة من حضارتهم جاءتهم من مصر وفنيقيا. كما أورد نصًا جاء في الكتاب الخامس من تاريخ هيرودوت .. وهو: «والآن نذكر أن الفينيقيين الذين جاؤوا مع قدموس، وإليهم يُنسب الجفيريون، قد أدخلوا معهم إلى اليونان صناعات كثيرة متنوعة: منها صناعة الكتابة التي كانوا يجهلونها على ماأحسب قبل ذلك». ولقد وقف

الدكتور الدواليبي أيضًا مع هيرودوت ولاسيما أمام نصوص وهجرة فينيقية إلى اليونان، وعن أساطير اليونان عن معجزات قدموس، وعبادة اليونان رب الحكمة باسم قدموس، وقولهم إنه مخترع الزراعة والحدادة، وصناعة الحضارة عامة. كما أن المثّالين أخذوا طرازهم الأول عن مصر وآشور وفينيقيا. ولهذا كان أثر فينيقيا في اليونان لايزيد عليه أثر إلا أثر مصر.. لأن الفنيقيين هم الذين نقلوا لليونان ثقافة مصر وفنيقيا. وكذلك فإن اليونان أخذوا عن بابل الموازين والساعة والعملة والفلك والنظام الستيني. وأخذو أيضًا الفلسفة من آسيا الصغرى، وكانت أثينا تتنكر للفلسفة ورجالها. ولم يبتكر اليونان، شيئًا، وإنما أخذوا أسسه عن مصر وبابل وفينيقيا. وليس عجيبًا من اليونان أنهم تمثلوا عناصر الحضارة ببطء، بل إنهم لم يستطيعوا مواصلة خطها كما وجدوه. ومن هنا فإن الدكتور الدواليبي يؤكد ماذكره «ول ديورانت» عن تلك الحضارة، وقد أورد نصه في عدة مواضع من كتابه وهو: «إن اليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاءً، لأن ماورثوه منها أكثر مما ابتدعوه، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها آلاف من السنين.. فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظّمنا شأنه فإنا بذلك نعترف بما علينا من دَيْن لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوربية والأمريكية، وهو دين كان يجب أن يُؤدّى من زمن بعيد».

أما ماأورده لنا الدكتور الدواليبي عن أثر الشعوب العربية القديمة على الرومان فهو كثير وسنقف عند بعضه، ولاسيما عن قانونهم وحضارتهم.

لقد كانت أكثر قبائل إيطاليا من الهنود الأوربيين، وشبه همجية مثل الفرس والأغريق، ثم تعلمت من المدنيات المجاورة كاليونانية والايتروسكية والقرطاجية العربية، فعقود أبنيتهم وقبابها جاؤوا بها من بابل عن طريق (ليديا). وكان أثر فينيقيا في إيطاليا أكثر من اليونان فيها، وإن اليونان إنما تحضروا بواسطة الفنيقيين قبل أن ينتقلوا إلى إيطاليا.

وكان تأثير فينيقيا في إيطاليا منذ العهد الحجري، وإن كان التأثير ضعيفًا، أما ظهور الفينيقيين مع الإيجيين في المتوسط فكان منذ الألف الثانية قبل الميلاد، وكانت سيادتهم وحدهم للمتوسط، بعد الإيجيين وتعليمهم جيرانهم الأبجدية لحاجة التجارة. وصور أكبر مدينة فينيقية، أشاع ملاحوها مدنيات مصر وبابل وآشور لدى سائر الشعوب البربرية. وفي آثار صقلية كثير مما نقله الفنيقيون من صناعات الشرق.. وكل ذلك يثبت صلة الايتروسكيين بالفينيقيين، ويفسّر سرّ تقدمهم وتقدم روما تحت حكمهم.

وإن إعجاب الرومان بزراعة القرطاجيين أدى إلى ترجمة كتاب ماغون القرطاجي في الزراعة. على أن ثمة سؤالين طرحهما الدكتور الدواليبي، وهو بصدد الكلام عن غموض تاريخ الايتروسكيين وحكمهم لروما مائة عام، هما: هل كان القرطاجيون العرب هم الذين نقلوا إلى الايتروسكيين صناعات الفينيقيين؟! أم إن هناك هجرة عربية أخرى إلى إيطاليا مثل هجرة قدموس إلى اليونان؟! ويأتي الجواب بتأكيد القول بوصول هجرة عربية إلى شمال إيطاليا، وهو المفسّر الوحيد لصعود الفينيقيين عرش الامبراطورية في عهد أسرة سيفير. ويجزم علماء الآثار بوجود هجرات عربية تاريخية، وأنه قد سبقها قبل التاريخ هجرات عربية إلى البلقان وإيطاليا وغيرهما من الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، ويقول اريستو Aristote: إن الايتروسكين والقرطاجيين ألّفوا أمة واحدة، فكانت خصائصهم واحدة، وهناك فرضية تقول: إن روما ليست لاتينية، بل ايتروسكية لطابعها الايتروسكي، مما يفسر تقدم روما السريع. ولقد اشتبك الرومان طويلاً مع قرطاجة العربية، ثم فتحوا اليونان والشرق. وكان من أثر الشرق في الامبراطورية الرومانية هو أن جعلت الديانات والفلسفة والعلوم والفنون والآداب الشرقية تعمل عملها في نفوس الرومان. كما أنه في عهد أسرة سيفير أسست مدرسة بيروت الحقوقية، وأطلق الرومان عليها: الأم المرضعة للحقوق. كما غدت بيروت بفضل مدرستها مركزًا لنشر القوانين ومستودعًا لها رغم أنها ليست عاصمة. وظهر الطابع الشرقي على خصائص الحقوق الرومانية.

وهكذا ظل الدكتور الدواليبي يركز على «مثلث الحضارة القديمة» بمناطقها العربية الأربع التي مرت معنا: وادي النيل، وجنوبي جزيرة العرب، ووادي الرافدين، وبلاد الشام. ولم يكن ظهور تلك الحضارة صدفة، بل وليدًا لظروف طبيعية. وكذلك فإن منشأ هذه الشعوب في جنوبي شبه الجزيرة، ثم هجرتهم منه كان وليدًا لظروف طبيعية. زحف الجليد في العهود الجليدية نحو الجنوب، وانهزام الإنسان أمامه هو الذي كوّن تلك الظروف. فالجموديات جعلت المناطق المعتدلة اليوم مناطق متجمدة أو مهابط لطوفانات كطوفان نوح، حملت البشرية على الفرار أمامها. ذلك هو السبب الأساسي لفرار قسم كبير من البشرية إلى جنوب الجزيرة، ثم هجرتهم منه في عهد الجفاف، ومما تجدر الإشارة إليه، والوقوف عنده أيضًا، هو تصحيح الدكتور الدواليبي لمعنى «عرب وعروبة، وعربة وعربات» التي سبق أن نقلت معانيها من بعض المصادر العبرية، وفيها معنى: «الصحراء والجفاف». ولكن حين عاد لما هو في اللغة العربية فوجدها تعني: «الماء الكثير والصافي والشديد الجريان». ثم عاد من جديد إلى قراءة التوراة فوجد أن مادة: عرب، هو الماء الكثير خلافًا لما يسند إلى العبرية. ولذلك لايجوز تسمية تلك الموجات السابقة المهاجرة بالموجات السامية عوضًا عن العرب، وذلك لسببين أولاً لتغيير الاسم العربي ومايدل عليه من كثرة المياه والأمطار، وثانيًا لأن الكنعانيين، وهم من العرب وليسوا بساميين عند اليهود، فكيف الجمع؟!

وإذا كان الدكتور الدواليبي لم يستطع تحقيق ماوعد به، في طبعته الثانية بالكلام عن لغات هذه الشعوب العربية، وعقائدهم، وثقافتهم، وأثرها فيمن بعدهم، وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية، ونظمهم السياسية، فإنه يذكر من جديد بوحدة هذه الشعوب وحضاراتهم، وانهم جميعًا من جزيرة العرب. ومتقاربون في أوضاعهم الاجتماعية، ولم يعرفوا تفاوتًا في الطبقات، وتمايزًا في الحقوق كما كان في أثينا وروما والهند والصين.

ولقد ظلت مادة هذا الكتاب ذخيرة ثقافية عربية أصيلة يتداولها ويتذاكرها طلبة الحقوق منذ عشرات السنين. ولكن القارىء العربي اليوم يتطلع إلى ثقافة عربية إسلامية تثير فيه الحماسة، وتصعد فيه المثل والقيم الإنسانية التي لانجدها إلا في تلاحم العروبة والإسلام، مما ينطوي عليه فكر الدكتور الدواليبي، وبخاصة في كتاباته المعاصرة. وقد اختار بعضها صاحب كتاب: التلاحم بين العروبة والإسلام في الكتابات العربية المعاصرة، وكان لها الأثر الطيب في نفوس القراء العرب.

من عجائب الإلهام:

وفي صوم الحـ

د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي

إلهام الحيوان، أقوى برهان على قدرة الملهم الخالق العظيم ورعايته. ففي عالم الحيوان، يشهد الناظر أعمالاً مبهرة مدهشة، تأتيها هذه المخلوقات، ولا إرادة لها فيها. أعمال ليست من بنات أفكارها، وحسن تدبيرها، بل هي من وحي يأتيها من مدبر أمرها. وحي مبثوث في تضاعيف خلاياها، على هيئة شفرة سرية مدهشة. ألسنا نقرأ قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾ (النحل:٦٨). وثمة معجزة أخرى من معجزات الوحي الإلهي لمخلوقاته.. إنها معجزة الصوم. فالحيوانات البرية تصوم.. والحيوانات البحرية تصوم.. والطيور تصوم.. والحشرات تصوم.. وحتى النباتات - أيضاً - تصوم. وإنها لحقيقة مثيرة مذهلة، تقف العقول أمامها حيرى عاجزة!.

الصائمون في الشتاء

مع قدوم فصل الشتاء، تبدأ كثير من الحيوانات الصوم، ولا تزال ممسكة حتى تتبدد غيوم الشتاء. وهذا صوم موسمي يرتبط بدرجة حرارة الجو، ودرجة حرارة جسم الحيوان. فمما يستطاب ذكره، أن علماء الحيوان قد درجوا على وصف الطيور والثدييات، بذوات الدم الحار، بينما يصفون كلاً من الأسماك والبرمائيات والزواحف، بذوات الدم البارد. وهذا حق، ففي الإنسان، وفي الحيوانات ذات الأثداء، وفي الطيور أجهزة تعمل على إبقاء حرارة دمها ثابتة أو تكاد تثبت، غير مبالية بدرجة حرارة الجو، فهي إذن حيوانات "ثابتة درجة الحرارة" (Homoiothermal). وهذا بخلاف ما نعرفه عن الأسماك والبرمائيات والزواحف، التي تعد "متغيرة درجة الحرارة" (Poikilothermal)، حيث تتوقف درجة حرارة أجسامها على درجة حرارة الجو الذي تعيش فيه. فإذا بردت هذه، بردت دماء تلك، وإن احترت هذه، احترت دماء تلك. وقد يبرد الدم في الشتاء، وتبرد أجسام الحيوانات، فيصبح لا منجى لها إلا السكون والمبيت والاكتنان. إنه البيات الشتوي (Hibernation)، بل هو الصوم الشتوي الذي تقتضيه الضرورة.

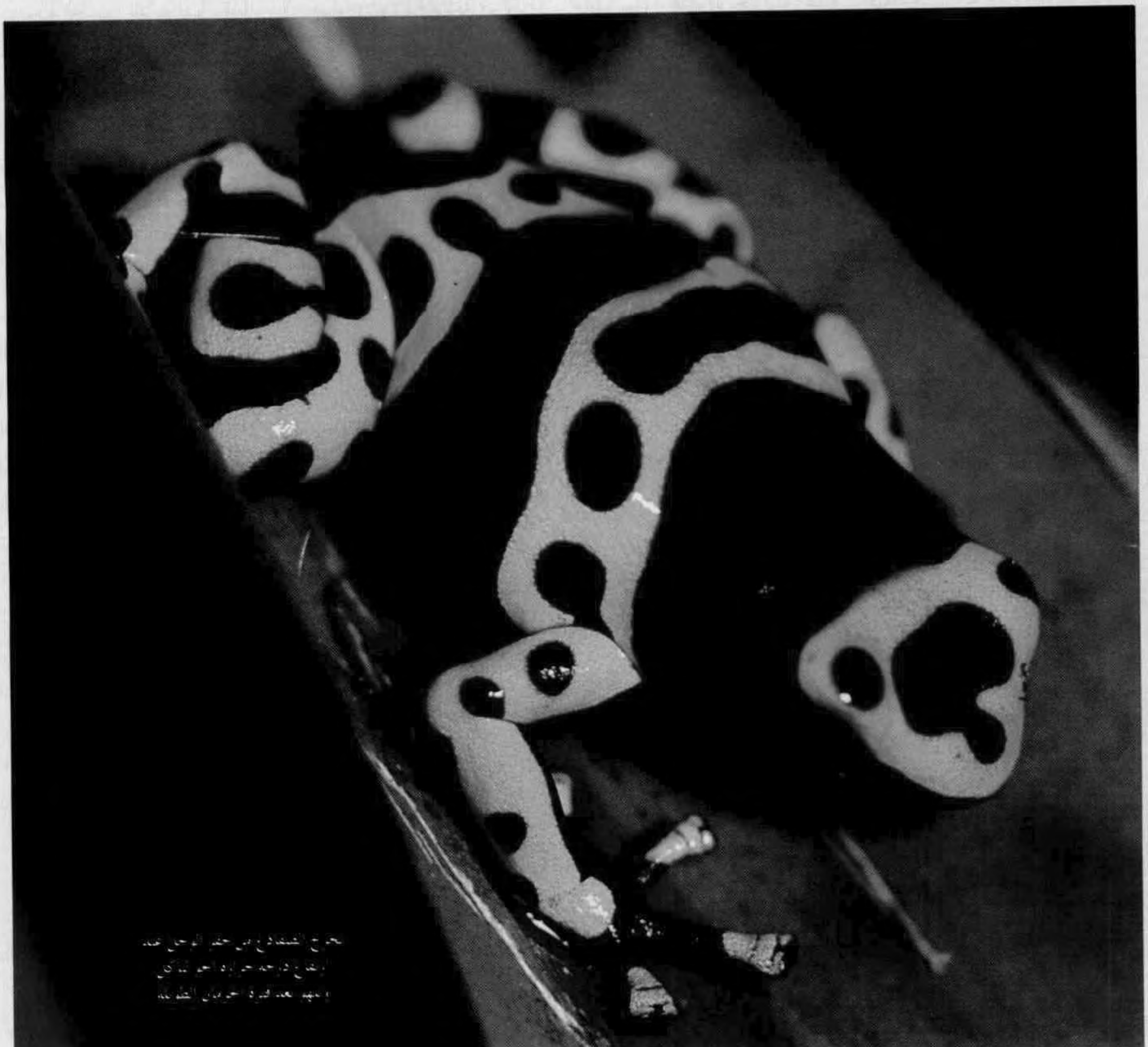
حينما تصوم الضفادع

إنك في الشتاء لاتسمع للضفادع صوتًا، إذ يضطرها برد الشتاء القارس أن تخلد إلى البيات هربًا من الموت. وهي لذلك تحفر عميقًا في الوحل وفيه ترقد. وهي إذ تسكن في مرقدها تصوم عن الطعام، أما الطاقة التي تحتاجها لإجراء حياتها على هذا المستوى الخفيض فتستمدها مما كان اختزن في أجسامها - من قبل - وهو من دهن. فإذا ارتفعت درجة حرارة الجو خرجت الضفادع من حفائر الوحل لتأكل وتلهو بعد سكون وحرمان.

صوم الثعابين

إن الثعابين - وهي من الزواحف - لا تحتمل أجسامها برودة الشتاء الشديدة، فتختبئ منها تحت الصخور أو تلتجئ إلى تجويفات ومراقد في بطن الأرض، تقضي فيها الحياة نائمة (Hiberate) لا تتحرك ولا تأكل ولا تقوم بأي نشاط على الإطلاق. فإذا ذهب الشتاء، خرجت من مكامنها أوفر نشاطًا وحيوية.

يوان دليل وبرهان!



تخرج الضفادع من جحر الوحل عند
ارتفاع درجة حرارة الجو ثانية
وتبهر بقدرة الخالق العظيمة

وحتى الحشرات تصوم

وتصوم الحشرات عند مبيتها في للشتاء. وبياتها الشتوي ماهو إلا دور سكون في أحد أطوارها. وهي إذ تستعد للدخول في هذا الطور، تفقد جزءًا من مائها. وتساعد هذه الخاصية على مقاومة فعل درجات الحرارة الواطئة جدًا، فلا يحدث التجمد في خلايا أنسجة الجسم. ولابد لها - قبل المبيت - أن تختزن دهنًا في أجسامها، ليعينها على مشقة الصوم الطويل. وهي عادة ما تبيت في مكان مختبئ، وتظل ساكنة هادئة، حتى ترتفع درجة الحرارة.

صيام الدب القطبي

لعل من أعجب حالات الصوم الشتوي، مانعرفه عن الدب القطبي الأبيض - وهو من الثدييات - فقد دأبت الأنثى على المبيت الشتوي شهوراً، تدفن فيها نفسها تحت طبقة جليدية سميكة، تاركة منفذًا دقيقًا يتسرب منه الهواء إليها. وبفضل تسخير الله للحرارة المنبعثة من جسمها، ولحرارة أنفاسها، يظل هذا المنفذ مفتوحًا لايسده الجليد طوال شهور الصوم. وفي العادة، تلد الأنثى خلال فترة صومها، فتضع دبين صغيرين تغذيهما بما في ثديها من لبن دافق. والمثير حقًا، أنها لا تنقطع عن إرضاع ولديها من حليبها، على الرغم من صومها الدائم. وهذه عجيبة حيرت العلماء، فذهبوا في تعليلها مذاهب شتى. على أن من أرجح ما يميلون إليه، أن هذه الوالدة الصائمة، تختزن - في أثناء الصيف - كميات وفيرة من الغذاء، يتحول بعضه إلى طبقة سميكة من الدهن، تحت جلدها، تقيها البرد أثناء رقادها تحت الجليد، ويتحول جزء منه إلى غذاء صالح لها، ويتحول جزء آخر منه إلى حليب يعول ولديها. ولا تزال في صومعتها الجليدية صائمة، حتى تنقضي شهور البرد، فتفطر على ما رزقها الله من طعام، وفي هذا تصديق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لو تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانا».

حكمة الصوم الشتوي

حقًا إنه لأمر شديد الإثارة، أن يكون لدى الحيوانات السابتة شتاءًا، ذلك النوع الفريد من الشحم الداكن اللون، عالي القيمة السعرية، المعروف بالدهن البني. فهو فريد ولاشك عن نظيره «الدهن الأبيض» الأقل قيمة، ويستطيع الحيوان أن يستمد منه طاقته اللازمة لإجراء حياته طوال فترة صومه، دون أن ينفد سريعًا، ويخذله. ويفيد انعدام حركة الحيوان، وانخفاض معدل نبضه وتنفسه، وهبوط حرارته عدة درجات - على غير العادة فيما يحدث في النوم - وانخفاض مستوى التمثيل الغذائي، في التقليل من احتياجاته من الغذاء والأكسجين. وهكذا تمضي الحياة خفية - إن جاز هذا التعبير - مدخرة قوتها، ولكنها لا تتوقف تمامًا للحظة واحدة، ثم تخرج الحيوانات من سباتها فاقدة كل الجراثيم التي كانت موجودة في أمعائها الغليظة.. وتخرج أنحف وأرشق، ولعلها تكون بزهو الربيع أليق وأوفق.

الصائمون في الصيف

ليس الصقيع والجليد وحدهما سبب البيات والاكتنان، فالحرارة الشديدة والجفاف - في المناطق المدارية بتقدير الله - يفعلان بحيوانات أمريكا الشمالية وأوروبا وسائر البلاد الشمالية البعيدة، ما فعله البرد القارس، فالضفادع والقواقع والتماسيح والأفاعي والسلامندر وبعض الأسماك - في البلاد المدارية - تلجأ عادة إلى البيات الصيفي، اتقاء لحرارة الجو. وهي - في العادة - تتخذ لها ملاجئ في الأماكن الرطبة المنزوية، وتبقى فيها حتى تتحسن الأجواء، وتعود الأمطار الغزيرة مرة أخرى. على أن من أعجب الحيوانات الصائمة في الصيف، نوع الأسماك المسمى "بالأسماك



تلد أنثى الدب القطبي الأبيض خلال فترة صومها وهي لاتنقطع عن إرضاع وليدها على الرغم من صومها الدائم





من عجائب الإلهام:
وفي صوم الحيوان دليل وبرهان!

الرئوية". وهي أسماك تعيش في أنهار وسط افريقيا ومستنقعاتها، وفي منطقة نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية. فما يكاد يحل موسم الجفاف، وتبدأ البرك والمستنقعات تجف، حتى تغرس الأسماك الرئوية نفسها عميقًا، في وحل القاع، على عمق يصل إلى نصف متر، وتعمل لنفسها كهفًا رطبًا تلجأ إليه، وتبقي فتحة صغيرة علوية لدخول الهواء، ويفرز جلدها طبقة تتماسك حول الجسم كله كغشاء من السلوفان، يمنع تسرب سوائل الجسم طوال فترة الجفاف. وتظل طوال فترة كمونها صائمة، كما ينخفض معدل تنفسها، وتحصل على طاقتها اللازمة من دهون جسمها. ولكن الطريف، أن بعض الدراسات سجلت إمكان استمرار السمكة الرئوية على صومها، طوال فترة جفاف استمرت حتى أربع سنوات متواصلة، استردت بعدها نشاطها كاملاً مع عودة الأمطار.

البزاق وصوم الصيف

يصوم حيوان البزاق صيفًا، ولكنه - قبل صومه - يختزن في جسمه طبقة دهنية تشبه ما يختزنه الدب القطبي الأبيض، غير أن صيام البزاق، لاتمييز فيه بين ذكر وأنثى. ويظل الحيوان معتمداً على الله ثمّ على ما اختزن، حتى يأتي الخريف فينهض من صومه نحيفًا رشيقًا، مقبلاً على الحياة.

وحشرات تصوم في الصيف

تصوم بعض الحشرات، أثناء بياتها الصيفي (Aestivation). فحينما ترتفع درجة حرارة الجو أكثر مما تطيقه، تبدأ الحشرات في السكون، لتقاوم فعل الحرارة العالية، وتختار لبياتها أماكن خاصة، فتلجأ إلى شقوق الأرض أو تحت الأحجار أو الأخشاب أو الأوراق الجافة أو النباتات الميتة أو الحية، وتظل هكذا صائمة ساكنة، حتى يعتدل الجو، فتخرج إلى سابق نشاطها.

صيام الجمل ضرورة بقاء

إن الجمل كما نعلم، يستطيع أن يعبر الفيافي والقفار، في الحر اللافح وتحت وهج الشمس المحرقة أيامًا وليالي طويلة، بدون ماء أو طعام. وهي ظاهرة مدهشة تستطيع بسهولة أن تعرف سرها إذا نظرت إلى سنام الجمل. هذا الذي يرقد على ظهره، وهو من شحم وعضل. فالجمل يزداد سنامه لحمًا وشحمًا بالغذاء، عندما يكثر ويطيب، حتى إذا خرج إلى سفر، وعزه الغذاء وكاد ينذره الجوع بالفناء وجد فيما حمل من شحم، غذاء يطول به العيش أيامًا وليالي طويلة.

صيام السلاحف

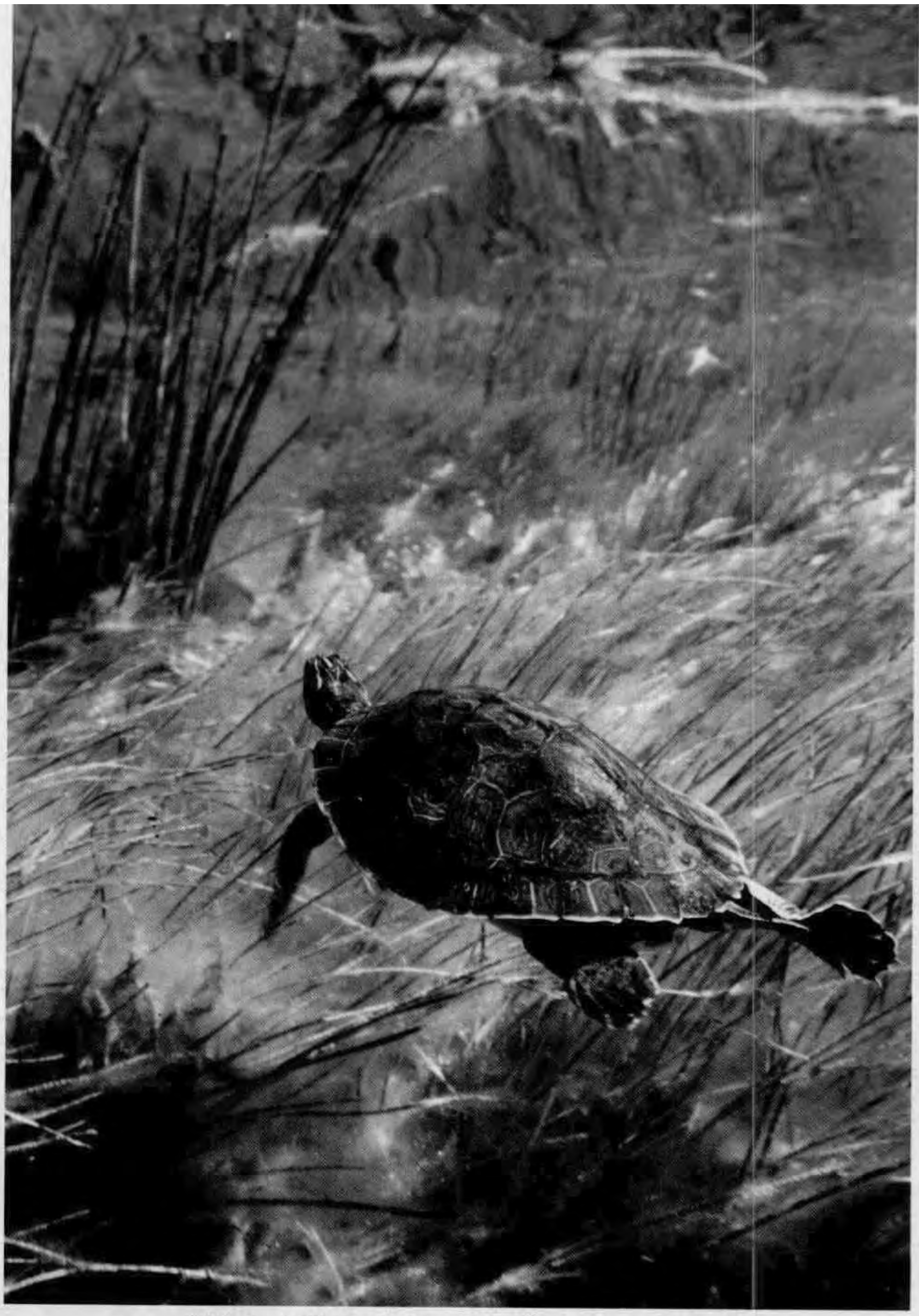
رتبة السلاحف (Order Chelonia) تتبع فصيلة الزواحف. وهي تضم - وفقًا لدائرة المعارف البريطانية - مابين ٢٠٠ - ٢٥٠ نوعًا، يعيش بعضها على اليابسة (Tortoises)، وبعضها الآخر في الماء العذب (Terrapins)، وأنواع تعيش في الماء المالح وتسمى (Turtles). وهذه الأنواع جميعها تصوم عن الطعام شهوراً في العام. وقد وجد الباحثون - في أنواع منها - مخازن للماء في مثانتيها الخلفيتين، ترتوي منها زمنًا طويلاً، حينما تكون واقعة تحت ظروف العطش الشديد أو الجفاف. وفي العادة، تختفي السلحفاة البرية - خلال فترة صومها التي قد تصل إلى عشرة شهور - بأن تدفن نفسها تحت تربة وأعشاب مبللة أو في وحل البرك والمستنقعات. أما الأنواع المائية فتظل تحت الماء لاتخرج منه إلى الشاطئ طوال فترة صومها.

ثعابين السمك والصوم الأول

يعتبر ثعبان السمك (Anguilla Vulgaris) من الأمثلة العجيبة على الصوم. وهو يصوم فترتين طويلتين من حياته. إنه يبدأ الحياة في ماء البحر، حينما تنفقس البويضات عن كائنات يرقية صغيرة، ذات شكل شريطي منبسط، تتغذى بما يصادفها في الماء. وتمر شهور عدة على هذا المخلوق الدقيق يتغذى فيها وينمو، ثم يبدأ في التحول، فينكمش جانباه ويستدير جسمه تدريجيًا، حتى يتخذ الشكل الأنبوبي المعروف. وهنا تواجهنا أول أعجوبة في حياة هذا الكائن، إذ يظل صائمًا لايقرب طعامًا طوال فترة التحول التي تمتد ثمانية أشهر أو تسعة. وبعد انقضاء هذه الفترة، يكون قد اكتمل للثعبان نمو يواجه به الحياة البحرية وأعباءها، فتنمو له أسنان قوية كثيرة على فكيه العلوي



دأبت أنثى الدب القطبي الأبيض على المبيت الشتوي شهوراً تدفن فيها نفسها تحت طبقة سميكة من الجليد تاركة منفذاً للتنفس



تصوم السلحفاة عن الطعام شهوراً في العام حيث تخزن كمية من المياه في مثانتيها الخلفيتين

والسفلي، بدلاً من أسنانه الصغيرة التي سقطت. وإذ تنقضي مرحلة التحول تلك، يصبح عمره ثلاثة أعوام، فيلقى في روعه أن حياته في البحر قد ولت، ولابد له من ماء عذب يعيش فيه. وتدله حاسة عجيبة غامضة أودعها الله فيه، على مواقع الماء العذب، وتقوده إلى مصبات الأنهار فيهجر البحر متجهاً إلى مهجره. وفي الماء الحلو، يأكل بشراهة حتى يتضاعف وزنه، فيصل إلى عشرة أرطال، ولايزال ينمو حتى يبلغ طور نضجه الجنسي عند عمر يناهز الثامنة أو العاشرة، فيبدأ - عندئذ - هجرته العكسية صوب البحر، بعد أن يتهيأ لتحمل ضغوطه الشديدة، فتتولد تحت جلده فقاعات غازية تساعده على التكيف، كما يغير لون جلده الأخضر إلى لون فضي يخفيه عن الأعداء وسط مياه البحر الزرقاء.

صيام الوداع

ثمة حقيقة مدهشة عرفها علماء الحياة البحرية، عن ثعبان السمك، فهو - بمجرد خروجه من النهر قاصداً البحر المحيط، يصوم عن الطعام. وفي كل عام، يرصد الباحثون زحف الأسماك الصائمة، القادمة من نهر النيل، ومن الأنهار الأوربية التي تصب في البحر المتوسط، وهي تجتاز البحر عبر مضيق جبل طارق، إلى أن تصل إلى المحيط الأطلسي، قاصدة بقعة بعينها، تبعد ٣٠٠٠ ميل من أوروبا قرب جزائر «بوهاما» القريبة من شواطئ الولايات المتحدة. ففي هذه البقعة، تلتقي ملايين الثعابين القادمة من أنهار أوربا الغربية، وجيوش الثعابين الأمريكية التي خرجت من أنهار القارة الأمريكية. مشهد عظيم، يتكرر كل عام، في أوائل الربيع، في منطقة بحر "سارجاسو" (Sargasso Sea)، إذ تقصد جموع الأسماك الصائمة بقعة في



عند جفاف البرك والمستنقعات تغرس الأسماك الرئو... نفسها في وحل القاع على عمق يصل إلى نصف م... على شكل كهف رطب ذي فتحة صغيرة علوية للتنفس

من عجائب الإلهام:
وفي صوم الحيوان دليل وبرهان!



المياه تقرب نسبة الملح فيها من ٣٥٪ وتبعد من سطح الماء نحو ٤٠٠ ـ ٧٠٠ مترًا، حتى تضع فيها بيضها.

فالمثير حقًا، أن البيض لا ينضج إلا مع توافر هذين الشرطين.. فكيف تسنى لها معرفة هذه الحقيقة؟ إنه الوحي والإلهام الإلهي لمخلوقاته. أجل، ففي "بقعة الأنسال" المختارة، تضع الإناث بيضها، ثم تصب الذكور حيواناتها المنوية فوقه، ويجري إخصابه خارجيًا في ماء المحيط. ويستمر وضع البيض وإخصابه، طوال الفترة من بداية الربيع، وحتى بداية الصيف. وبعدئذ يفقس البيض، وتخرج منه صغار يرقية شفافة بأعداد هائلة، تعيد دورة حياة الآباء والأجداد. أما آباؤها من الثعابين المهاجرة الصائمة، فتظل مقيمة على صومها، حتى يعتورها الوهن، وتلين عظامها، ثم يدركها الموت صائمة. والحق أن علماء الأحياء (البيولوجيين) قد أبدوا دهشتهم من صوم الوداع هذا، وحسبوه مرتبطًا بماء البحر المالح، ولكن دهشتهم زادت حينما عرفوا أن ثعبان السمك لابد أن يلقى الموت صائمًا، حتى ولو منع من الرحيل إلى الماء المالح، كأن يؤسر في حوض مائي مثلاً، أو كأن يتخذ مسكنه في بئر عميق. أجل، سوف يسلك السبيل نفسه، فيصوم عن الأكل، وتلين عظامه، ثم يموت. وكأن الوحي المبثوث في خلاياه هو الذي يلجئه إلى الصوم، فيتقبله كأمر فطري، لا جدال فيه وصدق الله ﴿وما من دابّة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾(الأنعام : ٣٨).

قصة صيام السالمون

هل تعرف قصة صيام أسماك السالمون (Salmon) أثناء رحلاتها بين البحار والأنهار؟

إنها قصة طريفة تستوجب التأمل والنظر. فهذه الأسماك تقضي في البحر الأجاج ليالي طويلة آكلة لاهية لاعبة، حتى تنضج جنسيًا، عند عمر ٤ ـ ٧ سنوات. وإذ ذاك تحن إلى موطن آبائها.. إلى الأنهار وجداول المياه العذبة، لتضع فيها بيضها، في الموقع نفسه الذي وضع فيه آباؤها البيض، منذ سنوات خلت.

هذه إذن أسماك السالمون القادمة من شواطئ قارة أوربا، تتجه إلى منطقة في شمال المحيط الأطلسي، عبر سياحة شاقة لمسافات تصل إلى ٤ ـ ٥ آلاف كيلو متر، لتجتمع مع أسماك السالمون القادمة من بحار شرق أمريكا وشرق كندا، ثم لتكمل هذه الجماعات رحلتها الطويلة، من شمال الأطلسي، إلى حيث تصب الأنهار الكثيرة مياهها في البحر، ثم تتفرق بحيث تتجه كل مجموعة إلى الموطن نفسه من المياه العذبة، الذي نشأت وترعرعت فيه. رحلة شاقة مهلكة، قد تمتد أسابيع وأشهرًا يتربص بها خلالها جموع الصيادين، من البشر، ومن الطيور، لكنها لا تتقهقر بل تمضي في طريقها قدمًا، دون توقف، مصارعة المياه المتدفقة والتيارات الجارفة السريعة بقفزات كبيرة، ومتخطية مساقط المياه والسدود والتوربينات، وكل العوائق الطبيعية والصناعية على طول مجرى النهر. على أن الأغرب ـ وهذا بيت القصيد ـ أنها تقطع رحلتها صائمة. وهي تصوم بمجرد أن تترك مياه البحر المالح، وتنتقل إلى النهر حلو الماء. وتواصل صومها حتى تصل إلى مكان يلائم وضع بويضاتها، فتدفنها في حفر خاصة تتشارك الذكور والإناث في تشييدها، بين رمال وحصى قاع النهر. وبعد أن يلقح الذكر البويضات، في عملية إخصاب خارجي، تغطيها الأنثى وتطمرها تمامًا.



تموت أسماك السلمون صائمة في المكان نفسه الذي ولدت فيه، بعد أن تكون قد خلفت وراءها نسلاً



[illegible] الصوم يحول الدودة البدينة [illegible] إلى كائن رقيق جميل [illegible] متعددة



اليـرقــة إحــدى أطوار الفراشة، التي تأتي بعدها فترة صيام تتوقف خلالها عن الأكل تماما مـهـمـا كـانت نضـارة الأوراق النباتية وإغراؤها

وبانتهاء مهمتها، تموت الأسماك صائمة، في المكان نفسه الذي ولدت فيه، ولكن بعد أن تكون قد خلّفت وراءها نسلاً.

فبعد شهور قليلة، تفقس البويضات المخصبة عن صغار دقيقة، تتعرض لسلسلة من التحولات على مدى عامين، تقضيهما في مياه النهر، تنطلق بعدها إلى المحيط، وتتفرق في مياهه لتنمو وتكبر وتنضج، ثم تهاجر ثانية إلى النهر حيث ولدت. وهكذا تمضي قصة السالمون، مابين فقس، وهجرة، وصوم، في دورات منتظمة لا تتأخر ولا تتقدم.

صوم العذارى وعرس الفراشات

تمر الحشرة في حياتها بأطوار تختلف عن بعضها أشد الاختلاف، حتى ظن الناس عبر عصور طويلة، أن كلا منها كائن مستقل بذاته. وهي تنتقل من طور إلى طور في سهولة ويسر، برغم التباين الشديد بينها. إن طور البيضة ينتهي بخروج دودة تعرف باليرقة (Larva). والدودة نهمة للطعام، تأكل بشراهة أوراق النباتات الخضراء، حتى إنها تنشق عن هيكلها الخارجي عدة مرات وهي تنمو فيضيق عنها. ولكن فجأة، يحين وقت الصوم، فتتوقف تمامًا عن الأكل، مهما كانت نضارة الأوراق النباتية وإغراؤها، ثم لا تلبث أن تدخل دورة الخادرة أو العذراء (Pupa). وهو دور الصوم عن الطعام، والسكون الظاهري، ولكنه - أيضًا - دور التحولات الحيوية العظيمة، التي يكون من نتيجتها تكوين أعضاء جديدة. وما أن ينقضي موسم الصوم، حتى ينشق جلد الخادرة عن طور آخر جديد، أكثر جمالاً ورشاقة وبهجة، هو طور الفراشة. وكأنما الصوم يحيل بسحره الدودة البدينة الرخوة قبيحة المنظر، إلى كائن أرقّ وأجمل.

الطرسوح وصيام حضانة البيض

أغلب الطيور تصوم عن الطعام والشراب، حينما تقوم بحضانة البيض. فهذا طائر "الطرسوح"، الذي يعيش في البحار الباردة، وفي القطب المتجمد الشمالي، عرف العلماء أن أنواعه السبعة عشر، تصوم أيامًا وليالي طويلة. ويقضي هذا الطائر أكثر من ثلثي وقته في مياه البحار بحثًا عن الغذاء، ولا يقطن اليابسة إلا ليتغير ريشه، وللتزاوج وحضانة البيض. ويتناوب كل من الذكر والأنثى على حضانة البيض، طوال فترة تمتد نحو خمسة أسابيع. فالأنثى تحضنه الخمسة عشر يومًا الأولى، تظل خلالها صائمة. بعدها تعود إلى البحر لتصيب من خيراته وتفطر، ويأتي الذكر فيتم عنايته بالبيض إلى حين التفقيس. وهي فترة تستغرق نحو ثلاثة أسابيع، لايذوق خلالها أي طعام، حتى يفقد نصف وزنه. والفرحة لا تسعه حينما يأتي دوره لتناول غذائه المؤلف من الحيوانات البحرية كالقريدس والقشريات ونحوها.

البنجوين (البطريق) صائماً

في حياة طائر البنجوين



من عجائب الإلهام:
وفي صوم الحيوان دليل وبرهان!

(Penguin) ثلاث فـتـرات للصوم. فهو يصوم قبل أن يهجر اليابسة إلى حياة البحر، ويصوم عند خروجه من الماء إلى البر لحضانة البيض، وأخيراً يصوم حينما يودعه الأبناء، تاركين حياة اليابسة إلى حياة البحر.

وعند أهل الاختصاص، أن البنجوين (البطريق) من أشهر طيور المناطق الباردة الجنوبية. فهو في جنوبي أمريكا، وعند رأس الرجاء الصالح، وفي نيوزيلندة، وأستراليا، وفي كثير من جزر المحيط المتجمد الجنوبي. ومعروف عنه عشقه لحياة البحر بين الثلوج والأمواج المتلاطمة، حيث يقضي فيه جل حياته، غير أنه يضطر اضطراراً للخروج إلى اليابسة في موسم وضع البيض وتربية الصغار. وإذن لابد أن يصوم عن الطعام عدة أسابيع، حتى ينفقس البيض وتخرج الأفراخ، وعندئذ ينطلق الزوجان إلى البحر يفطران، ويحملان من أسماكه ورخوياته ما يطعم الصغار. وتمضي الأيام سراعاً، والصغار تنمو وتكبر، حتى إذا بلغت كمال النمو صامت عن الطعام، فلا تقربه حتى يسقط عنها كل الزغب، ويكتسي جسمها ريشاً، فتثب إلى خضمات البحر تأكل من طيباته ما شاءت. ولاتزال بين ثلوج البحر وأمواجه المتلاطمة نحو عامين، ثم تجتاحها رغبة جامحة في وضع البيض ورعاية الصغار، فتخرج إلى اليابسة بنية الصوم، إلى أن ينقضي زمن حضانة البيض، وتظهر أفراخها، فتقوم على رعايتها حتى يكتمل نموها وتهجرها إلى البحر، وهنا تنقطع عن الطعام زمناً يسقط فيه ريشها القديم، وتكتسي بحلة جديدة منه، فتعود إلى البحر بهمة وحبور.

هل تصوم أفيال البحر؟

الفقمات (أفيال البحر) تعد بحق أكبر مجموعة من الثدييات البحرية الضخمة آكلة اللحوم، التي لاتزال تحتفظ بوجودها في العالم حتى الآن. وهي تعيش الشتاء كله في البحر، حتى إذا ولى شهر أغسطس/آب، خرجت إلى الشاطئ تعسكر عليه شهوراً، قبل أن ترجع إلى المياه ثانية. وفي العادة، تضع الإناث صغارهن عقب خروجهن من البحر بأيام قليلة، وإذ ذاك يفرض كل ذكر سطوته على جماعة من الإناث، قد تصل أحياناً إلى ثلاثين أنثى. والمدهش أن كل ذكر يظل صائماً ساهراً على زوجاته، طوال فترة التكاثر، التي تمتد لأسابيع. فهو صوم لأجل التكاثر. أما الفقمات الوالدات فيظللن شهوراً في إرضاع الصغار حتى تتضاعف أوزانهم. فصغير الفقمة، وإن كان يولد نحيفاً هزيلاً، إلا إنه سريع النمو، فبعد شهور قليلة تترسب تحت جلده طبقة سميكة من الدهن، حتى إنه يضطر إلى تغيير غطائه الصوفي الأسود الذي يكون قد ضاق عليه. وقد عرف علماء الأحياء (البيولوجيون)، أن الصغير يبدأ في منتصف عملية تجديد هذا الغطاء، في الانفصال عن أمه، ولكنه لايقرب الماء، ولايأكل شيئاً، بل يظل مستلقياً على الشاطئ، حتى يحل شهر يناير، فينزل إلى البحر الذي يتحتم أن يقضي في خضماته فصل الشتاء كله. والعجيب في هذا (السيناريو) أن الصغار يقضون الأسابيع الستة التي تمتد من لحظة انفصالهم عن الأمهات، حتى دخولهم البحر صائمين، فلا يذوقون طعاماً، بل يعتمدون على ما اختزن تحت جلودهم - خلال فترة الرضاعة - من طبقات دهنية.

صحة الحيوان ومعجزة الصوم

من قديم الزمن، قال أبو قراط - أبو الطب - "أن تأكل وأنت مريض، فأنت غالباً تغذي



خلية النحل آية من آيات الإلهام الإلهي



من عجائب الإلهام:
وفي صوم الحيوان دليل وبرهان!

مرضك". وهو يعني أن الامتناع عن الطعام - في بعض الأمراض - يساعد كثيرًا على الشفاء، وأن الأكل يؤخره. هكذا عرف الناس بالفطرة قيمة الجوع والحرمان، كدواء لبعض الأسقام. ولكن المثير أن الحيوانات قد عرفت هذه الحقيقة أيضًا، إذ تمتنع عن الأكل، كلما مرضت. هكذا دون أن تستشير طبيبًا أو تستمع إلى نصيحة، بل تأتيها النصيحة وحيًا أو إلهامًا من خالقها، الذي تكفل بها ويسر لها سبل حياتها في الصحة والمرض. فالحصان إذا أصابه المرض، امتنع تلقائيًا عن الطعام، فلا يقربه. والكلاب إذا ما أصيبت بكسر في عظامها، صامت أيامًا وليالي طويلة. والأيل إذا ما أحس وهج سم الحيات في جسمه، صام عن الماء خمسة أيام، لئلا يساعد على تنشيط الكريات الدموية في جسمه، فيلقى حتفه. فكيف إذن عرفت العجماوات سر الصوم ومعجزاته؟

إن الباحثين يرون أنه لولا صيام المخلوقات لما حافظت على كيانها وقوتها واستمرار تقدم سلالاتها ومقاومة الظروف الطارئة المعادية التي تتعرض لها في حياتها. وهم يرون أن صوم المخلوقات هو أحد أسرار حياتها، إذ لابد لها أن تصوم لفترات معينة منتظمة، مهما توافر من حولها الطعام والشراب.

وإني أسألك أن تنظر إلى هذه المخلوقات قبل صومها، ثم انظر إليها بعد الصوم، إذن فستجدها أكثر بهاء وحيوية ونشاطًا، وأشد إقبالاً على الحياة. فالنباتات تخرج أوراقها الجديدة، وتبدأ حياة الربيع قوية مزدهرة تفيض بالحيوية والجمال بعد صوم طويل في رقدة الشتاء الهادئة. والحيوانات تجدد جلودها وفراءها، والطيور تكتسي ريشًا جديدًا زاهيًا، وتبدأ بالتزاوج والتغريد، والحشرات تخرج لتأكل بنهم وتتكاثر من أجل الجديد القادم. تلكم هي بعض أسرار الصوم ومعجزاته. الصوم الذي هو فطرة وإلهام من الله، وضرورة حياة، لكل المخلوقات فسبحان من ﴿أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى﴾ (طه : ٥٠).

المراجع:

١- الطوبى، م. (١٩٦٥م): ألوان من أحياء البحر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
٢- الطوبى، م. (١٩٨٩م): فمنهم من يمشي على بطنه، دار المعارف، القاهرة.
٣- الفنجري، أ. (١٩٨٥م): الطب الوقائي في الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٤- بركات، ص. (١٩٨٢م): الحياة تحت الصفر، العربي، ٢٨٢، الكويت.
٥- بيومي، أ. (١٩٧٦م): هجرة الأسماك، العلم، ٩، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة.
٦- زكي، أ. (١٩٨٧م): مع الله في الأرض، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٧- سيرجيف، ب. (١٩٩٠م): وظائف الأعضاء، (مترجم)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة.
٨- عزب، أ. (بدون تاريخ): علم الحشرات، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
٩- فياض، م. (١٩٤٦م): غرائز الحيوانات، دار المعارف، القاهرة.
١٠- موتروفوكس، هـ. (بدون تاريخ): شخصية الحيوان، (مترجم)، مطبعة نهضة مصر، القاهرة.
١١- يني، م. (١٩٦٥م): رحلات الحيوان والطيور، دار القلم، القاهرة.
١٢- يني، م. (١٩٨٠م) مجلة العلم، العدد ٤٩، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة.
١٣- Encyclopedia Britannica, Vol.7. N.Y., 1984.



يظل ذكر أفيال البحر صائما طوال فترة التكاثر الذي يتم على الشاطئ

الحرب القادمة مع اليابان

١

من الأمور المسلم بها عند دارسي الجغرافيا السياسية أن عوامل الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية تؤدي دورا لايمكن إنكاره أو التغاضي عنه في العلاقات بين الدول المختلفة، وهذا الأمر يتضح بشكل كبير جدا في وضع دولتين كبيرتين تؤديان دوراً خطيراً في عالم اليوم، ونقصد بهما الولايات المتحدة الأمريكية، القوة السياسية العظمى التي تكاد تنفرد بين دول العالم باحتكار القيادة السياسية في العالم وتوجيه السياسة فيه وفق مصالحها ، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وتفكك أوصاله، بل والشك حتى في قدرته على الاحتفاظ بأراضي جمهورياته متماسكة، وأحداث جمهورية الشيشان الجارية خير دليل على ذلك.

وترجع قوة الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضخامة مواردها الاقتصادية الهائلة، التي تتمثل في مساحات من الأراضي البكر الشاسعة، من سهول وهضاب وجبال، وما تحتوي عليه هذه الأراضي من جميع أنواع الخيرات الاقتصادية زراعية ومائية وسمكية ومعدنية، وأكثر من ذلك [illegible] قوى [illegible] الاقتصادية [illegible] الصناعة والزراعة [illegible] التقنية (التكنو[illegible] المتطورة.

[illegible] في اليابان..العملاق الاقتصادي الهائل الذي تصل منتجاته [illegible] ة، بل التي [illegible]

[illegible] قيمة [illegible]

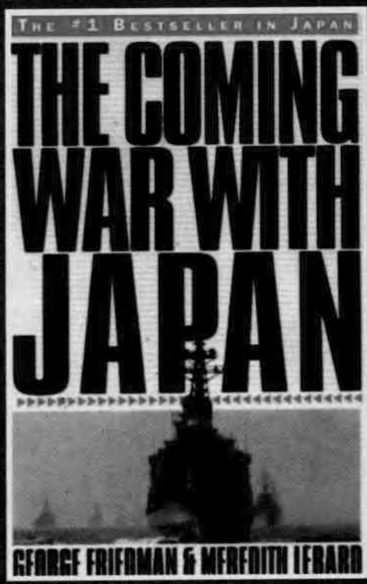
[illegible] تلك المؤسسات [illegible]

[illegible] تراله لقضاء [illegible]

..!!

[illegible] رغم أن اليابان لاتضاهي أمريكا في [illegible] المساحة، ولا في الإمكانات (تمثا[illegible]

[illegible] وراء [illegible]



تأليف :
جورج فريدمان
ميديديث ليبارد
عرض وتحليل :
د. محمد عبدالعليم مرسي



إعـــلانات عن منتجات يابانية فـــي قـــلـــب نيــــــويورك

الاقتصادي اللافت للأنظار لدرجة أن ميزان المدفوعات في التجارة بين البلدين يميل لصالح اليابان منذ بضع سنوات، وباستمرار، حتى وصل العجز في ذلك الميزان العام الماضي (١٩٩٤م) حوالي ٦٠ بليونا من الدولارات لصالح اليابان..!!

وبطبيعة الحال فإن صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية لاينظرون إلى هذا الموضوع بعين الارتياح، فهناك محاولات جادة ومحمومة لتحجيم دور اليابان في الاقتصاد العالمي، وفي الوقوف أمام سيل البضائع اليابانية التي تزدحم بها طرقات الملاحة العالمية، في بحار الدنيا ومحيطاتها، ولكن حتى هذه اللحظة لم تستطع أمريكا أن تقف أمام ذلك السيل المنهمر من البضائع المختلفة القادمة لبلاد العم [illegible] من موانئ اليابان، التي لا [illegible] الحركة التجارية فيها هوادة [illegible] توقفا، على الرغم من فرض أمريكا ضرائب عالية على تلك البضائع عند دخولها أمريكا.

ولم يقتصر الأمر على الولايات المتحدة في هذا المجال، بل إن دول [illegible] الأوربية المشتركة كلها [illegible]، حاولت دون فائدة أن توقف تقدم اليابان الاقتصادي والتجاري، بل إنها كلها رجت اليابان أن تخفف من صادراتها، ولكن عالم التجارة والمال لايعرف إلا لغة المصالح، والمصالح فقط.

وباعتبار أن السياسة والاقتصاد لاينفصلان عن بعضهما، فإن اليابان بعد أن وصلت إلى مرحلة التفوق الاقتصادي، بل السيطرة الاقتصادية على كثير من أسواق العالم، خاصة في مجالات صناعة الكمبيوتر والألكترونيات، بدأت تتطلع إلى دور أكبر في مجالات العلاقات السياسية، وبدا وكأنها تنبذ القيود السياسية التي فرضت عليها في أعقاب الهزيمة المدمرة في نهاية الحرب العالمية الثانية، حتى إنها بدأت تجمع من أنواع السلاح المختلفة ماكان محرما عليها جمعه من قبل، بحكم اتفاقية الاستسلام التي فرضها عليها الجنرال «ماك آرثر» قائد قوات الحلفاء في المحيط الهادي، وقد وضح التململ من تلك القيود في كتاب خرج إلى الأسواق اليابانية عام ١٩٨٩م، وترجم إلى الإنجليزية، ونشر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٠م وأثار زوبعة هائلة من ردود الأفعال في المجتمع الأمريكي ابتداء من الكونجرس الأمريكي [illegible] الدفاع الأمريكية [illegible] إلى رجل الشارع الأمريكي [illegible] التي ضمنها فيه مؤلفه «[illegible] إيشيهارا» الذي كان وزيرا للمواصلات في عهد حكومة ناكاسوني في حقبة الثمانينيات(٢)، والذي كان قد رشح نفسه لرئاسة «الحزب الديموقراطي» في اليابان، ولو أنه كان قد فاز فيها فإنه كان [illegible] بأن ينفذ سياساته التي ضمنها في ذلك الكتاب، والتي [illegible] لزيارة أمريكا ويرفض فيها في الكونجرس [illegible]، وقيل له هناك [illegible] الصراحة والوضوح - بأنهم لو نفذوا شيئا منها في اليابان لاحتلتهم أمريكا من جديد..!! هكذا قالوا له.. دون مداراة، وذلك كما كتب الرجل في مقدمة كتابه المشار إليه.

ومرت فترة قليلة جدا.. مجرد [illegible]ور، وظهر في الأسواق [illegible] حد سو[illegible] الدولتين.. أمريكا [illegible] اليابان.. اللتين كانتا حليفتين حتى الأمس القريب، ولكن الأمر بدا يختلف هذه الأيام، خاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي وخروجه من مجال المنافسة العالمية بوصفه قوة عظمى، كانت تنافس الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الأخيرة تحتاج حلفاء أقوياء [illegible] معها ضد ذلك العدو الذي كان [illegible] ذات يوم، كما كانت تحتاج لأراضي حلفائها هؤلاء كي تقيم عليها القواعد العسكرية التي حشدت فيها أسلحتها وجنودها، وكانت اليابان من بينهم، ولكن الوضع اختلف الآن، وهذا هو مدخلنا إلى هذا الكتاب العلمي [illegible]

[illegible] الكتاب:

[illegible] الحرب القادمة مع اليابان "THE COMING WAR WITH JAPAN" والقارئ المتمعن [illegible]



وتفسير تلك الحقائق في سياقها التاريخي عن العلاقات بين العملاقين الأمريكي والياباني يبين [illegible] طريق تصادم [illegible] ب، إن لم يكن من [illegible] تجنب ذلك الصدام.

[illegible] FRIED- [illegible] الأمريكي و[illegible] أهمية الكتاب [illegible] معلومات سا[illegible] [illegible] تقصد بالحرب مع اليابان..؟ أهي حرب اقتصادية سوف تندلع بيننا وبينهم بسبب التنافس على الأسواق العالمية، أم هي حرب سياسية [illegible] يؤهلها له تفوقها الاقتصادي الساحق في عالم اليوم، وهي تطالب به بإصرار وإلحاح [illegible] بأنها ستكون حربا حقيقية تستخدم فيها كل الأسلحة العسكرية المتاحة لدى الطرفين..!!

وقد شدّني - كما شدّ ملايين [illegible] في أمريكا - هذا الكلام [illegible] الكتاب عن [illegible] قلم [illegible] لأنه كان لايزال في المطابع، ولكن أخباره تسربت لأجهزة الإعلام، [illegible] شاشات التلفاز، وفور خروجه للأسواق تلقفتُ نسخة منه، [illegible] لأرى أين سيذهب عالمنا بعد فترة السلم التي نعيش فيها.. أقصد السلم العالمي، فالحروب المحلية لم تنقطع، ولا أظنها ستفعل لأن هناك قوى تريد لها أن تنشب وأن تستمر تحقيقا لمصالح استراتيجية من سيطرة وهيمنة وبيع أسلحة، وهذه كلها لاتأخذ في اعتبارها أرواح الناس، ولادماء المساكين، ولاتشريد الملايين...!!

الكتاب ألفه اثنان من أساتذة السياسة والجغرافيا السياسية هما بروفيسور «جورج فريدمان «GEORGE FRIED-MAN»، وبروفيسور «ميديديث ليبارد «MEDEDITH LEBARD»، وقد نشرته دار ST. MARTINO للطباعة والنشر في نيويورك، وفور ظهوره بيعت منه كميات هائلة من النسخ.. في اليابان قبل الولايات المتحدة الأمريكية، بل واعتبر الكتاب الأكثر مبيعا فيها THE #I BEETSELLER IN JAPAN، مما يدل على مدى وعي اليابانيين به وعلى اهتمامهم بالموضوعات الحساسة التي اشتمل عليها، وقد امتدحه عدد كبير من رجال الفكر في الولايات المتحدة الأمريكية، وكتبوا تعليقاتهم عليه في عدد من الصحف الأمريكية أقتبس للقارئ العربي واحداً فقط من هذه التعليقات كتبه صاحبه PETER STOTHARD في صحيفة [illegible] NDON [illegible] الأمريكي [illegible] بحضور سلسلة أحاديثه عن النظام الدولي الجديد فإن مستشاريه مشغولون بشكل عظيم بقراءة التحليلات المتعمقة جدا التي



الحرب القادمة مع اليابان

كتبها مؤلفا كتاب «الحرب القادمة مع اليابان»، وعلاقة هذه التحليلات بالسلام العالمي وفرصه في السنين القادمة.

الكتاب - في النهاية - عبارة عن بحث منطقه متميز، وكتابته غاية في الوضوح، وتحليل الكاتبين يعتمد على عوامل الجغرافيا التي تربط البلدين - أمريكا واليابان - ببعضهما، وهي هنا المحيط الهادي الذي يفصل بينهما، أو بمعنى أصح الذي يربط بينهما، وكذا ظروف الإنتاج الاقتصادي الذي يتنافسان فيه، والأسواق التي يتصارعان على كسب مجتمعاتها. والكاتبان يتصوران أن هاتين القوتين العظميين في طريقهما للصدام المسلح خلال جيل واحد من الزمان، وحتى لايعترض أحد على منطقهما قائلا بأن اليابان ليست قوة عسكرية يعتد بها حاليا إلا أنهما في فصل من فصول الكتاب يبينان أن اليابان لديها قوات عسكرية جوية وبرية وبحرية لايستهان بها، وقد بنيت هذه القوات في صمت، بل أكثر [illegible] ذلك فإن الإنفاق العسكري [illegible] كبرى مجتمعة مثل إنجلترا وفرنسا وألمانيا.

الكتاب من القطع الكبير ويقع في ٤٣٠ صفحة، وقد قسمه المؤلفان إلى ثلاثة أجزاء تشتمل على ١٤ فصلا، ولعل استعراض عناوين الفصول يمكن أن يعطي

القارئ فكرة عن محتويات الكتاب:

المقدمة من العداوة إلى الصداقة، ومن الصداقة إلى العداوة.

الجزء الأول:

الحرب الأمريكية ـ اليابانية الأولى.

الفصل الأول: الاستراتيجيات الكبرى للولايات المتحدة الأمريكية واليابان.

الفصل الثاني: بزوغ الامبراطوريتين الأمريكية واليابانية.

الفصل الثالث: النضال من أجل التفوق.

الجزء الثاني:

فترة الهدنة

الفصل الرابع: خطط أمريكا لليابان خلال فترة مابعد الحرب.

الفصل الخامس: الحرب الباردة وانبعاث اليابان

الفصل السادس: [illegible] اليابان الاقتصادية

الفصل السابع: كابوس اليابان المزعج: اعتمادها على المستوردات من الخارج.

الجزء الثالث

[illegible]

الجزء الرابع

حرب اليابان الثانية في المحيط الهادي

الفصل الثاني عشر: هل يمكن أن تتسلّح اليابان من جديد؟ معضلة اليابان الأخلاقية.

الفصل الثالث عشر: قوى اليابان المعدة للدفاع عن النفس.

الفصل الرابع عشر: طريق الصدام.

وبجانب هذه الفصول المطولة يحتوي الكتاب على حوالي عشرين خريطة مقارنة بين الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلدين، بالإضافة لعدد كبير من الأشكال البيانية المختلفة لكثير من المعلومات الاقتصادية والعسكرية، مع عدد كبير جدا من المراجع.

في تصدير الكتاب:

يبدأ الكاتبان بمقدمة منطقية [illegible] لة جدا حيث يطلبان من [illegible] تصور نفسه موجودا أو [illegible] في عام [illegible]، حين كانت [illegible] في الوقت ذاته، ثم يسألانه [illegible] فلسفيا يفتح أمام ذهنه آفاقا واسعة من التفكير في مستقبل العلاقات [illegible]



الاتحاد السوفيتي فشل في مجاراة الولايات المتحدة الأمريكية في سباق التسلح

وكذا في عام ١٩٤٠م هل كان من الممكن لأي إنسان أن يتخيل مجريات الأمور خلال الستينيات..؟ حين أصبحت أوربا مقسمة، بل ومحتلة بواسطة الأمريكيين والسوفييت. بينما اختفت الإمبراطورية البريطانية، ومعها الإمبراطورية الفرنسية، من الوجود..!! كما ظهرت للوجود دولة اسمها إسرائيل..؟؟

وفي عام ١٩٦٠م هل كان من [illegible] لأي إنسان أن يتخيل [illegible] كانت الولا[illegible] التقهقر، مهرو[illegible] [illegible]هة أمام فعل [illegible]

يجهد نفسه في استثارة خياله الذي سوف يكون قد أجهد بالفعل.

إن الحكمة التعليمية أو المتعارف عليها تقول بأن ماحدث بالأمس سوف يتكرر حدوثه في الغد، وأي إنسان عاش عام ١٩٨٠م وتجرأ على التنبؤ بانهيار الشيوعية فإنه بلاشك كان سيكون موضع سخرية الكثيرين. وعلى أية حال فإنه إذا كان هناك شيء واحد [illegible]

أمور تجمع وأخرى تفرق

[illegible] كتاباً يتوقع [illegible]

الحرب القادمة مع اليابان



كانت التوترات التي تقع بين الدولتين، إلا أن هذه التوترات لاتمثل شيئا إذا ماوُزنت بما يربط بينهما من علاقات متينة وتعاملات ضخمة، وقد يكون ذلك صحيحا، ولكن المؤلفيْن الذكيين يذكران القارئ ويعودان به إلى الوراء، وإلى منطقهما الرائع قائلين: ولكن ماذا كان يمكن لرجل سياسة أن يقول عام ١٩٠٠..؟ هل كان يمكنه أن يتوقع ماجرى عام ١٩٢٠..؟

إن هناك حقا - اليوم - أمورًا كثيرة تربط الولايات المتحدة الأمريكية مع اليابان، ولكن بالقدر نفسه من التأكيد فإن هناك أمورًا كثيرة تفرق بينهما. ومهمة العالم الباحث والمدقق تكمن في وزن الأهمية النسبية لهذه الأمور، ثم من بعد ذلك عليه أن يستخدم أسلوبًا علميا مناسبا في تحليلاته، بالإضافة لإعمال فكره وخياله، بل وأن يمد بصره لبعيد عبر سحب المستقبل كي يرى إلى أين [illegible] هذين البلد[illegible] [illegible] حال فإن فرص الوقوع [illegible] كبيرة لاشك، ولكن [illegible] أن أولئك [illegible] وأهدأ خلا[illegible] العشرين [illegible] التبعية، يرتكبو[illegible] [illegible] في توقعاتهم.

إن مناقشاتنا ليست منافية للمنطق، كما هو الحال بالنسبة لاستنتاجاتنا حينما تبدو غريبة أ[illegible] غير متوقعة [illegible] [illegible] بين الولايات المتحدة واليابان، كي نصل إلى الأسباب الحقيقية التي أدت إلى اندلاع الحرب الأولى بينهما، وكذلك تعمقنا في دراسة علاقات الصداقة التي دامت بينهما خلال الخمس وأربعين سنة الماضية.

وأخيرا فإننا نحاول أن نتصور شكل العلاقات بين البلدين في المستقبل، مستندين إلى أحداث الماضي.

وبمنتهى الصراحة يقول المؤلفان بأن ماتوصلا إليه، نتيجة هذه الدراسات والأبحاث والاستنتاجات، ليس شيئا مما يسر أو يسعد الإنسان الباحث، إننا - هكذا يقولون - آباء لشباب صغار، ولايسعدنا أبدا التفكير في موضوع الحرب، إننا نأمل ونتمنى أن تكون استنتاجاتنا خاطئة، ولكن ليس هذا هو الحال للأسف الشديد، لقد فكرنا مليًا، وفكرنا بعمق، ولكن يبدو أنه ليس هناك سوى ماتوصلنا إليه، وهو أن الحرب [illegible] محال[illegible] [illegible] نلوم أيا [illegible] الطرفين، ولا نتهم أيا منهما بأنه السبب فيما سوف يقع بينهما، بل إن العكس هو الصحيح [illegible]

[illegible] عريقتين لاتخفي أي [illegible] عدائية تجاه الأخرى.

[illegible] الكاتبان [illegible] لايدعيان [illegible] [illegible]

ومشاعرهما بالتالي مع أمتهما وشعبهما، كما أن مصيرهما مرتبط بمصير وطنهما، ولقد كانا يتمنيان أن يكونا مخطئين في تحليلهما واستنتاجهما، ثم إنه إذا كان هناك خطأ في الحسابات التي سوف تؤدي إلى اشتعال هذه الحرب واندلاعها بين البلدين فإن هذا الخطأ يقع على أكتاف الولايات المتحدة أكثر مما يقع على اليابان، مع الفرق في أن هذا الخطأ قد يكون قليلا جدا، وللأسف الشديد فإن أمريكا قد لايكون لديها إلا القليل جدا الذي يمكن أن تعمله كي تسرع بتصحيح الوضع الذي يدفع بالاثنين نحو الهاوية. وإذا ما انتهى الأمر باندلاع الحرب - كما نستنتج ونتوقع - بين البلدين فإننا لايمكننا أن نقف على الحياد فيها، وهو الحال نفسه الذي سيكون في اليابان، وتلك هي مأساوية الحياة السياسية.

إننا مدفوعان لكتابة هذا السفر بدافعين واضحين، أولهما السرور والمتعة اللذين يستشعرهما العلماء وهم يكتبون ويفكرون ويحللون موضوعا مهمًا كهذا، لأنه إذا كان الإنسان قادرًا على أن يخرج كتابا [illegible]

[illegible] مندفعين نحوه، وعليهم أن ينبهوهم أن يتيقظوا ويأخذوا حذرهم. والمأساة الحقيقية في حياتنا نحن الأمريكيين أننا اعتدنا أن نأخذ حذرنا وأن نكون مستعدين لحروب لم تقع مطلقا، بينما اعتدنا أن نؤخذ بالمفاجأة في الحروب التي خضناها فعلاً..!!

وهناك سبب آخر حفزنا لكتابة هذا الكتاب، وهو أن القادة في كلا البلدين قد شغلوا أنفسهم - عن قصد - في خداع للنفس، وذلك بالتظاهر بأنه ليس هناك أي شيء يسير في الاتجاه الخطأ في العلاقات بين البلدين. إنهم بفعلهم هذا يسمحون بعوامل الشد بينهما أن تسير في طريقها، بل وأن تتزايد وتنمو تحت السطح، بعيدا عن العيون، وبالتالي بعيدا عن ضبطها والسيطرة عليها في المستقبل.

وإذا كان هناك أمل في تجنب [illegible]

الحرب [illegible] مع ال[illegible]



لأي إنسان.

إنه لأسهل كثيرا أن يتنبأ الإنسان بقيام الحرب، أسهل من معرفته كيف يحاربها، وكلاهما حتى هذه اللحظة يبدو أنهما لايعرفان كيف يمنعان وقوعها، وهما يحتاجان بلا شك لعقول أفضل من عقولنا كي تكتشف الطريق إلى السلام.

وفي مقدمة الكتاب:

يقول الكاتبان بأن الفلاسفة اعتادوا القول بأن التاريخ يعيد نفسه، وأن كل شيء يحدث مرتين، والواقع أن هذه العبارة قاصرة عن التعبير عن الحقيقة، لأن التاريخ، وخاصة تاريخ الأمم، يكرر نفسه مرات عديدة، ومن هنا فإنه يصعب جدا أن نتحدث عن حرب، أي حرب، سواء في العصور القديمة أو الحديثة، ونقول [illegible]

[illegible] وبولندا وروسيا [illegible] الصراعات ذات الجذور [illegible] بين هذه الدول تعاود [illegible] ما بين حين وآخر بعد[illegible] وهي عادة تنتهي بانتصار طرف [illegible] بانهيار [illegible] والمراقبون [illegible] دوما أن تكون [illegible] الحروب [illegible]

هي الاستقرار وحسم أسباب الصراع للأبد، ولكن التاريخ يظل يعيد نفسه، وتظل الصراعات تظهر هنا وهناك من جديد.. واليوم فإنه في حالة الولايات المتحدة الأمريكية واليابان نجد أنهما لم يحاربا بعضهما اللهم إلا مرة واحدة فقط، ولكنها كانت حربا أساسية ومن نوع خاص، لأنها تعلقت بالسيطرة على المحيط الهادي، أكبر مساحة مائية في العالم، وكما كان الحال في الصراع بين قرطاج وروما بهدف السيطرة على البحر الأبيض المتوسط، فإن محاولات السيطرة على المحيط الهادي ليست فقط للسيطرة على التجارة، ولكنها، بالإضافة لذلك، محاولات للسيطرة على الحياة الاقتصادية للدول المحيطة بذلك المحيط المائي الواسع.

ولقد بدا للوهلة الأولى أن استسلام اليابان عام ١٩٤٥م سوف يضع حدا نهائيا لمطالباتها بالسيطرة على الجزء الغربي من المحيط الهادي، فمع القضاء على الأسطول الياباني ظهرت الولايات المتحدة [illegible] عسكريا، كما [illegible] شروط [illegible] وضع [illegible] تقف أمامها [illegible]. ولقد كان هذا [illegible] بنود الدستور [illegible] خاصة وقد كان في وضع يسمح له بتدمير وسحق [illegible] حضارة موجودة، ولو فعل ذلك ماكان هناك مايمنعه أو يحول بينه وبين ذلك.

وللعلم فإن مافعلته الولايات المتحدة في هذا المجال ـ أي عدم سحقها لليابان والقضاء عليها تماما ـ لم يكن عن قصد طيب أو نبيل بقدر ماكان لحاجتها للسيطرة على المتحدي الجديد، ألا وهو الاتحاد السوفييتي إذ إنه في الوقت الذي أصبحت فيه أمريكا القوة البحرية العظمى التي لا تبارى في العالم، ظهر الاتحاد السوفييتي وهو القوة البرية الكبرى في الكتلة البرية الأوراسية (آسيا أوربا)، وبقدر ماكان الاتحاد السوفييتي عظيم القوة على الأرض في آسيا وأوربا بقدر ماكان بالغ الضعف في المحيط الهادي، ورغم ذلك فلقد كان إمكان أن يصبح الروس مُتَحَدِّين لقوة أمريكا في المحيط بادية في الأفق، خاصة بعد نجاح «ماو» في الصين، وبعد اندلاع الحرب الكورية(٣)، مما أرسل موجة من القلق البالغ لدى الأمريكيين، وجعلهم يفكرون [illegible] اليابان [illegible] الأمريكية [illegible] مهزوم إلى حصن حليف تتمترس فيه القوى الأمريكية ضد الاتحاد السوفييتي.

وبناء على تلك المعطيات الجديدة فإن السؤال الياباني الذي أثير في الدوائر الأمريكية [illegible] عام ١٩٤٥ (أي [illegible] ضربها [illegible] بالقنابل الذرية واستسلامها)، قد وجد له إجابة شافية، ولفترة طويلة، ولم يعد إلى الظهور في أذهان صانعي القرار في أمريكا إلا من سنوات قلائل(٤)، ذلك أن[illegible] منافسة حادة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كان الاعتماد على اليابان وعلى أراضيها وتحالفها مع أمريكا يشكل بعدا مهما ومطلوبا لدى صناع القرار الأمريكي، وعلى ذلك فإن اليابان ـ بالنسبة لأمريكا ـ جغرافيا لايمكن الاستغناء عنه، خاصة وأن اليابان كان يمكنها أن تغلق الطريق البحري في وجه الاتحاد السوفييتي فلا تمكّنه من الانسياح في المحيط الهادي، وبالإضافة إلى ذلك أيضا فإن اليابان أمدّت الولايات المتحدة الأمريكية بقواعد برية، وخاصة لسلاح الطيران الأمريكي، ومنها كان سلاح الجو الأمريكي يستطيع ـ لو تطلب الأمر ـ أن يوجه ضربات مؤثرة ضد روسيا في أراضيها المتعمقة في القارة الأسيوية.

الهوامش :

١ – يمكن لمن أراد مراجعة كتاب: التربية في اليابان المعاصرة، تأليف الأستاذ [illegible] [illegible] مكتب التربية [illegible] عام [illegible]١٤هـ، وطبعه [illegible] كذلك عن دار الصحوة للطباعة والنشر بإذن من الكاتب المذكور.

٢ – Shintara Islichara: The Japan That can say no وقد سبق أن عرض الكتاب في مجلة «الفيصل» العدد رقم ١٩٦، ص ص ١٠٧–١١٣.

٣ – يقصد [illegible] الصين [illegible]

٤ – [illegible]

٥ – [illegible] على دولة [illegible] ثم اقتسام ممتلكاتها بين دول [illegible] ومايجري هذا الأيام من محاولة جمهورية [illegible] في نفس الطريق.

من نوادر التصنيف

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

عقلاء المجانين

هذا الكتاب ذو موضوع طريف ينبئ بذلك عنوانه، أورد فيه المؤلف الأخبار والآثار، وذكر النتف والملح والأشعار، كما أورد في صدر كتابه معلومات ومعارف مفيدة، فتحدث عن حدّ الجنون، وبيّن قيمة العافية وسلامة العقل، وانتقل إلى الكلام عن أصل الجنون في اللغة ومعانيه المختلفة، ثم ذكر أسماء المجنون في اللغة كالمعتوه والمائق والموسوس، وأورد طائفة من الأمثال المضروبة في الحمق والحمقى، وأشار إلى مايوصف بالحمق من غير الناس كالضبع والعقعق، وإلى أسماء جنون الدواب، وفصّل القول في ضروب المجانين وأصنافهم والأسباب التي أدت بهم إلى تلك الحال، والدواعي التي حملت بعضهم على التظاهر بالجنون للوصول إلى غاية معينة، وأبرز الحمق والجهل ووفرة حظوظ المنتسبين إليه، أما في صلب الكتاب فجعل يروي أخبار جماعة من عقلاء المجانين وأوصافهم، ويعزوهم إلى بلدانهم، ويسجّل أقوالهم وأشعارهم ورسائلهم، وأتبع ذلك بأخبار جماعة من مجانين الأعراب وطائفة من مجانين النساء، وانتهى بذكر مجانين لا تثبت أسماؤهم، ولكن تُعرف أخبارهم وأشعارهم وأقوالهم.

ومؤلف الكتاب أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن حبيب النيسابوري من رجال القرن الرابع الهجري، وهو مفسّر وإمام في القراءات وأديب ونحوي، اشتهر بمعرفته بالمغازي والقصص والسير، وهو ممن سمع الحديث ورواه، وانتشر عنه بنيسابور العلم الكثير، وكان يفيد أهل بلده بلا مقابل، ومن مؤلفاته التنزيل وترتيبه.

وقد حقق الكتاب الدكتور عمر الأسعد، وقدم له بمقدمة موجزة.

ومن أخبار الكتاب:

١ـ أنشد عبيدالله بن محمد بن عائشة:

ومن كانت الدنيا هواه وهمّه
فذلك مجنون وإن قيل عاقلُ

وقال آخر: المجنون من التمس رضى الناس بسخط الله.

٢ـ قال إسماعيل بن عطاء العطار: مررت بسعدون المجنون فلم أسلّم عليه، فنظر إليّ وأنشأ يقول:

ياذا الذي ترك السلام تعمّداً
ليس السلام بضائرٍ مَن سلّما
إن السلام تحية مبرورة
ليست تحمّل قائليها مأثما

٣ـ قال محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك: رأيت بهلول بن عمرو المجنون في بعض المقابر قد دلّى رجله في قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت له: ماتصنع هاهنا؟ قال: أجالس قوماً لايؤذونني، وإن غبت عنهم لايغتابونني، فقلت: قد غلا السعر، فهل تدعو الله فيكشف، فقال: والله ماأبالي، ولو حبّةٌ بدينار، إن الله أخذ علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق يديه وأنشأ يقول:

يامن تمتع بالدنيا وزينتها
ولاتنام عن اللذات عيناهُ
شغلت نفسك فيما لستَ تدركه
تقول لله ماذا حين تلقاهُ

٤ـ حدث أبو نعيم قال: كنت جالسا عند حفص بن غياث بعد أن ولي القضاء، فدخل أبو الديك وكان ذاهب العقل محتالاً للمعاش في يوم شديد البرد حافياً حاسراً، فرحمه القاضي، فدعا بجاريته فسارّها فأتته بعمامة وخفين، فقال: ادفعيه إلى أبي الديك، فدفعته إليه، فقال: أيها القاضي جزاك الله عن الأطراف خيراً، وحرّك قميصه، فضحك القاضي، ثم قام فدخل بيته، ثم خرج وقد خلع الجبة التي كانت عليه وقميصه ولبس غيرهما، فدفعهما إلى أبي الديك فلبسهما، ثم قال: أيها القاضي، حُكي لي عن عبدالملك بن مروان أنه قال لبعض ولده: أي الثياب أعجب إليك، قال: مارأيته على غيري، قال: فأي الرجال اخترته لنفسك؟ قال: أحسنهم اختياراً لنفسه، وقد اخترت أيها القاضي لنفسك حسن الثناء وسررتَ أبا الديك كل السرور إلا قُطَيرة، قال القاضي: وما القطيرة؟ قال: شيء أنصرف به إلى العيال، قال: حبّاً وكرامة، والله مافي منزلي ذهب ولافضة، ولكني أستقرض لك، ياغلام، قل لفلان أقرضنا ديناراً وادفعه إلى أبي الديك، فقال أبو الديك: والله أيها القاضي ما أجد لك مثالاً إلا ما قاله الشاعر:

يعيّرني بالدّين قومي وإنما
ديوني في أشياء تكسبهم حمدا

وقول صاحبه:

وماكنت إلا كالأغر ابن جعفر
رأى المال لايبقى فأبقى به حمدا

٥ـ قال عبيد الله بن القرشي: كان عتق أبي عوانة عجباً، كان أبو عوانة غلام يزيد بن عطاء الواسطي، فجاءه مجنون فقال: ياأبا عوانة، هب لي شيئاً حتى أنفعك، فوهب له شيئاً، فوقف يوم الجمعة على باب مسجد الجامع وهو يقول: ياأيها الناس، ادعو الله ليزيد فإنه أعتق أبا عوانة، فجعل الناس يأتون يزيد، ويدعون له، ويشكرونه عليه، فلما أكثروا عليه دعاه فقال: اذهب فإنك حرّ لوجه الله.

أدونيس:
وهم الكونيــــة والتطلع

حسني المختار

إن اتخاذ موقف تجاه العالم، بصفة عامة، أمر طبيعي في حياة الإنسان لأنه استعداد فطري فيه، ولكن نوعية موقفه ودرجته الواقعة بين نقطة الانسجام ونقطة التنافر مع سنن الكون لاشك تقرر مصيره.

ومن نافلة القول أن الكون مسخر لمن يعرف نواميسه، ومسعف لتطور من يعمل على التفاعل والانسجام معه، وأن الشاذَّ عن القاعدة يذهب جفاء.

هذا الكلام ليس غريبا على النقد والشعر، أو غير النقد والشعر من حقير أشياء الحياة وعظيمها، إذا نحن أدركنا قليلا من وحدة النواميس التي تنفي العبثية عن خلقه سبحانه وتعالى. فالتطرف انتحار لاشك فيه، والاعتدال و«الوسطية» سبيل الاستمرارية والنمو

هذه القاعدة العامة مطلوبٌ من الإنسان الاستفادة منها في كل عصر، وفي كل ميدان، وتطرح نفسها بإلحاح في عصرنا هذا الذي تعاظمت فيه الحساسيات، التي استعبدت الإنسان واستهوته ليقتل نفسه بنفسه.

> - «من أنت؟، من تختار يامهيار؟»
> - «لا الله اختار ولا الشيطان، كلاهما جدار
> كلاهما يغلق لي عيني - هل أبدل الجدار بالجدار»(١)

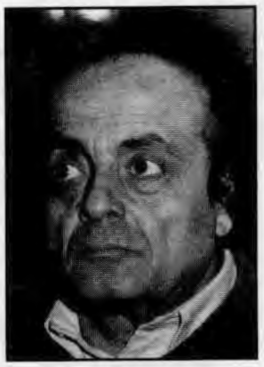
والمسلم - بما كرمه الله تعالى - أولى من غيره لتدارك الأمر إذا ضل أو جهل.. وليس ميدان الأدب بأقل شكوى من تفشي هذه العدوى التي تهدد بدمار البشرية. فهو - باعتباره ميدانا خصبا، يعج بكل النزوات والمواقف الجامحة التي تجعلنا نحس جميعا بالحاجة إلى التأمل وتحديد منطلقات أكثر واقعية ودقة لمواجهة الإشكال ولتفويت الفرصة على الآخر الذي يدفعنا بشتى الطرق للخروج من دائرة الحوار إلى دائرة الصراع، ومن مجال التفاعل إلى مجال التصادم، ومن منطق الدعوة بالحسنى إلى ذرائع الدفاع المختلفة.

وأطمح في هذا الموضوع إلى أن أجعل الأمور في نصابها فيما يخص علاقة الإسلام بالشعر، وهو موضوع قديم متجدد، بما يبدو لي صوابا، مناقشا الرأي المتحامل على الشعر الإسلامي، أو بالأصح على أسلمة الشعر، وما لهذا الرأي من خلفيات فكرية (أيديولوجية) ونزعات خاصة.. متخذا من «أدونيس: علي أحمد سعيد» مثلا في هذا المجال باعتباره رأس الحربة لحركة الحداثة بإنجازاته النقدية والشعرية.

طُرِحتْ قضية «ضعف» الشعر الإسلامي منذ القديم حين قال الأصمعي(٢): «وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان. ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم؛ لان شعره. وطريق الشعر هي طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الحُمُر والخيل والافتخار. فإذا أدخلته في باب الخير لان». وقد أصاب د. حسن الأمراني حين قال معلقا:(٣) «وقد ظن بعض الناس اللين ضعفا ضربة لازم، ولم يكن الأمر كذلك في أذهان النقاد. والأصمعي نموذج للنقاد اللغويين الذين راعهم الشعر القديم والجاهلي منه خاصة، فقاسوا إليه من بعدُ كل شعر». وأخذ د. الأمراني مفهوم اللين هذا - كما أشار هو بنفسه إلى ذلك - من صاحب الوساطة حيث يقول(٤): «فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر.. اختار الناس من الكلام ألْيَنه وأسهله وترققوا ما أمكن، وكسوا معانيهم اللطف ما سنح من الألفاظ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفا، فإذا أُفرد عاد ذلك اللين رونقا».

وذكر «الضعف» عند صاحب الوساطة لاشك يستند إلى أنه كان قضية شغلت النقاد في شأن الإسلام والشعر، ولا أدل على ذلك من النص عليه في قول للأصمعي حسب ماورد في (الشعر

لــ «نــوبــل»


أدونيس

والشعراء) لابن قتيبة حيث قال:(٥) «قال الأصمعي: الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره. وقال مرة أخرى: شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر، فقطع متنه في الإسلام لحال النبي صلى الله عليه وسلم».

فالذين قالوا بضعف الشعر الإسلامي، سواء أكان هذا الضعف في زمن الدعوة أم عهد الفتوح، من المعاصرين، لم يحتاجوا كلهم إلى تأويل مصطلح اللين، فقد وجد فريق منهم، على الأقل، حكما جاهزا في «الشعر والشعراء» فأخذوه مسلمين بالأمر، باحثين عن التأويل في العوامل الكامنة وراء هذا الضعف. أما مقولة الأصمعي في حسان بن ثابت فأدنى ما يمكن أن تُعلّل به - وليس ذلك بالمخرج الوحيد بحال - هو ما قاله د. شوقي ضيف، وهو أمر جدير بالاهتمام، قال:(٦) «والحق أن شعر حسان الإسلامي كثر الوضع فيه، وهذا هو السبب فيما يشيع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة، لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي». وإذا قيل إن الضعف والوهن سرى إلى جميع شعر هذه الفترة، فما أجدر أن نشير - متجاوزين الآراء المتداولة - إلى ما قاله د.عبدالعزيز المقالح من أن القصيدة الجاهلية كانت قد أكملت دورتها واستنفدت طاقتها قبيل ظهور الإسلام «وأوشكت على الانهيار، ولم ينقذها من ذلك المصير المحتوم سوى الظهور المفاجئ والباهر والمثير للدين الجديد في جزيرة العرب... [فقد] فتح للقصيدة عالما واسعا لم تكن تلم بمثله، وأعطاها وظيفة فنية وروحية وإنسانية لم تكن لها من قبل، وحققت به ولادة جديدة شأن اللغة التي انتقلت معه من الصحراء إلى المسجد، وإلى دواوين الدولة.. ولكي يتأكد ما ذهبنا إليه من أن الإسلام ما كاد يظهر إلا وقد خلت الجزيرة العربية من أصحاب المواهب الشعرية الناضجة.. نسأل: أين امرؤ القيس من عبد الله بن الزِّبَعْرى أو مسافع بن عبد مناف؟ وأين طرفة بن العبد شاعر الحرية الفردية من هبيرة بن أبي وهب وبقية النكرات الشعرية التي ظهرت في أواخر ما كان يسمى بالعصر الجاهلي؟»(٧) فالإسلام إذن لم يساهم في ضعف الشعر العربي، وإن كان قد أطال فترة فتوره بسبب قيمه الجديدة(٨)، وبسبب تشاغل العرب بالجهاد وانصرافهم عن الشعر «أوّل الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحي، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زمانا، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة، ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وخطره، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم، وأثاب عليه، فرجعوا حينئذ إلى ديدنهم منه»(٩)

ومهما قلبت هذه الآراء التي تقول بضعف الشعر الإسلامي أو عدم ضعفه ومهما عاودت النظر في التفسيرات والمسوّغات رغم اختلاف ذلك كله وتعارضه، فإنك لن تجد سوى اجتهادات بريئة واختلافات لاتعدو حدود العلم، أما عند أدونيس فإنك لن ترى سوى التحامل على الإسلام، انطلاقا من فكرة مسبقة وثابتة، وهي أن الإسلام ضد الشعر، وأنه السبب المباشر في ضعفه، يقول:(١٠) «والواقع أن الإسلام بذاته لم يلهم الشعراء العرب الذين اعتنقوه في بداياته شعرا ذا قيمة، فبالأحرى أن تلهمهم الفتوح... والشعر العربي الذي كتب في الفتوح أو في الفتن والثورات داخل المجتمع الإسلامي، مستلهما، بشكل أو آخر مبادئ الإسلام أو ألفاظ القرآن ومعانيه، إنما كان شعرا مباشرا تقريريا، أي إنه كان من الناحية الفنية، شعرا رديئا جدا». وكأن الإسلام وصمة عار على الشعر والشعراء. الشعراءُ - حسب ما يفهم من قوله - منزهون كانوا ينتظرون أن يوحى إليهم أو أن يكون الإسلام انقلابًا شعريا لا حضاريا شاملاً، فخاب أملهم! ولست أدري لماذا لايفهم أدونيس بأن الإسلام بناء للإنسان أولاً، أي بناء لمصدر الإنتاج والإبداع، حتى ينتج ماهو خير لنفسه وللبشرية وبكل طواعية وحرية. كما أن الشر في المقابل، تدمير للإنسان وتضخيم لنزواته التي تنطق بكل حرية أيضا، وتنتج كل شؤم، وتسعى إلى الهدم بشهوة جنونية، وكما يقول المثل العربي: (كل إناء يرشح بما فيه)؛ فلننظر إلى القوة «الهرقلية» التي يرغب أدونيس فيها لتدمير العالم واكتساحه:(١١)

«ولا شريان عندي لهذا العصر - إنني
مبعثر ولا شيء يجمعني
أخلق شهوة كلهاث التنين
أخرج وأكتب أسفار
الخروج، ولا ميعاد ينتظرني
إنني نبي وشكّاك».
و «رضيت بما شئته: أغنياتي
خبزي، ومملكتيَ كلماتي
فيا صخرتي أثقلي خطواتي
حملتك فجرا على كتفي
رسمتك رؤيا على قسماتي»(١٢)

وعلى فرض ضعف الشعر العربي في هذه الفترة، لم لا نقول إن الشعراء هم الذين عجزوا عن استلهام مبادئ الإسلام استلهاما فنيا مناسبا. وعجزوا عن مسايرة وتيرة تحولاته العارمة على مستوى الواقع آنذاك؟!

ولكن أدونيس يأبى إلا أن يدلس، باتهامه القرآن الكريم على أنه انتهك حرمة الشعر والشعراء، فيقول(١٣): «يقترن، في القرآن، اسم الشاعر بأسماء المجنون والساحر والكاهن، ويقترن كذلك باسم الشيطان، ويعني هذا الاقتران أن الشعر لايجيء بحق، فهو شأن السحر والكهانة والجنون، جزء من عمل الشيطان الذي «يزين» و«يضل» فيري الباطل حقا، والحق باطلا». وبأن الرسول صلى الله عليه وسلم «كان يذم البيان لذاته وينهى عنه»(١٤). وقد رد د. حسن

الأمراني على هذا الادعاء بقوله:(١٥) «والحق أن القرآن الكريم لايقرن بين الشعر والجنون والسحر والكهانة كما توهم أدونيس وسابقوه من المستشرقين، بل هو يرد على تصورات الجاهليين في ذلك الاعتقاد(١٦)، وادعاءاتهم فيما واجهوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أدركتهم الحيرة فيما يصفون به كلام الله المنزل الذي بهرهم فتخرصوا لذلك، كما تشهد عليه كلمة الوليد بن المغيرة(١٧). وأما حديث (إنّ من البيان لسحرا) فإنه لايدل على الذم، وإنما يدل على الإعجاب الكبير، وهذا سياق الرواية:(١٨) (تكلم عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأله عن الزِّبْرقان، فقال عمرو: مطاع في أُدْنَيْه، شديدُ العارضة، مانعٌ لما وراء ظهره. فقال الزبرقان: والله يارسول الله، إنه ليعلم مني أكثر مما قال، ولكنه حسدني. قال: أما والله يارسول الله إنه لَزَمِرُ المروءة ضَيِّقُ العَطَن، أحمق الولد، لئيم الخال. والله ما كذبتُ في الأولى، ولقد صدقتُ في الأخرى، رضيتُ عن ابن عمي فقلتُ أحسن ما علمت، ولم أكذب. وسخطت عليه فقلتُ أقبح ما علمت، ولم أكذب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من البيان لسحرا»).

هذا ، وفي الوقت الذي يتهم فيه أدونيس - ظلما - علم الجمال في الإسلام بأنه علم جمال المضمون وحده، وبأن وظيفة الشعر «في الإسلام ليست جمالية أو إبداعية، وإنما هي اجتماعية أخلاقية تقوم على إبراز الفضائل الإسلامية واستلهامها وتمجيدها»(١٩)، تراه يمجد كل خارج عن الإسلام، وكل مستغرق في وهدة الخطيئة، فيبيح لنفسه أن يرادف بين الخطيئة والجمال إذ يجعل من علم جمال الشعر علم جمال المضمون وحده، ومن وظيفة الجمال في الشعر وظيفة «أخلاقية اجتماعية» تقوم على إبراز «فضائل» الخطيئة «واستلهامها وتمجيدها»! ونعجب - بعد هذا - كيف يستسيغ بولس نويا اليسوعي ادعاءه بأن أطروحة تلميذه أدونيس تعتبر خدمة للعالم الإسلامي في هذا الكلام الملغوم الذي يخاطبه به في مقدمة الكتاب:(٢٠) «... لذا فأنا أظن أنك قد أديت للعالم الإسلامي خدمة إيجابية حيث أظهرت أن مستقبل الثقافة العربية متوقف على تحول طبيعة العلاقة بين الثابت والمتحول، بين الذهنية الاتباعية والذهنية الإبداعية.

ذكرت في الأطروحة أن التراث هو بمثابة الأب، ونحن نعلم منذ فرويد أن الابن لايستطيع أن يكتسب حريته ويحقق شخصيته إلا إذا قتل أباه.(٢١) على الإنسان العربي أن يميت تراث الماضي في صورة الأب لكي يستعيده في صورة الابن. حينئذ. دون أن يخرج على دينه، سيخلق تراثا جديدا وحضارة جديدة يكونان تراث الحرية وحضارتها».

وعلى أيٍّ، فإن هذا مما لايستغلق أمره على مسلم فيحتاج إلى «علامات أمان» من كل من هبّ ودب. فيكفي أن يقلب صفحات الكتاب ليجد فيه الخدمة، وليستخرج منه الجمال وعلمه. فلندعه يعبر عن نفسه بنفسه:(٢٢) «الإصرار على فعل الذنوب، كما يعبر أبو نواس، يعني انتهاكا للمحرم ورفضا لمفهومه، لكن انتهاك ماحرمه الله، إنما هو خروج على الله نفسه. فكل خروج على شريعة الله، خروج على الله. هذا الخروج يجعل الإنسان مساويا لله وشبيها به... غير أن التساوي بالله يقود إلى نفيه وقتله... وبتعبير آخر، لايمكن الارتفاع إلى مستوى الله إلا بأن نهدم صورة العالم الراهن وقتل الله نفسه... وإذا كان لنا أن نختار بين متدين تضعه الحرية في مأزق، وما جن يتخذ من هذا المأزق مخرجا، فإننا نختار الثاني، لأنه يعرف من الحقيقة أكثر مما يعرف الأول، أعني أنه أكثر قدرة على أن يساعد في تحرير الإنسان». ولهذا فإن أدونيس يحمل بنفسه مشعل هذه «الحقيقة» التي يتحدث عنها لينقذ البشرية. يقول في غرور واستهتار:(٢٣)

أحرق ميراثي، أقول أرضي
بكر، ولاقبور في شبابي
أعبر فوق الله والشيطان
(دربي أنا أبعد من دروب
الإله والشيطان).
أعبر في كتابي
في موكب الصاعقة المضيئة
في موكب الصاعقة الخضراء
أهتف - لاجنة لاسقوط بعدي
وأمحو لغة الخطيئة.

فالإنسان مطالب إذا أراد أن يتحرر ويتقدم ويعيش حياة «كريمة»، أن يسلم روحه للفن بهذا المفهوم، ويتخلص - إن فتح الفن عليه! - حتى من جلده وصورته بله التخلص مما هو موروث، يقول أدونيس:(٢٤) «بدءًا من الجنون تتغير علاقات الإنسان مع الكون، وأول مايتغير منها علاقته مع الله، ففي المقطوعة الثانية من كتاب (المجنون) [يقصد كتاب «المجنون» لجبران] وهي بعنوان (الله) نفي كامل للعلاقة التقليدية بين الله والإنسان وتأسيس لعلاقة جديدة. في هذه العلاقة الجديدة: - لم يعد الإنسان عبدالله ولا خاضعا له، أي لم تعد علاقته به علاقة عبد بسيد - ولم تعد هذه العلاقة علاقة مخلوق بخالق - ولم تعد علاقة ابن بأب - ولم يعد الله يجيء من الماضي، بل من المستقبل هكذا أصبح الله والإنسان كيانا واحدا بمظهرين: الله غدا الإنسان، الإنسان عرق والله زهرة العرق..» و«الأخلاق التقليدية هي التي تعيش الخوف من الله وتنبع من هذا الخوف.



جبران خليل جبران

الأخلاق التي يدعو إليها جبران هي التي تعيش موت الله وتنبع من ولادة إله جديد»(٢٥).

ومن العجب أن كل هذه الزندقة التي حمل لواءها جبران، بالإضافة إلى إدمانه للخمرة، وإيمانه بالتقمص وتناسخ الأرواح(٢٦)، وغير ذلك مما يتنافى مع الدين، لم تمنع أدونيس من إقرار جبران على دعاواه وهلوساته التي لايقرها عليه إلا قاصر في عقله، أو مبتغ من وراء ذلك مآرب؛ يقول أدونيس:(٢٧) «وتروي ماري هاسكل (سنة ١٩١١) أن جبران أخبرها أنه يرى المسيح، عادة، أربع مرات في السنة. وأحيانا يراه مرتين. ويقول جبران إنه رأى المسيح للمرة الأولى حين كان في حوالى الخامسة عشرة، وقد جلس على الحجر قربه لكنه لم يكلمه. ويقول إنه لايشبه أية صورة من صوره المعروفة، وإنه يراه دائما في منتصف

أدونيس :
وهم الكونيـــة والتطلع لـ «نوبل»

النهار، وفي الأيام الحارة، منفوش الشعر «يرتدي ثوبا رماديا» تهرأت حواشيه «في يده عصا وعلى قدميه غبار». ويروي جبران في أحد أحلامه أن المسيح قال له مرة: «اذهب ونم، واحلم أحلاما طيبة»، وفي حلم آخر يقول إن «المسيح ملأ يديه بالكرز»، وفي آخر يقدم له جبران نبات الرشاد فيأكل المسيح بلذة قائلا: «ليس هناك ماهو أجمل من الأخضر» والحلم هنا ليس حلما بالمعنى العادي، وإنما هو رؤية حقيقية. وهذا ماكان يؤكده جبران. ففي سنة ١٩١٩ يخبر ماري هاسكل أنه رأى المسيح ولم يكن يحلم.

وفي رسالة أخرى (١٩٢١) يقول إنه رأى في أحلامه كيتس وشلي وشكسبير مرارا عديدة...».

فأدونيس هنا يجعل جبران وليا من أولياء الله مصدقا دعاواه وخرافاته «بعفوية» تامة وبطيبوبة لم يعودنا عليها. بل إن دارس كتابه (الثابت والمتحول) بأجزائه الثلاثة لن يجد تنويها بشخصية أدبية ما كالذي يجده بجبران. فجبران يعتبر «مؤسسا أول لرؤيا الحداثة ورائدا أول للتعبير عنها»(٢٨). وسر هذا التقديم لجبران، بالإضافة لما سبق من حديث عن تطاوله على الله تعالى، هو أنه كان من أخبث الأوائل الذين استخدمتهم الصليبية بقصد تخريب الإسلام والمسلمين عبر بوابة الفن «الجميلة» سواء بهجومه على القيم، أو بجرأته على اللغة العربية بتدشين الخطوات الأولى لهدم أسلوب القرآن الكريم والتأسيس للجملة التوراتية: يقول ميخائيل نعيمة عن مقالات لجبران من الشعر المنشور نشرها تحت عنوان «دمعة وابتسامة»: «... يحاول في كثير من نبراته محاكاة مزامير داود ونشيد سليمان وسفر أيوب ومراثي أرميا وتخيلات أشعيا وعظات الناصري. ولاعجب فقد كان للتوراة في نصّيها العربي والإنجليزي أبعد الأثر على الأسلوب الذي اختاره جبران لنفسه فتفرد به بين كتاب العرب، وكتاب الإنجليز، ولم يسبقه إليه عند الفرنجة غير نيتشه».

وإذا كانت صليبيته تتستر بالأدب الجميل تستر الدفلى بأزهارها فإنها تظهر واضحة في غيره، بحقده المجنون على الخلافة الإسلامية التي يمثلها الأتراك، في قوله مثلا «إن الأتراك أسوأ من الكلاب»(٢٩) أو قوله في إحدى رسائله لماري هاسكل وقد أصيب بزكام حاد (٣٠) «الشيء الوحيد الذي أمقته في هذا المرض هو الطعم المر في فمي فهو يجعلني أحس كأنني ابتلعت تركيا». إن هذه الحساسية المرضية ضد الإسلام والمسلمين هي القاسم المشترك بين جبران وأدونيس، وعنها يصدر أدونيس في أغلب رؤاه، فحتى اسمه الذي يُذكّره بالإسلام وهو (علي أحمد سعيد إسبر) تخلى عنه واختار اسما من أسماء الآلهة، من الأساطير القديمة: أدونيس(٣١). يسأله أندريه فيلتر:(٣٢)

«كيف اختار ريفي شاب اسمه علي أحمد سعيد إسبر أن يدعو نفسه أدونيس؟».

فيجيب:(٣٢)

«... إن المصادفة التي جعلتني أحمل اسم أدونيس لتتجاوز في بعض جوانبها التفسيرات ... حدث هذا في ١٩٤٧م: كنت أكتب مقالات وأشعارا وأبعث بها إلى الصحف موقعا إياها باسمي العائلي، فلا أراها تنشر، ولا أتلقى ردا. ذات يوم، قرأت في إحدى المجلات أسطورة أدونيس والخنزير البري الذي اغتاله فتماهيت وهذه الشخصية الرامزة إلى الحب، والتي تدمرها قوة فظة. فبعثت بقصيدة سبق وأن قوبلت بالرفض، موقعة، هذه المرة بالاسم المستعار: أدونيس. فنشرتها الصحيفة على الفور. منذ ذلك الحين أصبح هذا الاسم الذي جلب لي طالعا حسنا اسمي الحقيقي. واليوم حتى أمي تدعوني «أدونيس»».

لكن أندريه فيلتر، يظهر أنه لم يقتنع بهذا التفسير وحده فيعيد السؤال بصيغة أكثر تحديدا للمراد:(٣٢).

«ألا يتعلق الأمر في ماوراء الاختيار المصادف نوعا ما، والاستفزازي لهذا الاسم، بتحقيق سيادة، والتوكيد على حرية الشاعر؟».

فيجيب أدونيس هذه المرة:

«بتغييري اسما جدًّ إسلامي: (علي)، لصالح اسم لاعلاقة له بالإسلام: (أدونيس) فإنما كنت اضطلع بالعبور إلى الكوني. بإمضائي بهذا الإسم، كنت أتحرر من تراث جامد، وأكتسب حرية أوسع. وبذا صرت قادرا على أن أدرج التراث العربي نفسه في حركة الثقافة الكونية. باختيار الاسم وحده، كنت أحوّل رويداً رويداً منزلة الشاعر في البلاد العربية. إن الشاعر هو هذا الذي يبدع، وبموته ينبعث. يعيد إحياء الكلام. وتنص أسطورة على أن دم أدونيس يعود في كل عام ليسقي مياه نهر يجري قرب بيروت. وبالفعل فإن نهر أدونيس يتخذ في الربيع لونا أحمر قانيا حمرة أزهار أدونيس، أزهار الخشخاش التي تُهدى في يوم الزفاف. هكذا يشكل الحب والموت والانبعاث وجه الإله الذي تماهيت وإياه بما يشبه اللاوعي».

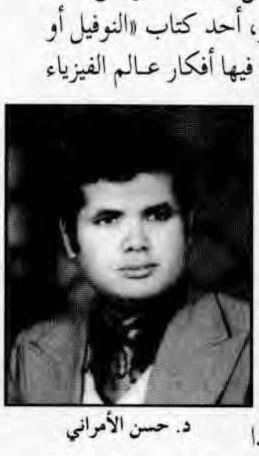
هذا الجواب ليس فيه كره للإسلام فقط ولكننا نلاحظ فيه أيضا تنطع الرجل وغروره الذي لاتكاد تخلو كتابة له منه، مما استعدى عليه كثيرا من الأقلام، بعضها ناوشه من بعيد، وكان يساهم في حقيقة الأمر، وبدون وعي، في الرفع من قيمته، ولكن بعضها الآخر كان قاصمة الظهر؛ كتب عبدالرحمن مجيد الربيعي تحت عنوان «أدونيس و (وهم) نوبل»(٣٣): «مشكلة أدونيس أنه مأخوذ، ومصادر بهذه الجائزة (اللعينة) نوبل، وهذه الحالة صارت معروفة للقاصي والداني - كما يقال - وقد أصدر أخيرا الشاعر عبدالقادر الجنابي من باريس كتابه الأول في سلسلة جريئة اسمها (فضح السائد)، وقد جعل من أدونيس موضوعها، أي إنه الحالة الأولى الطافية والجاهزة أمام الأعين والمتمثلة في هذا اللهاث وراء نوبل، وكل أفعاله وعلاقاته وتحركاته تصب في هذا الاتجاه». ثم يبرز كيف أنكر أدونيس معرفته بشاعر ومسرحي لبناني معروف هو (بول شاوول) في استجواب أجراه معه الشاعر الطيب شلبي، هذا رغم أن بول شاوول «هو المشرف الثقافي اليوم على جريدة (السفير) اللبنانية وهي جريدة أثيرة لأدونيس ...» كما أنكر على شعراء العربية الآخرين أن يكونوا معروفين مثله لدى القارئ الفرنسي. وهذا يدخل ضمن إعداد الشخصية للانفراد بالترشيح لهذه الجائزة.

وفي الاطار نفسه لاحظ عبدالرحمن مجيد الربيعي كيف أن أدونيس أسقط كثيرا من الشعر من دواوينه «تلك الدواوين التي (نقاها) من كل الماضي وخرج علينا ببدعة جديدة عندما كتب على أغلفة طبعاتها الجديدة: (كتابة نهائية)، وهي كتابة جعلت من هذه القصائد حاملة لجل شروط لجنة جائزة نوبل، صفاها من كل مواقفه.. الثورة

الفلسطينية.. العروبة.. الحزب القومي السوري.. الخ» يقول عبدالرحمن مجيد الربيعي في المقال نفسه:

«إننا - وكمراقبين - للمشهد الأدبي العربي باتت حالة أدونيس مثيرة للاشمئزاز وأقولها هكذا بكل وضوح وصراحة وصدق، وحتى الذين خُدعوا به أو سيُخدعون سيكتشفون هذا وينفضّون عنه».

على أن أقبح الخصال قاطبة في شخص أدونيس هي السرقة. سرقة أعمال غيره ونسبتها إليه بدون خجل، لا لشيء إلا لأنه يرى نفسه الأثيرة لديه أحق بها. يقول الشاعر كاظم جهاد في كتابه (أدونيس منتحلا)، والذي خص به «صديقه» أدونيس بعد أن اكتشف فيه هذه الخصلة الدنيئة(٣٤): «يكفي أن نقدم للقارئ كمسك ختام لهذا الفصل، انتحال أدونيس لمقالة صحفية كاملة لجيرار بونو، أحد كتاب «النوفيل أو بسرفاتور»(٣٥)، يعرض فيها أفكار عالم الفيزياء المشهور «برنارد يسبانا». لقد هالنا أولا، أنا وأصدقاء، ما وجدناه في مقالة أدونيس من شبه بهذه المقالة (٣٦)، وإذا بالشبه يعرب، بعد التمحيص عن كونه تطابقا.


د. حسن الأمراني


د. شوقي ضيف

عندما نسوق هذا التدليس، وما أكثر مثيله في كتابات الرجل، فإنما لإبراز مقصدية التدمير في هذه الكتابات، ولإبراز الخبث الذي ينطلق منه لإحراق كل الفضائل على وجه الأرض تحت ستار الحداثة والتحديث، ودعوى تحرير الإنسان، وبماذا؟ بالاستهتار بالقيم، والإلحاد والكذب والسرقة...!

على أننا - بالمقابل - لانزعم نحن بأن أدونيس ليس شاعرا، وأن الخطيئة لاتلهم الشعراء. فإن الله سبحانه وتعالى لم يجرد قائل الشعر من هذه الصفة حيث قال عز من قائل: ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وادٍ يَهِيمُونَ. وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا، وسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء ٢٢٤ - ٢٢٨) وإنما فرق بين نوعين من الشعر؛ نوع لايعرف سوى الهدم، وهو مع ذلك فن - ونوع غايته البناء حتّى وإن هدم. هذا هو الإطار العام، أما في الإطار الخاص؛ فلرب قصيدة تعج بالمجون أفضل من الناحية الفنية، من قصيدة زاخرة بالقيم الإسلامية. ولربما كانت الإساءة إلى الشعر الإسلامي بقصور المواهب، وقصر النظر، أنفذ فيه من وجود ما يُضاده ويعاديه؛ وهنا تكمن المهمة الصعبة الملقاة على عاتق المسلمين، وهم يقدمون شعراء للميدان دون إعداد. فالدين ينبغي ألا يكون شفيعا لدخول كل راغب إلى ساحة الشعر، لأن الإسلام ليس مقياسا للشاعرية ولاتنظيراً لشعرية. وما أظن صاحب الوساطة أبا الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني (ت:٩٣٢هـ) إلا إلى هذا ذهب لمّا قال(٣٧) «فلو كانت الديانة عارا على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعاب من أصحابه بُكْمًا خُرْسًا وبكماء مُفحَمين. ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر». ذهب إلى هذا بروح متفتحة متعالية عن الحزازات التي يعاني منها كثير من الحداثيين شعراء ونقادا، وكلام القاضي لايعني، بحال، أن الدين والشعر لا يلتقيان، وإنما جاء قوله هذا في سياق خاص، قال قبل:(٣٨) «والعجب ممن ينقص أبا الطيب، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله:

يترشّفن من فمي رَشفات
هنّ فيه أحلى من التوحيدِ».

فهو يدعو إلى عدم الشطط في استغلال للدين يأتي على الأخضر واليابس. إنه يدعو إلى التوازن، وإلى التعقل والعدل والمعاملة بالحسنى. ومهمة المسلم، كل في ميدانه، أن ينهج النهج نفسه.

وعلى الشاعر المسلم أن يجمع بين الحسنيين، حسنى العقيدة أولا، وحسنى الفن ثانيا، وليس ذلك ببعيد، خاصة ونحن نرى الصحوة المباركة تعم أقطار المعمور، ونرى الأدب الإسلامي، والشعر منه بصفة خاصة، يطرح نفسه يوما بعد يوم بديلا عن العجز، والبذخ في استعمال اللغة... تقول هيئة تحرير مجلة المشكاة المغربية:(٣٩) «عندما فكرنا في إصدار العدد الأول من (المشكاة) كان الاقتراب من الإسلامي كالاقتراب من حقل ملغوم، أو منطقة محرمة.. حتى إنه كان يبدو لبعضهم أن هذه الخطوة لن تكون غير صيحة في واد، أو نفخة في رماد، فقد كانت الأصوات القليلة التي تنادي بإسلامية النقد والأدب تعاني غربة ما، وتقاسي محنة التأصيل وهي تحاول أن تكون بديلا عن أدب تراكم ليعمق فينا الشعور بالهزيمة والاستلاب، وبالرغم من ذلك انطلقنا والأمل يحدونا، مؤمنين بأن هذه الخطوة، بتعبير الكواكبي (قد تكون اليوم صيحة في واد، أو نفخة في رماد، ولكنها في غد قد تذهب بالأوتاد)... فلم تمض غير سنوات قلائل حتى كان انعقاد (المؤتمر العالمي الأول لرابطة الأدب الإسلامي) في لكنهؤ بالهند وتبين أن ماكان يشعر به الأديب المسلم في أقصى بلاد المغرب كان يشعر به الأديب المسلم في أقصى المشرق»(٤٠).

وإذا ألقينا اليوم، نظرة على الشعر الإسلامي في المغرب على سبيل المثال فقط، فإننا سنجده مخصبا وآخذا بزمام المبادرة، يتزعمه ممن لهم دواوين منشورة على الخصوص، ثلاثة أعلام كلهم غزير الإنتاج جيده. وهؤلاء هم: د. حسن الأمراني، و د.محمد علي الرباوي و د. محمد بنعمارة.

أما د. حسن الأمراني فله من الشعر الإسلامي دواوين: (القصائد االسبع ١٩٨٤) و(الزمان الجديد ١٩٨٨) و(ثلاثية الغيب والشهادة ١٩٨٩) ومنها ماهو معد للطبع كما ذكر د.عماد الدين خليل في إحدى دراساته للشعر الإسلامي بالمغرب.(٤١)

يقول د.حسن الأمراني في قصيدة «الشعر والحجارة» وقد صدر بها آخر ديوان له:(٤٢)

هل يملك الشاعر أن يدجن الأشياء
أو أن يعلن البشارة
إن كان لايعرف أن جوهر الحضارة

أدونيس :

وهم الكونيـة والتطلع لـ «نوبل»

يسكن قلب الشعب كالشرارة؟
هل يملك الشاعر أن يفجر الحروف كالقطار
وأن يؤنسن الأمطار
والليل والنهار
إن كان لايجتازخط النار؟
هل يستطيع شاعر أن ينشد الأشعار
أو يمارس انفجاره
في غفلة عن لغة الحجارة؟

وأما محمد بنعمارة فله من الشعر الإسلامي دواوين: (نشيد الغرباء ١٩٨١) و(مملكة الروح ١٩٨٧) و(السنبلة ١٩٩٠) ومعد للطبع (الورد والدماء) و(الغيمة الأولى) و(سلامًا ياسيدة الشعر)، واخترنا له بعفوية قصيدته «في باب البدء» من ديوانه السنبلة:(٤٣)

في رحيق الليلة الأولى
وكان الختم قرآنا/وصوتا/ وضياء
كانت الأرض سماء
أبصرتني مثلما أبصرتها
لم ترد مني سطورًا تنقل المعنى
فأمسكت يراعي، وتحولت شراعا
ثم أغمدت حروفي في دمائي
فأتتني أمتي تشكو
قلت: أين الجهة الأكرم من كل الجهات
قالت: الكعبة
قلت: تعالي
ولتكن حجتنا يا أمتنا المغتالة بدءًا للحياة».

أما محمد علي الرباوي فله من الدواوين في هذا المجال: (الأعشاب البرية ١٩٨٥) و(الولد المر ١٩٨٩) و(البيعة المشتعلة ١٩٨٧) و(الأحجار الفوارة ١٩٩١) و(الرمانة الحجرية) و(أطباق جهنم ١٩٨٨)، وأخترناله مقطعين من قصيدته «لك الملك» من ديوانه (الأحجار الفوارة):(٤٤)

هي قد رفعت عينيها الناريتين إليّ
وقالت: لك من هيكل ناري هذي الكأس
فأمسكتُ بثوبي، لكن لم أترك ثوبي
في يدها. لم أهرب من جسدي، إذ
أخذَتْني يامولاي إلى جبل عال جدا،
وأرتني كل ممالك هذا العالم، قالت:
أعطيك سلالا من هذا الملكوت، أشرت برأسي:
لك ياسيدتي مني هذي الأشجارُ، وهذي
الأقمارُ (...) ضعيفا كنت. ضعيفا مازلت
فها نافذة الجسد المتوهج مازالت
مشرعة لفحيح الريح. فها أرسلت ـ حبيبَ
القلب ـ رياحك تغسل مابي من أصداء
الأمس الآسن.
آهْ حبيبي مازلتُ فراشة
يجذب هذي الذات إلى حضرته النورُ
القهارُ فيلتصق الجمر العذب بأجنحتي
المصنوعة من زبد الصلصال الفاخر.
يلتصق الجمر، ولكن، مازلت أطير إلى
حيث النور الجبار.. ضعيفا كنت، ضعيفا
مازلتُ فهذا الورد حبيبي مازاد فؤادي
إلا عطشا.

قصيدة د. حسن الأمراني عبارة عن مقدمة لديوانه يبين فيها طبيعة الشاعر الحق ومهمته؛ فكل شاعر جاهل بوجدان الأمة المشكِّل لشخصيتها، يستحيل أن يكون اللسان الناطق باسمها، والمبشر لها، والمعبر عن آلامها وآمالها. وكل شاعر لايكون في مقدمة المدافعين عن قيم أمته، لايمكن أن يبدع ذلك الإبداع الذي يخلق الألفة والانسجام مع الكون فماذا عسى الشاعر أن يقول إذا هو تغاضى عن هموم أمته؟!

> **غير اسمه الإسلامي فتوهم أنه أدرج التراث العربي في حركة الثقافة الكونية**

وتأتي قصيدة محمد بنعمارة في السياق نفسه ولكن بإيحائية أغزر وأقرب إلى لغة الصوفية. فهو يصور جوا مفعما بصفاء العبادة ولذتها كمنطلق للرؤية الصحيحة للعالم: (الخمر:(الذّكر)، والقرآن والأذان، والضياء وسعة الفضاء وصفاؤه حيث الأرض سماء...)، وفي هذا الجو الطاهر أبصرت الأمة شاعرها في لحظة النقاء. وأدرك هو، بفراسة المؤمن، بأن الأمة لاتريد أن يحبها بواسطة (لم ترد مني سطورا تنقل المعنى)، فأغمد الحرُوف في دمائه وحمل أمته في روحه، بعد أن ساءَلَ أعماقها ليحقق رغبتها في التطهر بالحج..، فكان بذلك لسان أمته وقائدًا لها إلى رحاب النور، لا إلى الظلام كما هو فعْلُ كثير من الشعراء «الحداثيين».

وفي نغمة أقوى صوفية من قصيدة د. محمد بنعمارة، تقبض قصيدة محمد علي الرباوي على لحظات التوتر والصراع النفسي، بين جسد يثاقل به إلى الأرض؛ إلى اللذائذ والشهوات فيستسلم لها، في ضعف، استسلاما كليا:(٤٥) روح تخلصت فيما بعد من هذا الماضي على مستوى الفعل فيما لاتزال ذكرياته الآسنة مخيمة عليها، ومازال الجسد مهددًا الشاعر يُشعره بضعفه . ويود هو، في دعائه، لو أن الله تعالى غسله من كل الأدران بعد أن وجد حلاوة الإيمان وحرارته، فصار كالفراشة يتطلع إلى النور، بعد أن كان جسدا ثقيلاً. لكن هذا التَّواق إلى الذات العلوية لم يصل إلى مبتغاه المطلق؛ إلى حضرة النور الجبار حيث يتخلص من جسده كلية، بل بقي في حضرة النور القهار ذي الجمر العذب، أي في المنزلة بين المنزلتين ـ إن صح التعبير ـ ولايمكن أن نفهم هذا إلا إذا أدركنا بأن الجمر هنا رمز للطهارة وحرارة الإيمان؛ لاحتراق الجسد وتحررالروح. ولذلك كان بعضه الذي يلتصق بجسده مستعذَبا يذوق من خلاله بعض لذة النور، ولكن هذا النور قهار إذ يبقى على الجسد/القيد، وهذا هو السر في كون الورد لم يزد شاعرنا إلا عطشا. ولكنه في الوقت نفسه عطش يكفل الاستمرارية في الرغبة..

وبموازنة بسيطة بين القصائد الثلاث نجد أن الإيقاع هو مايميز قصيدة حسن الأمراني، أما قصيدتا محمد بنعمارة والرباوي، فالمهيمن فيهما هو الصورة الشعرية التي تبلغ عند الرباوي أقصى حد من التركيز والكثافة.

وما قمت به في هذا المقام هو فقط تقريب القارئ مما أعتبره مفتاحا للقصيدتين على الخصوص، علما بأني لم أورد قصيدة الرباوي كلها... فالقصد هو الرد على من يدعي بأن الإسلام يضعف الشعر ردا مشفوعا بالدليل، وفق المقاييس المعاصرة(٤٦)، والتأكيد على أن الأدب الإسلامي ـ بصفة عامة ـ الذي استحق أن يسمى كذلك ، دون أن يفقد أدبيته، يحقق مكاسب في

سوق الأدب المعاصر، لاينكرها إلا مكابر. وهو فوق كل هذا أدب «مسؤول»(٤٧) يجاهد النفس، ويغمد الحرف في الدماء، ويعتنق هموم الأمة ويعبر عن رؤاها متصدراً الواجهة بعيدا عن الترف الفكري، واللهو بالألفاظ على غير هدى، كما هو الحال عند الحداثيين «في إطار مفهوم الحداثة الذي يرتكز على الغموض واللغة الإشارية غير التواصلية، وسقوط النموذج التراثي في المضمون والشكل على السواء، تتوالد نماذج الحداثة الإبداعية في الشعر كما تتوالد الخلايا السرطانية في المخ البشري، تاركة الأثر نفسه، بعيدة عن التواصل بين المبدع والمتلقي، ولنسمع بعض هذه النماذج الحداثية التي يلفها الغموض وتلتوي فيها أسرار الباطنية، يقول أدونيس من قصيدة في كتاب التحولات في ذات الإنسان:

في الجرح أبراج وملائكة
نهر يغلق أبوابه وأعشاب تمشي
رجل يتعرى
يفتت ريحانا يابسا ويلل
ثم ينقط الماء فوق رأسه
ثم يسجد ويغيب
أحلم
أغسل الأرض حتى تصير مرآة
أضرب عليها سورا من الغيم سياجا من النار
وأبني قبة من الدمع أجيلها بيدي.

ويقول أدونيس أيضـا بلغة الحداثة المغرقة في المجهول البعيد عن التواصل مع البشر:

إن لأيامي سفنا تنقل الشواطئ
لكن
كيف تهدأ، مراسيَّ تحرس الموج
وأنت
أيتها الشمس ماذا تريدين مني
أبحث عما لايلاقيني
باسمه أنغرس وردة رياح
شمالا جنوبا شرقا غربا
وأضيف القلوب والعمق
لكن كيف أته
لعيني لون كسرة الخبز
وجسدي يهبط نحو راء له عذوبة الزغب
لا الحب يطاولني
ولا تصل إلى الكراهية»(٤٨)

فهذا الهذيان المتعمد هو مايسعى أدونيس إلى جعله نموذجا للشعر الحق ومقياسا للشعرية، ناسفا بذلك علاقة الشاعر بالقضايا المصيرية لأمته، معطلاً دوره في تربية النفس الإنسانية على تقدير هذا الكون والسعي إلى الانسجام معه.. لأن الشعر، كما يصرح بذلك أدونيس نفسه، لا رسالة له، يقول(٤٩): «إن لغة الشعر لغة خلق لا لغة تعبير، والشاعر الخالق يصبح بمثابة ذات منسحبة من العالم، يكرسّ على هذا النحو بينها وبين القارئ غياب جميع الأفكار المشتركة». ويعلق الدكتور أحمد المعداوي على هذا قائلاً:(٥٠) «عندما يقول شاعر بهذا الحجم، مثل هذا الكلام، فإن ذلك لايعني شيئا سوى إلغاء دور القائد ومن ثم إلغاء الرسالة الشعرية. وإذا كان من حق الشاعر أن يلغي الرسالة الشعرية من مشروعه الشعري، فما الذي يمنع قارئ هذا الشعر ودارسه من إلغائها بدورهما؟».

إن أخطر تيار يهدد النموذج الحداثي هو التيار الإسلامي في الشعر لكونه يحمل رسالة شعرية جادة، ولكونه بذلك بديلاً أكيداً لشعر الحداثة الذي شبع موتا. وهنا يكمن سر هجوم أدونيس على الشعر الإسلامي بدءًا من جذوره: شعر الدعوة. فما خطورة هذا الهجوم؟ وما مصداقية هذا الشعر الذي «يبشر» به أدونيس؟ إن الفقرات السابقة كفيلة بإعطاء جواب منطقي وواقعي للقارئ المنصف.

الهوامش والمراجع

(١) ديوان أدونيس (١:٢٨٨).
(٢) الموشح (٧٩، ٨٣)
(٣) المشكاة ع (٨ ص٥) ١٩٨٨م.
(٤) الوساطة (١٨ - ١٩)
(٥) الشعر والشعراء (١:٢٢٤)
(٦) تاريخ الأدب العرب (العصر الإسلامي) (ص٨١)
(٧) أزمة القصيدة العربية، د.عبد العزيز المقالح (١٦٣ - ١٦٤) وانظر الرأي نفسه لدى د. عبدالقادر القط في كتابه (في الشعر الإسلامي والأموي) (ص١٣)
(٨) أزمة القصيدة العربية(١٦٥)
(٩) مقدمة ابن خلدون، (١٣٢٢)
(١٠) الثابت والمتحول (٢:١٠٤)
(١١) ديوان أدونيس (١: ٢٧٦ - ٢٧٧)
(١٢) نفسه (١:٢٩١)
(١٣) الثابت والمتحول (١:١٤٥)
(١٤) نفسه (١:٥٥)
(١٥) المشكاة ع٧: ٩-١٠ (١٩٨٧).
(١٦) قال تعالى: (بَلْ قالوا أَضْغاثُ أحلامٍ بل افتراه بل هو شاعر فَلْيَأْتِنا مآربه كما أُرْسِلَ الأولون) (الأنبياء:٥)
(١٧) في (السيرة النبوية) لابن هشام،(١:٢٧٠ـ٢٧١)
(١٨) أنظر ذلك في مجمع الأمثال (١:٧)
(١٩) الثابت والمتحول (١:١٥٥)
(٢٠) نفسه (١:١٦)
(٢١) الابن - في الإسلام - لاينال رضا الله تعالى إلا إذا كان براً بوالديه وعلى هذا المفهوم تبنى شخصية الأمة وحضارتها لا على القتل
(٢٢) الثابت والمتحول (٢: ١١٣ - ١١٥)
(٢٣) الديوان (١:٢٨٩)
(٢٤) الثابت والمتحول (٣:١٧٢)
(٢٥) نفسه (٣:١٧٨)
(٢٦) كما في أقصوصته (رماد الأجيال والنار الخالدة) المجموعة الكاملة العربية: ٤٧، وانظر مقدمة ميخائيل نعيمة لهذه المجموعة (٧، ٩).
(٢٧) الثابت والمتحول (٣:٢٠١)
(٢٨) نفسه (٣:١٦٣) والمجموعة الكاملة العربية/ المقدمة:١٩
(٢٩) نقلا عن الثابت والمتحول (٣:١٩١).
(٣٠) نفسه (٣:١٩٢)
(٣١) «أدونيس مستقاة من اللقب الكنعاني آدون أو الإله. وقد تبنى الإغريق عبادة إله الخصب وربطوها بأدونيس الذي قتله خنزير وحشي. وبالنسبة للسوريين فقد كان حيوانا مقدسا، وقد وقعت في غرامه أفروديت وبرسفونة آلهة الأرض والموتى. وفي بيبلوس يوجد معبد لعشتروت وعشيقها تموز المرادف لأدونيس. وكانوا يحتلفون سنويا بوفاة أدونيس وبعثه وعودته إلى الأرض، ومثلت عودته بزهوة شقائق النعمان» قاموس الأساطير:١٧
(٣٢) أدونيس منتحلا (١٦٣ - ١٦٤).
(٣٣) العلم - الملحق الثقافي - ١٢ آذار (مارس) ١٩٩٤ - ص٨.
(٣٤) أدونيس منتحلاً: (٣١)
(٣٥) NOUVEL OBSERVATEUR 7-3. FEVRI-ER1986 (أنظر الملحق).
(٣٦) نشر أدونيس مقالته في مجلة (الكفاح العربي) بيروت العدد ٤٠٠/ ١٥مارس (آذار) ١٩٨٦.
(٣٧) الوساطة (٦٤)
(٣٨) نفسه (٦٣)
(٣٩) المشكاة ع: ٧:٣
(٤٠) تعززت الساحة الأدبية بصدور مجلة الأدب الإسلامي، وهي مجلة فصيلة تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية (العدد الثاني منها صدر لشهور شوال ذي القعدة ذي الحجة ١٤١٤هـ/مارس أبريل مايو (اذار، نيسان،آيار) ١٩٩٤م
(٤١) المشكاة ع:١٠ - ٥٨ (١٩٨٩)
(٤٢) ثلاثية الغيب والشهادة،(٥، ٦)
(٤٣) السنبلة، (٨٢).
(٤٤) الأحجار الفوارة (٥٢ -٥٣).
(٤٥) واضح أن الشاعر هنا يستلهم قصة يوسف عليه السلام ولكن بتحويرها لصالح مقصديته، إذ لم يُبد أصلا أية مقاومة بخلاف يوسف عليه السلام. قال تعالى ﴿واستبقا البابَ وقدَّتْ قميصَهُ من دُبُرٍ﴾ (يوسف:٢٥)
(٤٦) بغض النظر عن كونها مقاييس صالحة أو غير صالحة بالمقارنة مع القديم، فما إلى تفضيل الجديد على القديم قصدت كما قد يفهم من «المعاصرة».
(٤٧) المنعطف: (٨٥). ع:٢ - ١٩٩٠م، من مقال للأستاذ محمد علي الرباوي بعنوان: (الأدب الإسلامي أدب غير ملتزم). ومصطلح (المسؤولية) كما ورد في المقال هو البديل الذي تقترحه أسرة تحرير مجلة المشكاة المغربية.
(٤٨) الهدى ، ع ١٦/١٧، ربيع الأول ١٤٠٨هـ، تشرين / أكتوبر١٩٨٧م (٤٢ - ٤٣) من مقال (الحداثة والتراث) للدكتور محمد مصطفى هدارة.
(٤٩) نقلا عن أزمة الحداثة ،د. أحمد المعداوي (ص١٤٨).
(٥٠) المرجع نفسه (ص١٤٨)

دور الأسرة في وقاية أبنائها من تعاطي المخدرات (٣)

العلاقات بين الوالدين والمراهقين

إعداد : د. تماضر حسون

اتضح من خلال الدراسة الميدانيةالتي قمنا بها عن انحراف الأحداث في الوطن العربي، إن طبيعة العلاقات السائدة بين المراهقين ووالديهم تعاني مأزمًا علائقيًا مهماً سببه الأساس يتمثل بعدم وجود خطوط واضحة ترسم العلاقة بين الطرفين، وتقوم على أسس سهلة الفهم والتطبيق يخدمها الطرفان.

إذ تبيّن أن غالبية الآباء لم يخططوا لبناء علاقات سليمة ترمي إلى مساعدة أبنائهم في مرحلة المراهقة كي يمارسوا حياة سليمة معافاة خالية من الانحرافات والأزمات والمشكلات وعلى رأسها تعاطي المخدرات.

إن أول مطلب لإقامة علاقات جيدة بين الطرفين يجب أن تقوم على الحوار بين الأهل والمراهقين، إذ تبيّن من خلال الدراسة المذكورة أن من أهم العناصر الضرورية لإيجاد علاقة أسرية مريحة وسليمة هو الحوار، ولكي يكون هناك حوار يجب أن تتوافر شروط الاستماع الجيد من الأهل والأبناء والعكس كذلك، وتعطل الحوار الإنساني بين العناصر التي تعيش تحت سقف واحد يشير إلى مأزم علائقي عميق يحمل في طياته بوادر اضطرابات سلوكية متنوعة، قد يكون تعاطي المخدرات في مقدمتها.

إن مايريده الأبناء من الآباء هو أن يسمع لهم، وأن يُهتم بهم بوصفهم أفراداً لهم ذوات إنسانية مستقلة، وأن يبتعد الآباء عن التسلط، وأن تُحترم أراؤهم، وأن يناقشوا ويحاوروا في أمورهم وأمور الأسرة، وأن يُشركوا باتخاذ القرارات الخاصة بهم وبالأسرة، وأن تحفظ حقوقهم في التعليم والصحة والغذاء والكساء والترفيه بما يتناسب مع أوضاع الأسرة المادية، وإذا لم يجد المراهقون من يسمع لهم ويهتم بهم في البيت، فهناك من يسمع لهم ويحترمهم خارجه وهنا قد تكون المصيبة إذا وقع المراهقون بأيد منحرفة.

أما مايريده الآباء من أبنائهم المراهقين، فهو باختصار حسن التصرف، واحترام الأهل، والعمل بآرائهم ونصائحهم وإرشاداتهم والاهتمام بمسؤولياتهم المدرسية والمنزلية، واحترام القانون والقيم والابتعاد عن شلل الأصدقاء.

إن الخطة (الاستراتيجية) الناجحة لبناء علاقات صحية بين الأهل والمراهقين، يجب أن ترمي إلى تجنب كلا الطرفين الأجواء الأسرية المحمومة، وذلك عن طريق مزيد من العقلانية في العلاقات، ورفع الحجر عن الطاقات الأساسية المكبوتة التي تعتبر الأساس في كل مأزق علائقي.

وحتى تكون الاتصالات العلائقية العاطفية والفكرية ناجحة يجب أن تكون سالكة في اتجاهين (الآباء الأبناء ، الأبناء الآباء) كي تتحقق عناصر الحوار البناء. أما الاتصال في اتجاه واحد فهو صيغة أقل مايمكن وصفها بأنها تعمل على إهمال وتغييب واضحين للطرف الآخر، وقتل لوجوده ووجدانه، وتجاهل جارح لكيانه وجرح عميق لنرجسيته.

إن الحوار الواعي داخل الأسرة عامة، وبين الآباء والأبناء المراهقين بخاصة؛ ضرورة حياتية لها وللصحة النفسية لعناصرها، وإذا انقطع هذا الحوار فإنه يصل بالأسرة إلى التفكك والتبعثر، ويوجد المناخ الملائم لانحراف المراهقين.

ولدى محاولة إرساء قواعد سليمة لإقامة علاقات بين الأهل والمراهقين، قائمة على الحوار الواعي والنقاش الهادف، لابد للأبوين من فهم ومعرفة خصائص المرحلة الحرجة من حياة الأبناءالتي يطلق عليهامصطلح المراهقة، ولكي يُفهم اصطلاح ما يسمى بالمراهقة يحتاج الأمر إلى التفريق بين مفهومين أساسيين، الطفولة، والبلوغ، والتعرف بفهم عميق للفروقات بينهما وهذا ما سيكون موضوع الحلقة التالية أي الرابعة بعون الله.

(يتبع الحلقة الرابعة)

قصة قصيرة

انتحار رجل ميت

فاروق حسان

في اللحظة التي طَرَقَ فيها الباب ، اكتنفه اعتقاد جازم بأنها سوف تُعنِّفه. ولم يكن ذلك الاعتقاد وليد ظروف طارئة، بل كانت تلك عادتها كل مساء. فما إن تفتح له الباب وتستقر قدماه على بلاط الصالة حتى تبدأ نوبة اللوم والتقريع، وكان دائمًا يتجاوز كل الإهانات، ويظل في مكانه دون حركة إلا النظر إلى مقدمة حذائه القديم.

ذات مرة قال لها: إنه (سيحاول) الإقلاع عن المخدرات، بيد أن تلك العبارة كانت تفتقر إلى الصدق رغم أنه كان يُقنع نفسه دائمًا بأنّ كل شيء سيكون في يوم ما على مايرام، وسيأتي الوقت الذي يقول لها وهو رافع الرأس:

- لقد انتهى كل شيء ولاداعي للمزيد من التفكير فيه.

كان ذلك هو حلمه المستحيل، فهو يدرك، بصورة حادة، أن المخدر قد تمكَّن منه إلى الحد الذي أصبحت معه حياته كلها معلقة بمجرد (شَمَّة) واحدة.

طرق الباب مَرة ثانية وهو يشعر بالانقباض. لم يكن للمخدر الذي يسري في جسده كله القدرة على التقليل من انقباضه. لقد لازمه ذلك الإحساس منذ الصباح، وقبل أن يحصل على النقود التي اشترى بها ذلك السم. بعدها فارقه، وهاهو يعاوده بعد أن طرق الباب مرة ثانية وثالثة دون أن يسمع وَقْعَ أقدامها وهي تقترب خلف الباب المغلق.

ولأول مرة يلاحظ من خلال زجاج الباب أن شقته مظلمة، وأن (لمبة) الصالة مطفأة على غير العادة. رفع حاجبيه في محاولة صادقة للفهم، ثم نظر إلى السُّلَّم ليتأكد من أن المخدر لم يغلبه ويجعله يطرق باب شقة أخرى.

شعر بالحيرة من كل ما يحيط به. تُرى: هل حل اليأس بالزوجة التعسة فآثرت الرحيل؟؟، وماذا عن الابن.. ابنه.. ذلك الشيء الشاحب الذي لم يتجاوز السنوات الخمس والذي يبدو كزهرة ترتعد .... هل ....

وحملت إليه تلك التساؤلات صداعًا شديدًا، وأحس بأنَّ شيئًا غامضًا لكنه شديد الإيلام يوشك أن يتم ويتحقق كلما مضى الوقت.

وعندما مَدَّ يده ليطرق الباب في محاولة أخيرة يائسة، شق السكون صرير باب مجاور يفتح، وبرزت منه عجوز مرهقة، سرعان ما انسال الكلام من بين أسنانها حتى أغرق المكان.

وبعينين خائفتين كان ينظر إلى التجويف الذي خرجت منه الحكاية، والتي كانت تثير الهلع والوجوم، ذلك لأنها خلت من أي شعاع للشمس، فقد حدث كل شيء في شارع كئيب، ولم يكن في وسع المرء أن يجد أية شخصية مبتسمة.

كم من الوقت ظلت العجوز تقذف الكلام الذي اخترق الأذنين وترك حفرًا عميقة في القلب؟؟. إنه لا يستطيع التحديد، فالساعة التي كانت تُزيِّنُ معصمه ذات يوم باعها مع الكثير الذي باعه منذ فُصِلَ من عمله. لكن المؤكد لو أن أحدًا رآه في تلك اللحظة وقد انحنى رأسه وتشابكت أصابعه فوق بطنه لظن أنه يصلي، لكنه كان ... يبكي.

جمعت العجوز أطراف شالها حول جسدها، وعندما أغلقت بابها خلفها شعر كأنه يسقط في قعر هوة بلا قرار، وهو في غمارها يهتز، يذوب، يتلاشى.

وفي آلية استدار، وتخطت قدماه الحفر المنتشرة على السلم بصورة ميكانيكية أوجبتها العادة. صفعه التيار البارد وهو يترنح أمام الباب الخارجي، بيد أنه كان واثقا من أن أحدا لايلحظه، وتبيَّن، وهو يسير، أن حركته لم تعد دقيقة محكمة، ولم يكن ذلك بالأمر الجديد عليه منذ أن أحاطت بعنقه أنشوطة الإدمان. ولم يُعر الأمر اهتمامًا، فليس للجسد أية أهمية طالما كان ذهنه صافيًا، يستوعب بشكل مُستغرب كل أحداث الظهيرة.

نعم .. إنه يذكر أنهم سألوه:

- هل كنت موجودًا لحظة الحادث؟

بالضبط .. كان ذلك هو نَصّ السؤال الذي وُجِّه إليه. والشيء الوحيد الذي كان مزعجًا في تلك اللحظة هو شعوره المخيف بحاجته إلى المخدر.

- نعم .. كنت أجلس بجوار السائق.

وتتابعت الصور. وكان من السهل عليه ترتيبها حتى أصبحت شيئًا منظورًا، إلا أن أبرزها كانت صورة الرجل السَّمين ذي الملابس الرسمية.

- جاء في أقوال السائق أن ...

وتوالت الأسئلة ...

كان واضحًا أن الأمر سيكون غاية في الدقة والتعقيد، ولا بد في معالجته من بذل

عناية خاصة ولم يكن ذلك بالشيء الجديد عليه، فقد سبق له في مرات عديدة أن جاؤوا به من المقهى ليقف في مثل هذا المكان تحوطه الملابس الرسمية ليدلي بشهادته في حادث ما، كان ضحيته شخص ما.

كانت تلك مهنته الجديدة.. مجرد شاهد زُور بعد أن فُصل من عمله لإدمانه المخدرات، وغيابه المتكرر، وتصرفاته اللامسؤولة مع العملاء.

الغريب، أنه في زمن قياسي تعلم كل حيل الخروج على القانون للحصول على النقود، يحميه من الموت أو السجن ذلك الاستعداد الخاص الذي يجعل القطط تسقط دائما من ارتفاع شاهق دون أن تصاب بسوء. وفي ذلك اليوم، لم يدر بذهن رجل الشرطة أنه حيال شاهد مأجور، كان وقت الحادث يجلس وسط زوبعة من الدخان في مقهى حقير بجوار مدمن مفلس. ولو دار ذلك الخاطر بذهنه لَضيَّق الخناق على الشاهد، ولسأله عن شكل الغلام القتيل وطول قامته ولون ملابسه، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث، وسار كل شيء في مجراه العادي، وخرجت الإجابة من فمه بطريقة طبيعية - نتيجة التمرس - مؤكدة أن السائق لم يخطئ، وأن الغلام هو الذي برز فجأة أمام السيارة من أحد المنحنيات الجانبية.

ومرت ساعة .. وانتهى سيل الأسئلة. وعندما راح يَوَقِّع على الأوراق لم يكن يشعر بالذنب بعد أن تبلدت مشاعره إلى حد أنه وجد في نفسه الجرأة على الابتسام.

وانتهى كل شيء، وغادر الغرفة ووجهه خال من أي تعبير. وهو يذكر الآن جيدا أنه أغلق الباب خلفه. وقد لايكون لإغلاق الباب معنى، إلا أنه فعلها حتى لا يستمع أحد إلى الحديث الهامس الذي دار بينه وبين الرجال الأربعة الذين كانوا في انتظاره، والذين لم يكن يعرف منهم سوى الرجل صاحب الوجه الحاد.. ولا يدري الآن لماذا ذكّره وجه هذا الرجل بأجزاء اللحم التي يبيعها القصابون ولا تصلح إلا طعاما للقطط والكلاب .

وهو يذكر أيضًا تلك المشادة الحادة بينه وبينهم عندما سلموه خمسين جنيهًا. كان عذرهم الذي يسوقونه على الدوام هو أنه لم يخسر شيئًا بإدلائه ببضعة أسطر تُنجي السائق من ظلام السجن، بيد أنهم كانوا مخطئين. لقد كان من المحتم عليه أن يحصل على مبلغ يزيد على الجنيهات الخمسين. فأسعار المخدر ترتفع بشكل جنوني، ومطالب أسرته الصغيرة لا تنتهي، ولا مصدر آخر للحصول على النقود.

كانت تلك هي الخطوط العريضة لأحداث اليوم، وإن كانت هناك ثمة سطور بيضاء تفصل بين الحوادث، فقد جاءت الجارة العجوز وملأتها بمداد حزين أسود، جعله يشعر بأنه يسقط في قعر هوة سحيقة، انتشرت فيها صرخات طفل لم يتجاوز الخامسة وهو يُسْلِم الروح مضرجًا بدمائه.

وببطء قادته قدماه من شارع إلى شارع، وصورة طفله تملأ الفراغ حوله. وعلى الجسر توقف وأخرج ما تبقى في جيبه من نقود. لاشك أنها كانت ستسأله عن مصدرها.. ترى أين هي الآن؟ لعلها تجلس دون فهم محدقة في ملابس وحيدها الذي داهمته سيارة مجنونة رحل بعدها إلى وديان الصمت.. كم كانت فرحته عندما سمع بكاءه لأول مرة.! لقد طاف بجميع أقاربه وأصدقائه وأخبرهم متهللاً بمقدمه.. قال: لقد رُزِقْت بغلام جميل.. قالها بحرارة وافتخار يوجبه الموقف.

وبوجه جامد خال من أي تعبير أفْلَتَ النقود من بين أصابعه، ثم صعد سور الجسر، ودون أن ينظر تحته ألقى بنفسه، وجرفه التيار وهو يتقلب حول نفسه متجهًا إلى القاع.

لم يعد يرى السماء ولا أغصان الشجر.

ثم شاهد ضوءًا ساطعًا ظن أنه ينبعث من منزل قريب على الشاطئ. بيد أنه كان مخطئًا، لأنه كان ضوءًا أزرق باهرًا أخذ يمتد حتى شمل العالم كله.





في تعليم اللغة :

قاعدة القراءة وقمتها

د. علي الخبتي

مع تقدم الأبحاث والدراسات وبالرغم من النتائج الإيجابية التي تم الوصول إليها فإن هناك نقصًا، وإن لم نقل عجزًا، في مجال تعليم القراءة في الفصل الدراسي في الوطن العربي نتيجة لعدم متابعة أبحاث القراءة ودراساتها. وأصبح البديل لهذا النقص أو العجز: إما الاجتهاد غير الموفق في تعليم القراءة الذي نتج عنه الفشل في إلصاق المتعلم بالكتاب وتعويده القراءة منذ صغره.. أو الاعتماد على نظريات قديمة منسوخة ممّا أدّى إلى النتيجة نفسها.. ولازال هناك الكثير من المعلمين الذين يعتمدون على النظرية السلوكية مثلا في تعليم القراءة، حيث يتم التركيز في تعليم القراءة على مركبات المادة المكتوبة COMPONENTS OF TEXT، وبعبارة أخرى ينصب التركيز على الجانب اللغوي في المادة المقروءة فقط دون أن يكون للقارئ تدخل في تعليم هذه المهارة، وتعامل هذه الطرق عقلية القارئ بوصفها مادة ساكنة مهمتها فقط تشرب هذه المعلومات.

كما يتم التركيز على مخارج الحروف وسلامة اللغة والإجابة عن أسئلة محددة وإعطاء إجابات محددة من قبل المعلم وعدم السماح للمتعلم بالاجتهاد في إعطاء الإجابات. وهذه الأساليب جميعها تغفل دور المتعلم نفسه الذي يجب أن يكون له دور أساس في تعليم القراءة دون إغفال النص المقروء بمعنى أن المبادئ الحديثة في تعليم القراءة توازن في توزيع التركيز بين النص والقارئ.. فلايطغى الاهتمام بجانب على الجانب الآخر، حيث يمثل النص قاعدة القراءة ويمثل إدراك القارئ قمتها. وتتم عملية القراءة بنجاح عن طريق التمازج بين ما يسوقه النص ومايتفاعل في ذهن القارئ من معلومات لها علاقة بهذا النص، ويكون النص قد استثارها بهدف الوصول إلى الاستيعاب الذي ينتج عنه تفسير هذا النص والوصول إلى المعنى. ويكون للمعلومات المخزونة في إدراك القارئ والتي لها علاقة بالموضوع دور كبير في هذا التفسير.

والنص الذي يتم التركيز عليه في طرق تعليم القراءة القديمة لايؤدي إلى تعليم القراءة، حيث يمثل هذا النص في الطرق الحديثة الأداة التي تستثير معلومات القارئ السابقة فقط، لأن النص عبارة عن رموز لغوية عديمة المعنى «القاعدة». وفي الطرق القديمة يقوم المعلم نفسه بتفسير النص للمتعلم وإعطائه المعنى جاهزًا، بمعنى أن المتعلم لايقرأ قراءة فعلية، فالمعلم يقرأ بالنيابة، وعملية التمازج بين القاعدة والقمة تتم بين النص وإدراك المعلم، ويتم هنا تعطيل إدراك المتعلم وقدراته. والمفروض أن يقوم النص أو لنقل تقوم الرموز اللغوية التي يمثلها النص، والتي قلنا إنها رموز مفرغة من المعنى من المفروض أن تقوم هذه الرموز باستثارة معلومات القارئ نفسه السابقة. وإذا تمت هذه الاستثارة التي تسمى القمة، فإن القارئ يقوم بتجميع المعلومات السابقة ذات العلاقة بالنص فقط من خزانة إدراكه الذي يحتوي على معلومات كثيرة ومتشعبة. ويجب أن تكون المعلومات التي تم تجميعها كافية حتى يتم التمازج بنجاح بين القمة والقاعدة، أي بين رموز النص وهذه المعلومات، لتقوم هذه المعلومات عن طريق هذا التمازج الذي يتم في إدراك القارئ بتفسير النص، فإذا لم يتم تجميع المعلومات ذات العلاقة بالنص، أو إذا تم تجميع معلومات سابقة غير كافية فإن إدراك القارئ سيفشل في إجراء عملية التمازج، وإذا لم يتم هذا التمازج فلن يتم الوصول إلى المعنى، وهنا يجب تدخل المعلم في عملية تعليم القراءة، حيث يقوم بالتأكد من أن جميع طلابه لديهم معلومات سابقة كافية عن الموضوع الذي يقرؤونه حتى ينجزوا بأنفسهم عملية القراءة، ولاينجزها هو بالنيابة عنهم كما يحدث الآن. وتدخله مهم لمعرفة مَنْ من طلابه لديه معلومات كافية ومن منهم ليست لديه معلومات سابقة كافية، ومَنْ منهم ليس لديه أية معلومات سابقة إطلاقًا فمن لديه معلومات كافية يقوم المعلم بتوجيه بعض الأسئلة له حتى يسمع زملاؤه إجاباته ليقوم من لديه معلومات غير كافية بتنشيط معلوماته وإضافة معلومات أخرى، وليقوم مَنْ ليست لديه معلومات أصلاً بالتزود بالمعلومات الضرورية التي يحتاج إليها لتفسير النص، حتى إذا ما تأكد المعلم أن جميع طلابه قد أخذوا كفايتهم من المعلومات عندها يسمح لهم بالبداية في قراءة النص.

تصوروا درسًا في القراءة لاتتم فيه هذه الخطوات، ويتم فيه عمل كل شيء من قبل المعلم بالنيابة عن الطلاب، هل نستطيع أن نقول إننا في مثل هذه الحالة نقوم بتدريس مادة القراءة على الوجه المطلوب؟

إذًا القاعدة تمثل النص الذي نعتبره رموزًا لغوية مفرغة من المعاني، والقمة معلومات القارئ السابقة ذات العلاقة بموضوع النص، حيث تقوم هذه الرموز اللغوية باستثارتها بهدف إعطاء معنى واضح للنص بمعنى أن تفسير النص ينطلق من إدراك القارئ عن طريق معلوماته السابقة لا من الرموز اللغوية في النص كما كان المعتقد في السابق.

وتحدثنا عن عملية التمازج بين القمة والقاعدة التي تتم في ذهن القارئ، وهي عملية إدراكية متقدمة جدًا يتم بواسطتها إحداث فراغات معرفية يتم ملؤها عن طريق القراءة. وكان المعتقد في السابق أن القارئ يقوم باستيعاب كل مافي النص من معلومات، وهذا اعتقاد خاطئ، فلايمكن بأي حال من الأحوال إتمام هذه العملية، لأن ذلك يعني أننا نقرأ نصًا جديدًا لايوجد في أذهاننا خلفية عنه، تماما كما يقرأ المتخصص في الأدب نصًا في الطب. في هذه الحالة تكون هناك قاعدة من دون قمة، فلاتتم عملية التمازج ولا تكون هناك فراغات معرفية، وبالتالي لاتتم عملية القراءة أصلاً.. وعندما قلت إنه من الضروري أن يقوم المعلم بتزويد طلابه بالمعلومات السابقة عن الموضوع.. فإن ذلك يعني أن يقوم المعلم في هذه العملية بتجهيز الفراغات المعرفية لدى طلابه، ليتم ملؤها بعد إتمام عملية التمازج بين القاعدة والقمة..

ولاننسى أن ننوه بأهمية اختيار النص للطلاب.. فلانختار نصًا صعبًا على مدارك الطلاب. لذا يجب تحقيق المعادلة (أ+١) ؛ حيث تمثل (أ) مستوى الطلاب الحالي والرقم (١) يمثل مستوى النص الذي يجب أن يكون أعلى من مستوى الطلاب بمرحلة واحدة يتم قفز الطلاب إليها بسهولة ويسر.. فإذا كان مستوى النص أعلى من مستوى الطلاب بمراحل عديدة كان من الصعب عليهم الوصول إليه وفهمه.

دائرة المعارف

من أعلام «... ويه»

إعداد :
صالح العود

(أ)

أمير وَيْه (ابن) (٤٥٧ - ٥٤٣هـ / ١١٤٩م)

عبدالرحمن بن محمد بن أميرويه الكرْماني، أبو الفضل، فقيه حنفي انتهت إليه رئاسة المذهب بخراسان، وُلد بكَرْمان ومات بمَرْوْ.

من كتبه «التجريد» في الفقه، و«شرح الجامع الكبير»، و «الفتاوى».

(ب)

بَابَوَيْه (٣٠٦ - ٣٨١هـ / ٩١٨ - ٩٩١م)

محمد بن علي بن موسى بَابَوَيْه القُمِّي، محدّث ويُعْرف بالشيخ الصدوق. نزل بالرَّيْ، وذاع صيته بخراسان، ومات ودفن بالري. وصنف نحو ثلاثمائة كتاب، منها: «معاني الأخبار»، و«الأمالي» ويعرف بالمجالس، ولعله: «مجالس المواعظ في الحديث»، «المصابيح».

(ت)

تِيرَوَيْه (٦٨ - ١٤٢هـ/٦٨٧ - ٧٦٠م)

حُمَيد بن أبي حُميد الطويل، أبو عبيدة الخزاعي البصري: تابعي، من أهل الحديث. كان أبوه مولى لطلحة الطلَحَات. واختلفوا في اسمه، لكنّ الحافظ الذهبي رجّح أنه «تِيرَوَيْه». مات وهو قائم يُصَلّي. له. «صحيفة حميد الطويل».

(ج)

جَحْشَوَيْه

عبدالوهاب بن عامر، ويقال عبدالصمد، يُكَنّى أبا البكاء. قال المَرْزباني: كان يصف نفسه في شعره بـ الابنة.

(ح)

حَمُّوَيَة (ابن)‹١› (٥٧٢ - ٦٤٢هـ/ ١١٧٧ - ١٢٤٤م)

عبدالله بن عمر بن محمد بن حَمُّوْيَة الجُوَيْني السرخسي، ويُسمّى بعبد السلام أبو محمد تاج الدين. مؤرخ باحث. أصله من خراسان؛ وكان شيخ الشيوخ بدمشق. وُلد وتوفي فيها.

من كتبه «المسالك والممالك» و«المؤنس في أصول الأشياء» ٨مج و«عطف الذيل» في التاريخ.

حَمُّوَيَة (ابن) (٤٤٩ - ٥٣٠=١٠٥٧ - ١١٣٥م)

محمد بن حَمّويَة الجويني، قرأ الفقه

والأصولين على إمام الحرمين الجويني، ثم انقطع إلى العلم.

كان ورعًا، يزوره الملوك وهو لايقصدهم، ولايقبل صِلاتهم. له: «لطائف الأذهان في تفسير القرآن» و«سلوة الطالبين في سير سيد المرسلين» وغيرهما.

حَمُّوية (ابن) (٥٨٢ - ٦٤٧هـ = ١١٨٦ - ١٢٥٠م)

يوسف (فخر الدين) بن محمد (صدر الدين) بن عمر الجويني، أبو المظفر، ولد وتوفي بدمشق.

قائد من الأدباء. خدم الملك الكامل وغيره من المماليك، وجاهد ضد الفرنجة وقتل شهيدا. له: «تقويم النديم وعقبى النعيم المقيم».

(خ)

خَالَوَيْه (ابن) (... - ٣٧٠هـ = ... - ٩٨٠م)

الحسين بن أحمد بن خَالَوَيْه. أصله من همذان دَرَس القرآن والحديث، وأخذ عن ابن دريد ونفطويه وابن الأنباري والسيرافي وغيرهم. أمْلَى الحديث، وأدّب أبناء سيف الدولة الحمداني. أقام بحلب ومات فيها. ألّف في موضوعات شتّى: «أسماء الأسد»، «المذكر والمؤنث»، «البديع»، «إعراب ثلاثين سورة»، «ليس في كلام العرب»، «المقصور والممدود»

(د)

دُرُسْتَوَيْه (ابن) (٢٥٨ - ٣٤٧هـ = ٨٧١ - ٩٥٨م)

أبو محمد عبدالله جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه، لُغَوي: أخذ علوم اللغة على مشاهير أدباء عصره كابن قتيبة، والمبرّد. وأبوه من كبار المحدّثين، وممن تتلمذ عليه: الحفاظ الدارقطني. له مؤلفات رائعة، منها: «شرح فصيح ثعلب» و«أخبار النحويين» و«الكُتّاب»، و«نقض كتاب العين» للخليل..

(ر)

رَاهَوَيْه (١٦١ - ٢٣٨هـ = ٧٧٨ - ٨٥٣م)

إسحاق بن إبراهيم بن رَاهَوْيه المروزي أبو يعقوب. طاف في البلدان لجمع الحديث، وممّن أخذ عنهم: الشافعي؛ وممّن روَوْا عنه: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل، ثم استوطن نيسابور فصار شيخ المحدثين فيها.

كان قوي الحفظ، وفي ذلك يقول عن نفسه: «أحفظ سبعين ألف حديث، وأذاكر بمائة ألف حديث؛ وما سمعت شيئا قط إلا حفظته ولا حفظت شيئا قط فنسيته».

(ز)

زَنْجَوَيْه (... - ٢٥١هـ = ... - ٨٦٥م)

حَميد بن مخلد زَنْجَوَيْه بن قتيبة الأزدي النَّسائي من حفّاظ الحديث. أظهر السُنّة في «نَسَا». له مولفات منها: «الآداب النبوية» و «الترغيب والترهيب»

(س)

سِيبَوَيْه (١٤٨ - ١٨٠هـ = ٧٦٥ - ٧٩٦م)

عَمْرُو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو البشر، الملقب «سِيبَوَيْه» إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى سيزار، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. صنّف كتابه المسمى: «كتاب سيبويه» ط. توفي شابا بالأهواز. ومعنى «سيبويه»: بالفارسية: رائحة التفاح.

(ش)

شِيرَوَيْه (٤٤٥ - ٥٠٩هـ = 1053 - ١١١٥م)

شِيرَوَيْه بن شهر دار بن شيرويه بن فناخسرو أبو شجاع الديلمي الهمذاني: مؤرخ، ومن العلماء بالحديث. له: «فردوس الأخبار» و«رياض الأنس لعقلاء الإنس» وهو في معرفة أحوال النبي صلى

الله عليه وسلم وتاريخ الخلفاء. و«تاريخ همذان» بلده.

(ع)

عَبْدَوَيْه (... - بعد ٢١٦ هـ = - بعد ٨٣١م)

عَبْدَوَيْه بن جَبَلة، من قواد بني العباس، أصله من الأبناء. كان أكثر عمله في مصر. وَلِيَ شرطتها في إمارة عبدالله بن طاهر سنة ٢١٠هـ، ثم وَلي إمارتها في أول سنة ٢١٥هـ بالنيابة عن «المعتصم» حين كان واليا لعهد المأمون وأميرا على مصر، واستمر سنة واحدة عاد في خلالها بعض أهل الحوف من القيسية واليمانية إلى الثورة، وقاتلهم عبدويه إلى أن صرف عن الإمارة.

(غ)

غَنَوَيْه (... - ٢٠٠هـ = ٨١٦م)

عبدالله بن الفضل بن سفيان بن منجوف غَنَوَيْه السدوسي، أبو محمد. نَسَّابة. إخباري. رَوَى عن أبي عبيدة. له من الكتب: «المآثر والأنساب في الأيام»

(م)

مِسْكَوَيْه (... - ٤٢١هـ = ... - ١٠٣٠م)

أحمد بن محمد بن يعقوب مِسْكَوَيه، أبو علي.. أصله من الرّي، وكان مجوسيا ثم أسلم. اشتغل بالفلسفة والمنطق مدة، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء. خَدَم ابن العميد ووَلِي أمر مكتبته، ثم مكتبة عضد الدولة ابن بويه فلقب بالخازن. له مصنفات عديدة، منها في التاريخ: «تجارب الأمم» وفي الأدب «آداب العرب والفرس» وفي الفلسفة «تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراف».. الخ ومعنى «مِسْكَوَيْه» بالفارسية: رائحة المسك.

(ن)

نِفْطَوَيْه (٢٤٤ - ٣٢٣هـ = ٨٥٨ - ٩٣٥م)

ابراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، أبو عبدالله، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة. إمام في النحو، وكان فقيها، رأسًا في مذهب داود، مسندا في الحديث ثقة. قال الحافظ بن حجر: «جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة ووفيات الأعيان مع المروءة والفتوّة والظرف»

له عدة كتب منها: «كتاب التاريخ» و«غريب القرآن» وكتاب «الوزراء» و«أمثال القرآن».

(هـ)

هِنْدَوَيْه (ابن) (٤٤٠ - ٥٠٧هـ = ١٠٤٨ - ١١١٣م)

محمد بن الحسن بن الحسين، أبو عبدالله بن أبي نصر. فارسي الأصل.. باحث.. قال عنه الإمام السبكي: «له مجموعات وتواليف وتواريخ. اشتهر ببغداد. ودفن بها عند قبر ابن سريع».

(ى)

يَفْدِيدَ وَيْه

محمد بن يَفْدِيدَوَيْه الْهَرَوي - صَحَابي.. ترجم له الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة» برقم [٧٨٠٥] جـ ٩ ص١٣٤ - وخرّج له بعض أحاديث. منها حديث «حَارَبْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم في شِرْكِي ثُمَّ اسْلَمْتُ عَلَى يَدَي رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَسَمَّانِي مُحَمَّدًا».

الهوامش والمراجع :

(١) هو بناء منقوطة وقد آثرنا إبقاء هذه الأعلام لأنها تشبه ما آخره: وَيْه وقد يسبق إلى الذهن أنها من هذه الأسماء

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني ط مصر-/١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م
(٣) الأعلام/ خير الدين الزركلي ط. بيروت ١٩٨٦/٧م
(٤) القاموس الإسلامي/ أحمد عطية الله ط.مصر/ ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م
(٥) معجم مصنفي الكتب العربية/ عمر رضا كحالة ط. بيروت ١٤٠٦/١هـ = ١٩٨٦م
(٦) الموسوعة العربية الميسرة ط. بيروت المصورة.
(٧) نزهة الألباب في الألقاب/ لابن حجر ط. بيروت الأولى/١٤١١ - ١٩٩١م.

أمي .. وأمك .. في منشئهما !!

شعر

رمضان عبدالمقصود أبو غالية



قد شئتَ يارب ، أُمي .. بعْدَ قُوتَّها ... ضعيفة .. شيبها يمضي به الغِيَرُ

والضعف والشيب منطلقان .. مابرحا ... يستدعيان الذي يحنو، وينتصر

يستدعيان بنيها .. من أحق بها ... في هذه السن؟! من يسعى؟! ومن يَفِرُ ؟!

هم (خمسةٌ) ..أحفَدوُا .. هل يتركون لهم ... أما، على الضَّعْفِ تكبو، وهي تنحدرُ ؟!

من ثم يدعوك يا (إنسانُ) موقفُها ... في قوةٍ: أن تقدَّمْ؛ أنت تُختبرُ !

هل ودَّ (موسى)، وأضحى في معيَّتِهِ ... غيرُ امرىء .. أمُّه .. في ضعفها قدرُ ؟!

إذ قال : يارب ، هل عبدٌ يشاركني ... نُزلي لديك؟! وهل في شأنه خبرُ ؟!

قال: اعْلَمَنْ يا (كليمي)، أنَّ منزلةً ... بُلغتها، قد ثوى في روضها.. ذكرُ

.. اذهبْ إليه - إذا مارمت تعرفه - ... في بلدة.. دونها .. يستكلب الخطرُ!

ماكان منه .. وقد شاقته تزكية ... للعبد، من ربه .. أنْ شده السفر

يرجو به أن يرى أسباب صحبته ... ذاك الذي قال عنه الله: لايذَرُ !

ماذا رأى، بعد أن أضنته رحلتُه ... في ذلك العهد، والترحال مُعتبرُ ؟!

ألفى امرأً.. في مقيظ الشمس.. محتملا ... أما، عجوزاً، تولى أمرها الكِبرُ !

حتى إذا فاء .. أرجَلَها، على مهلِ ... واستعتب الأرض، حتى فاتها الوضرُ

فارتاح بالأم .. ثم انكبَّ يطعمها ... في رحمة ، ثم يسقيها ، ويصطبرُ !

بالطفه، وهْو.. في رفق.. يزيل لها ... ماقد علا شدقها، والحب ينهمرُ !!

والنوم.. من بعدُ.. يأتي، والفتى كلفٌ ... بالحر .. عن أمه .. يُقصى، ويزدجرُ

ماذا ترى من (كليم الله) ؟! أنت معي ... في أنه قال: حسبي ، وهو يفتخرُ !!

هذي هي الأم.. في شرع الذين مضوا ... هل بات في شرعنا .. ذا الدور يُحتقرُ

و (البر) قد قال في (قرآنه): «وقضى..» ... و (المصطفى) كم لها قد قال ! فادّكروا ..

.. يامن لأم لكم أدركتمو، وخذوا ... فيها، ثوابا .. به الجنات والنَّهَرُ !!

لا، والذي هيمن الإسلام.. يوم أتى ... لن تُظلم الأمُّ، أمّي، وهي تُحتضرُ !!

الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني

د. حلمي محمد القاعود

يعد نجيب الكيلاني (١٩٣١ - ١٩٩٥م) الروائي الإسلامي الأول في اللغة العربية، حيث قدم للمكتبة العربية عددا هائلا من الروايات والقصص القصيرة، وهي غالبا محكومة بالتصور الإسلامي وصادرة عنه، ومن خلال هذا الإنتاج القصصي الغزير استطاع أن يقدم النموذج الإسلامي في الرواية والقصة وقد مر إنتاجه الأدبي الروائي بمراحل ومستويات عدة يمكن أن نضعها في أربعة إطارات:

الإطار الأول: ويمثل الرواية الواقعية الرومانسية، ويضم العديد من رواياته، وقد عبر من خلالها عن هموم الناس والعلل الاجتماعية المتفشية بينهم، مثل الفقر والجهل والأمراض المتوطنة والسلبية والتخلف، ومزج ذلك بالعواطف المشبوبة والخيالات الحالمة والآمال المجنحة، ويمكن أن نرى أمثلة على ذلك في رواياته: الطريق الطويل، والربيع العاصف، الذين يحترقون، في الظلام، عذراء القرية، حمامة سلام، طلائع الفجر، ابتسامة في قلب الشيطان، ليل العبيد، حكاية جاد الله.

الإطار الثاني: ويمثل الرواية التاريخية، التي تستلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، وقد استدعى التاريخ واستلهمه ليقدم النماذج الإنسانية المشرفة في حضارتنا، ويرصد جهاد الآباء في شتى جوانب الحياة، دفاعا عن الدين وسعيا لتأسيس مجد غير مسبوق، وفي بعض الأحيان كان يستدعي التاريخ ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمة بالإحباط واليأس، ويوقظ به الأمل في نفوس الأجيال الجديدة من طريق إحياء الهمة وبعث العزيمة وخلق الإصرار، وفي كل الأحوال، فإن استلهام التاريخ في الرواية عند نجيب الكيلاني كان إبرازا لمعطيات الإسلام العظيمة، وإمكاناته الهائلة في تحويل الإنسان المسلم إلى صانع حضارة وباني مجد وجندي ظافر في معاركه ضد الشر والتوحش، ويمكن أن نجد عددا كبيرا من رواياته التي عبرت عن ذلك .(١)

الإطار الثالث: ويمثل الرواية التي يمكن تسميتها بالرواية الاستشراقية التي عبر فيها عن هموم المسلمين خارج حدود العالم العربي (دول آسيا الوسطى التي كانت أو مازالت تحت الستار الحديدي الشيوعي في الاتحاد السوفياتي والصين - أثيوبيا - إندونيسيا - نيجيريا)، واستطاع أن يكشف للعالم مأساة دامية أصابت ملايين المسلمين المنسيين الذين لا يتحدث عنهم أحد إلا نادرا، ولا يعرف عنهم المسلمون في العالم العربي إلا القليل. وفي الوقت ذاته توقع انتصارهم وتحررهم، وهو ما حدث بالفعل في أكثر من مكان وبخاصة في الدول الإسلامية التي استقلت أو تحاول الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وتعد رواياته : ليالي تركستان - الظل الأسود، عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال، من أشهر رواياته في هذا الإطار.

الإطار الرابع: ويمثل الرواية عند نجيب الكيلاني في المرحلة الراهنة، وهي التي نطلق عليها الواقعية الإسلامية، ويعبر فيها عن القضايا الاجتماعية التي تهم جموع المستضعفين في الوطن، ويبرز ما يلقاه الناس من ظلم وقهر واضطهاد، ويتخذ من تفاصيل الحياة اليومية والاجتماعية عناصر أساسية، يرتكز عليها في بناء هذه الروايات، وأيضا فإنه يطرح عبر سطورها رؤية الجيل الجديد للأحداث، وموقفه من قضايا الحرية والعدل والأمن الرخاء والمستقبل، وتعد رواياته الأربع أو رباعيته التي أنتجها على مدى عامين تقريبا، ونشرت على مدى شهور متقاربة، وهي: اعترافات عبد المتجلي، امرأة عبد المتجلي، قضية أبو الفتوح الشرقاوي، ملكة العنب(٢) ، من أفضل النماذج وأبرزها في الدلالة على هذا الإطار، وهي موضوع دراستنا.

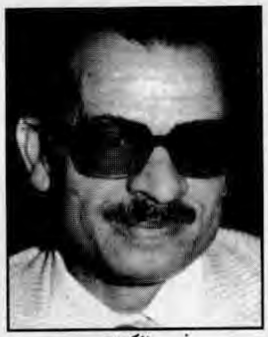
والواقعية الإسلامية تختلف بالضرورة عن الواقعية الأوربية (الانتقادية والطبيعية)، والواقعية الاشتراكية (الماركسية)، وإن كانت هنالك أسس موضوعية وفنية قد تجمع بينها جميعا.

فالواقعية الأوربية واقعية نقدية تعنى بوصف التجربة كما هي، حتى لو كانت تدعو إلى تشاؤم عميق لا أمل فيه، في حين تحتم الواقعية الاشتراكية أن يبث الكاتب في تصويره للشر دواعي الأمل في التخلص منه فتحا لمنافذ التفاؤل حتى في أحلك المواقف، ولو أدى إلى تزييف الموقف بعض الشيء(٣).

أما الواقعية الإسلامية، فإنها - مع انتقادها للواقع - تنطلق في انتقادها من التصور الإسلامي الذي يكون دائما منصفا، فلا يبالغ ولا يهوّل، أيضا لا يتحامل بسبب المغايرة في الانتماء، ولا يجند الصراع بين الطبقات كما يبتغي الواقعيون الاشتراكيون، فضلا عن أن الأمل في الواقعية الإسلامية، هو أمل إيماني يقوم على أساس نصرة الله في كل الأحوال، حياة وموتا. إنها باختصار ترفض التشاؤم كما ترفض التفاؤل الذي يقوم على الخداع أو التزييف، ثم إنها تستقي مادتها من الحياة الاجتماعية، ومشكلات العصر على إطلاقها، وتختار شخوصها من عامة المجتمع وجميع طبقاته، لأنها تعتقد بأن الخير والشر ليسا قاصرين على طبقة بعينها، ولكنهما موجودان في النفس البشرية، أيا كانت طبقتها أو انتماؤها الطبقي، وأن الإنسان يمكن أن يكون خيرا أو شريرا وفقا لاختياره، وعوامل أخرى مؤثرة في هذا الاختيار من قبيل التربية والتوجيه والقدوة والظروف المحيطة..إلخ، لذا فإن الطبقة ليست هي العنصر الحاسم في الصرع بين الخير والشر، وإنما الإدارة الفردية ومكوناتها .. وهو ما يتسق مع التصور الإسلامي: ﴿فألهمها فجورها وتقواها. قد أفلح من زكاها. وقد خاب من دساها﴾ (الشمس :٨ -١٠).

وإذا كانت الواقعية الانتقادية والواقعية الاشتراكية توجهان سهام نقدهما للطبقة الوسطى (البرجوازية) لأنها ظلمت الطبقة الدنيا، وأنزلت بها أسوأ أنواع القهر والغبن، عندما وصلت إلى السلطة (٤)، فإن الواقعية الإسلامية، ومن خلال روايات نجيب الكيلاني، تنتقد الفئة الظالمة والأفراد الظالمين أيا كان انتماؤهم، إلى الطبقة العليا أو الطبقة الوسطى (الحكام - الضباط - رجال الأعمال)، وهناك من يوجه إليهم الانتقاد من الطبقة الدنيا (العمال، الفلاحون، صغار التجار) وهكذا فالشر موجود في كل الطبقات، والخير أيضا.

والواقعية الإسلامية أيضا من هذا المنطلق تمثل الصياغة الفكرية والتطبيقية لمفهوم الأدب الإسلامي، في صورته المقبولة والمؤثرة في مجال الرواية والقصة على وجه الخصوص،



نجيب الكيلاني

حيث تحقق الغاية الخلقية والفنية لعملية الإبداع الأدبي، وإذا كانت بعض التيارات الأدبية تعارض أن يكون للأدب غاية خلقية، فإن الواقعية الإسلامية لا يمكنها أن تتخلى عن هذه الغاية التي ألح عليها كثيرون في الماضي والحاضر. لقد أكد أوسكار وايلد على الرسالة الخلقية للفن بالمعنى الواسع، وتعني هذه الرسالة لديه: مساعدتنا على فهم الحياة، وقد آمن بهذه الرسالة أفلاطون وأرسطو من قبل، ثم مونتاني وموليير من الفرنسيين، وبن جونسون ودكتور جونسون من الإنجليز(٥)

إن التعبير عن هموم المظلومين والمقهورين والمستضعفين من عامة الناس يمثّل لب الرسالة الخلقية للواقعية الإسلامية، وهو ما ألح عليه كثيرا، أدب نجيب الكيلاني بعامة، ورواياته بخاصة، فالطبقة الدنيا المظلومة المقهورة المستضعفة، حاضرة في روايته حضوراً مستمرا دائما، ونماذج المظلومين والمقهورين والمستضعفين تملأ صفحات كثيرة في أدبه، إلى جانب الاهتمام أيضا بالنماذج العادلة والقوية والظافرة وفق المفهوم الإسلامي. وهذا الاهتمام بقضايا المجتمع من خلال هذه النماذج أو تلك يأتي استجابة لتوجيه إسلامي كي نهتم بأمور المسلمين اليومية والاجتماعية(٦).

ولعل اهتمام نجيب الكيلاني بحياة الفلاحين في القرية المصرية ومايجري لهم، وأيضا تعبيره عن بسطاء المدينة وما يعانونه، يمثل ملامح استجابته للتوجيه الإسلامي بالاهتمام بأمور المسلمين الذي يترجم عنه في واقعيته ذات الرسالة الخلقية، واذا أضفنا إلى ذلك تصديه بالانتقاد للفئة المتحكمة وفساد رجالها والمحيطين بها، وأيضا انتقاده لانحراف الأفراد من العامة مع بيان سبب هذا الانحراف فإن الصورة تكتمل في أذهاننا لأسلوب ومنهج الأدب الإسلامي في معالجة هموم المجتمع وقضايا الأمة ومشكلاتها.

ومن الجدير بالذكر أن نجيب الكيلاني بذل جهدا تنظيريا مهما في هذا السياق، للتعريف بمفهوم الأدب الإسلامي وأبعاده، في عدد من الكتب والبحوث المنشورة، أهمها كتابان، أولهما «الإسلامية والمذاهب الأدبية»، وثانيهما «مدخل إلى الأدب الإسلامي»(٧)، وفيهما يوضح علاقة الأدب بالدين، ومفهوم الالتزام الإسلامي في الأدب، ويقارن بين المذاهب الأدبية السائدة، ويعرض لمناقشة بعض القضايا التي تتعلق بالأدب الإسلامي، وتثير العديد من التساؤلات، سواء من المؤيدين للأدب الإسلامي أو المعارضين، مع إشارة لبعض الأدباء الإسلاميين في العصر الحديث أمثال: أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، ومصطفى صادق الرافعي، وأحمد محرم، وتقديم نماذج معقولة للأدب الإسلامي كما ركز على الدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية الفصحى في الكتابة والتعبير بوصفها البيان الأدبي الأرقى للأسلوب.

إن كفاح نجيب الكيلاني لتقديم الرواية أو القصة الإسلامية، يمثل انعطافة كبيرة في مسيرة الأدب الإسلامي، ليس في مواجهة أعدائه فحسب، بل في مواجهة بعض ضيقي الأفق الذين يرون في الأدب عموما ترفا يجب أن يترفع عنه المسلمون، وما علموا أن العلاقة بين الأدب والدين علاقة حميمة، أو كما صورها هنري برجسون بأنها علاقة نسب، عندما قال: إن الفن ابن الدين(٨). ونسوا أو تناسوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستجيد الشعر ويستنشده، وكان يحث حسانا على استخدام شعره في معركته ضد المشركين، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعد أول ذواقة للشعر وناقد له من الخلفاء الراشدين.

ومهما يكن من أمر، فإن دخول نجيب الكيلاني إلى مجال الواقعية الإسلامية في الرواية، يعد نقلة أكثر تطورا وعمقا؛ لأنه يواجه المجتمع بمشكلاته المزمنة والمؤرقة مواجهة جادة ملتزمة، مع ماقد تجره عليه هذه المواجهة من متاعب شخصية واجتماعية تَعَوَّد عليها منذ مطلع شبابه.

ثمة ملمح أخير تختلف فيه الواقعية الإسلامية عن الواقعية الانتقادية والواقعية الإشتراكية، وهو الناحية الأسلوبية، فالواقعيون - بعامة - لا يحبون المبالغة في العناية بالأسلوب، لأنه وسيلة لاغاية، والأهمية كلها للمنطق، وللطريقة التي تسود ترتيب الأحداث والتعبير عنها(٩).

والواقعية الإسلامية - فيما أتصور - تحرص على الأسلوب وتعنى به، لأنه يمثل - بطريقة ما - عناية باللغة وارتقاءً بها، وسموا ببيانها، وهو مايعني في حقيقة الأمر، الحرص على قيمة جمالية كبرى من قيم البيان العربي. ولعل التفوق الأسلوبي لدى بعض المشاهير، كان سبب شهرتهم في المجال الروائي، سواء كانوا مخلصين للواقعية الانتقادية أو الواقعية الاشتراكية أو الرومانسية أو غيرها، بدءا من مصطفى لطفي المنفلوطي حتى نجيب محفوظ، مرورا بآخرين من أمثال علي الجارم، محمد فريد أبو حديد، محمد سعيد العريان، محمد عبد الحليم عبد الله، عبد الحميد جودة السحار، فتحي غانم.

وقد اهتم نجيب الكيلاني بأسلوبه الروائي، الذي تحدثنا عنه في موضع آخر، اهتماما كبيرا، ولعل ذلك يرجع إلى كونه شاعرا أيضا، يملك القدرة على الأداء اللغوي الجيد كما يملك معجما غزيرا يتيح له فرصة التعبير الدقيق والمتسامي عن مختلف المشاعر والأحاسيس، والصور والمشاهد.

يبقى بعدئذ، أن نشير إلى أن الواقعية الإسلامية عند نجيب الكيلاني، تظل وفية للقضايا الإنسانية الكبرى التي تعني الإنسان المسلم في حاضره ومستقبله، وتترفع في الوقت ذاته عن القضايا المبتذلة والرخيصة التي تتسافل به أو تهبط به إلى دَرَكِ الحيوانية حيث تبحث عن الإشباع البيولوجي وحسب.

الهوامش:

(١) مثل : نور الله، قاتل حمزة، أرض الأنبياء، دم لفطير صهيون، مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر)، اليوم الموعود، النداء الخالد، أرض الأشواق، رأس الشيطان، عمر يظهر في القدس، رمضان حبيبي.

(٢) أشار الكاتب في نهاية الرواية الرابعة (ملكة العنب) إلى أنه أتمها في السابع من صفر ١٤١٢هـ الموافق ١٧ أغسطس ١٩٩١م، وكان قد أشار في آخر رواية (امرأة عبد المتجلي) إلى إتمامها في ١٧٧٠/٧/٢٥م، مما يعني أن كتابة الروايات الأربع استغرق سنتين تقريبا، وقد نشرت الأولى (اعترافات عبد المتجلي) عن مؤسسة الرسالة، بيروت، عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. أما الثانية والثالثة (امرأة عبد المتجلي، وقضية أبو الفتوح الشرقاوي) فقد صدرتا عن المؤسسة ذاتها عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م . كما نشرت الرواية الرابعة (ملكة العنب)، عن دار ابن حزم، بيروت، في العام نفسه. أي إن الروايات الأربع نشرت جميعا في عام هجري واحد هو عام ١٤١٢هـ، وترجع سرعة الإنتاج والنشر إلى تفرغ الكاتب للكتابة بعد إحالته على التقاعد عام ١٩٩١م، واستقراره في قريته شرشابة غربية.

(٣) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص٣٨١، وانظر : عبد الباسط بدر، مذاهب الأدب الغربي - رؤية إسلامية، منشورات لجنة مكتبة البيت وشركة الشعاع للنشر، الكويت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ص٥٤.

(٤) الأدب المقارن، ٣٧٧

(٥) محمود حامد شوكت، مقومات القصة العربية الحديثة في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م،ص١٤

(٦) انظر: مذاهب الأدب الغربي - رؤية إسلامية،٥٩

(٧) صدر الكتاب الأول عن مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، وصدر الثاني ضمن سلسلة كتاب الأمة الذي تصدره دولة قطر عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، وكان رقمه في السلسة"١٤"

(٨) انظر: علي عزت بيجوفيتش، الإسلام بين الشرق والغرب، مجلة النور ومؤسسة بافاريا، الكويت - ألمانيا، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٤٨.

(٩) الأدب المقارن، ٣٨٠.

الحركة الثقافية في شهر

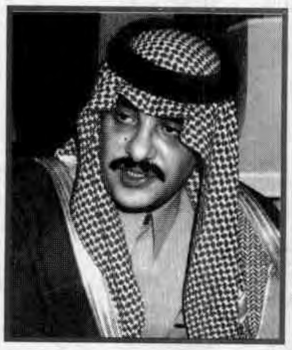
خالد الفيصل يقيم معرضه التشكيلي الثالث بجدة

إحياء مدرسة المترجمين في طليطلة

جامعة القاهرة تقيم مؤتمراً عن اللغة الإسبانية وآدابها

مؤتمر دولي للكتاب الإلكتروني في لندن

السعودية


الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز


الأمير فهد بن سلطان بن عبد العزيز

افتتاح نادي تبوك الأدبي

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز أمير منطقة تبوك في الشهر الماضي نادي تبوك الأدبي في مقره المؤقت، بحضور مسؤولي المنطقة ومجموعة من الأدباء والمثقفين.

وفي كلمة ألقاها بهذه المناسبة وجّه رئيس النادي بالنيابة محمد عمر عرفة الشكر لصاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب على موافقته على إنشاء النادي، وللأمير فهد بن سلطان بن عبدالعزيز على دعمه لجهود إنشاء النادي ورعايته إياه. وأوضح أن عدد أعضاء النادي بلغ ١١٥ عضواً، داعيا المثقفين والمهتمين إلى ارتياد النادي والمشاركة الفعالة مع القائمين عليه للوصول إلى أفضل مايمكن تحقيقه خدمةً للثقافة والمعرفة في المملكة. وقال المدير العام للأندية الأدبية عبدالله الشهيل إن النوادي الأدبية في المملكة قامت تلبية لمتطلبات التنمية ولإتمام حاجات الإنسان السعودي.

المسابقة الثقافية لنادي جازان

أعلن نادي جازان الأدبي عن مسابقته الثقافية السنوية لعام ١٤١٥هـ في مجالات الشعر والقصة والبحث العلمي.

اشترط النادي أن تكون المشاركة في مجال الشعر بقصيدتين وفي مجال القصة بقصتين، تعتمدان اللغة العربية الفصحى، وتحدد موضوع البحث عن «الشيخ محمد أحمد العقيلي وجهوده العلمية والأدبية» بحيث لاتقل صفحات البحث عن خمسين صفحة. ويُرفق مع جميع المشاركات تعريف مفصل بأصحابها، وتحددت نهاية شهر ذي الحجة ١٤١٥هـ موعداً نهائيا لاستقبال المشاركات على عنوان النادي: ص.ب ١٦٠ جازان ، المملكة العربية السعودية.

الإمارات

معرض أبو ظبي للكتاب

شاركت ٣٨٠ دارا للنشر تنتمي إلى ٢٥ دولة عربية وأجنبية في معرض أبو ظبي الدولي الخامس للكتاب الذي افتتح في السابع من شهر شوال الماضي ١٤١٥هـ.

يستمر المعرض حتى السابع من شهر ذي القعدة الجاري، وكانت مفاجأة المجمع الثقافي بأبو ظبي لرواد المعرض توزيع كتاب من إصداراته يوميـا، إلى جانب بيع

في افتتاح معرض «ألوان الحروف»:

خالد الفيصل يدعو التشكيليين إلى الأصالة



الأمير ماجد بن عبد العزيز يفتتح المعرض وإلى جواره الأمير خالد الفيصل

شهدت مدينة جدة في العاشر من شهر شوال الماضي معرض «ألوان الحروف»، المعرض التشكيلي الشخصي الثالث لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل. وفي حضور جمع من الأمراء والأدباء والرسامين ورجال الإعلام والمهتمين، افتتح المعرض صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة الذي وصف اللوحات المعروضة بأنها «لوحات تاريخية لها قيمتها الفنية ليس في المملكة العربية السعودية فحسب بل في العالم كلّه». وعلّق سموه على ماشاهده في المعرض بقوله: «لقد شاهدت فنا راقيا رائعا يليق بمكانة المملكة ويليق بشخصية الأمير خالد الفيصل».

تضمن المعرض سبع عشرة لوحة استمد الرسام أفكارها من الشعر العربي الأصيل، حيث ترجم أبياتا من عيون الشعر العربي إلى لوحات تشكيلية، ومن هنا جاء عنوان المعرض «ألوان الحروف».

وفي لقاء مع الصحفيين بعد الافتتاح أوضح الأمير خالد الفيصل أن القصد الأساسي من المعرض وتقديم الشعر العربي القديم وترجمة الحروف والمعاني إلى ألوان هو العودة إلى التراث والأصالة، مؤكدا على «أن تراثنا فيه الخير الكثير وفيه الأصالة والفن والإبداع، سواء بالحرف أو بالألوان أو بالريشة»، مضيفا قوله: «ونحن نذكر الأعمال القيّمة التي قام بها الإنسان العربي المسلم في جميع أنحاء العالم وليس فقط في الجزيرة العربية. لقد نشرنا ثقافتنا ونشرنا علومنا في جميع أنحاء العالم، والنهضة الحديثة في العالم الآن مبتدؤها كان ترجمة أعمالنا، فيجب أن نعود إلى أصالتنا وإلى تراثنا وإلى انطلاقتنا من قاعدتنا الأساسية».

ودعا سموه المثقفين والتشكيليين إلى الاهتمام بالتراث والبعد عن متاهات الحداثة الغربية قائلا: «أنا أحب الشعر وشعراء العرب القدامى كانوا فطاحل، ليس في المستوى الفني للشعر بل في المستوى الفكري أيضا وفي المستوى الحضاري لأجدادنا وأسلافنا. ومن خلال هذا المعرض أدعو كل الفنانين والمثقفين أن يعودوا إلى تراثنا من الشعر والأدب، وخاصة التشكيليين لأن تراثنا زاخر وعامر، وأتمنى ألا يتيهوا في متاهات الحداثة الموجودة في العالم الغربي. أشعر أن معظم الفنانين الشباب يعتقدون أن الطريق الوحيد هو تقليد الحداثيين في الغرب وترك الأصالة التي يتميز بها الإنسان العربي المسلم».

وتتناول لوحات المعرض قراءات شعرية بالريشة والألوان لأبيات من قصائد نخبة من الشعراء مثل مجنون ليلى ومالك بن الريب وعنترة وزهير بن أبي سلمى وامرئ القيس والمتنبي والبحتري وأبي فراس الحمداني وبشار بن برد والمعتمد بن عبّاد والمنخل اليشكري وأبي صخر الهذلي والعباس بن الأحنف والوأواء، إلى جانب خمس لوحات لملوك المملكة العربية السعودية.

بيت التشكيليين في جدة نظّم على هامش المعرض ندوة ثقافية وحوارا تشكيليا حول أعمال الأمير خالد الفيصل الفنية، شارك فيها عدد من النقاد والتشكيليين.

وعلى غرار المعرضين الأول والثاني اللذين أقامهما الأمير خالد الفيصل في الرياض عامي ١٤٠٦هـ و ١٤٠٩هـ، فقد خصص ريع المعرض الثالث لصالح مؤسسة الملك فيصل الخيرية. ومع مثول هذا

«ديسك» على الحاسب الآلي يضم كل إصدارات المجمع.

مؤتمر عالمي للحفريات الفقارية

أقيم - مؤخرًا - في أبو ظبي أول مؤتمر دولي من نوعه عن الحفريات الفقارية في المنطقة العربية.

نظمت المؤتمر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالتعاون مع شركتي بترول أبو ظبي الوطنية وأبو ظبي للعمليات البترولية البرية، وشارك فيه علماء آثار وحفريات من جامعات فرنسا وهولندا وبريطانيا والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية.

عُني المؤتمر بإبراز تاريخ المنطقة العريق وتراثها الأصيل، وتعميق الوعي والمعرفة بمكانتها ودورها في التطور الطبيعي للعالم.

الكويت

مهرجان شعري

شاركت مجموعة من الشعراء العرب في مهرجان شعري نظمته جمعية أعضاء هيئة

التدريس بجامعة الكويت برعاية وزير الإعلام سعود ناصر الصباح.



فاروق شوشة

من أبرز المشاركين: فاروق شوشة، ومَلَك عبدالعزيز (مصر)، علي الدميني (السعودية)، د.سعاد الصباح وأحمد السقاف وخالد الزبير (الكويت)، عبدالرحمن رفيع (البحرين)، ظبية الخميس (الإمارات).

كتب جديدة

مدخل إلى التنوير، تأليف مراد وهبة، صدر عن دار النهج الجديد في الكويت بالتعاون مع دار العالم الثالث بمصر.

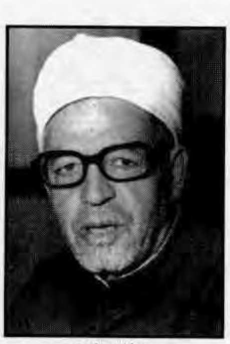
اللغة والتفسير والتواصل، تأليف د. مصطفى ناصف، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

مصر

وفاة د. عبدالجليل شلبي

فقدت الدعوة الإسلامية واحداً من رجالاتها بوفاة الدكتور عبدالجليل شلبي الأمين العام السابق لمجمع البحوث الإسلامية والعميد السابق لمعهد إعداد الدعاة، الذي وافاه الأجل بعد حياة طويلة في خدمة الإسلام.

والراحل حاصل على درجة الدكتوراه في الأديان المقارنة من جامعة لندن، واشتهر - يرحمه الله - بردوده على مفتريات المنصّرين، وله العديد من المؤلفات في هذا المجال، إضافة إلى إسهاماته الصحافية عبر بابه اليومي في جريدة «الجمهورية» بعنوان «قرآن وسنة»، ومن أبرز مؤلفاته: «مختصر أصول الفقه» و«الخطابة وإعداد الخطيب» و«عظماء قادة الأديان».

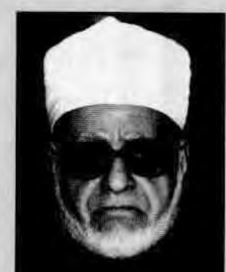


عبد الجليل الشلبي

وفاة نجيب الكيلاني

توفي في مدينة طنطا الشهر الماضي الروائي والكاتب الإسلامي نجيب الكيلاني عن عمر يناهز الرابعة والستين، فقد ولد - رحمه الله - عام ١٩٣١م، وتخرج في كلية الطب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا). واتجه إلى العمل الأدبي، فتعدد إنتاجه في هذا المجال حيث كتب حوالي ثلاثا وثلاثين رواية، وكانت روايته الأولى «الطريق الطويل» قد فازت بجائزة وزارة التربية المصرية، ونشرتها وزارة الثقافة، وتقرر بعد ذلك تدريسها لطلاب المرحلة الثانوية عام ١٩٥٩م، وصدرت له ست مجموعات قصصية، وثلاثة دواوين شعرية هي «أغاني الغرباء» و«عصر الشهداء» و«كيف ألقاك؟»، كما كتب سيرته الذاتية في جزأين، وتعددت مؤلفاته وترجماته لآداب الشعوب

الشيخ
جاد الحق علي جاد الحق



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

ولد في مصر عام ١٣٣٥هـ (١٩١٧م)، وتخرج في كلية الشريعة في الأزهر عام ١٩٤٣م، ثم نال العالمية مع الإجازة في القضاء الشرعي سنة ١٩٤٥م.

تدرَّج في مناصب مهمة في القضاء والإفتاء حتى عيّن مفتيا للديار المصرية سنة ١٩٧٨م، ثم وزيراً للأوقاف سنة ١٩٨٢م، ثم شيخًا للأزهر الشريف في العام نفسه، ولايزال في منصبه هذا.

وقد نال وشاح النيل عام ١٩٨٣م من رئيس جمهورية مصر العربية، كما نال وسام الكفاءة الفكرية والعلوم من الدرجة الممتازة من ملك المغرب.

شارك فضيلته في لجان وهيئات إسلامية متعددة، فهو رئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وعضو في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وعضو في المجلس الأعلى العالمي للمساجد المنبثق عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو في مجلس الأمناء لمركز بحوث إسهامات المسلمين في الحضارة بدولة قطر، وعضو في مجلس إدارة جامعة إسلام آباد الإسلامية بالباكستان.

الإسلامية حتى بلغت ثمانين مؤلفا.

حظي الأديب الراحل بالتكريم من قبل مؤسسات علمية وثقافية عدة تقديرا لإسهامه الفكري في شتى فروع العمل الأدبي، حيث نال جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عن روايته «اليوم الموعود» عام ١٩٦٠م، وجائزة مجمع اللغة العربية عن روايته «قاتل حمزة» عام ١٩٧٢م، كما قامت رابطة الأدب الإسلامي بتكريمه العام الماضي بوصفه رائدا من رواد الأدب الإسلامي. ومن آرائه في هذا الصدد: «إن مهمة الأدب الإسلامي هي إحياء الضمير والإسهام في تجسيد الوجدان المؤمن، وبناء الشخصية المتوازنة، ودعم الإرادة الحرة الواعية التي تمضي على المحجة البيضاء ومنهج السنة الصحيحة في رحلة الحياة».

ومن الدراسات التي كتبت عن الكيلاني البحث الذي أعده د. عبدالله العريني الأستاذ بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض بعنوان «الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية» ونال به درجة الماجستير عام ١٩٨٧م، وتولى المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالجنادرية طباعته قبل ست سنوات.

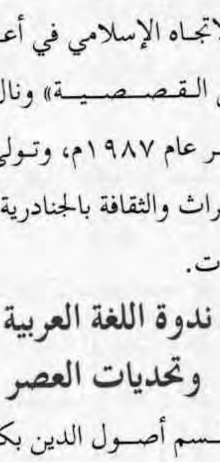
ندوة اللغة العربية وتحديات العصر

نظم قسم أصول الدين بكلية اللغة العربية في جامعة الأزهر ندوة بعنوان «اللغة العربية وتحديات العصر» خلال الأسبوع الأخير من شهر شوال الماضي.

تناولت الندوة التي شارك فيها عدد من علماء اللغة والأكاديميين عدة محاور منها: لغة التعليم، ولغة الصحافة، واللغة الشعبية، إضافة إلى مناقشة عوامل الضعف التي أصابت اللغة الفصحى ووسائل النهوض بها لدى العامة.

د. محمد أبو الأنوار

محمد علي عوض



الفائز (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية في مجال الأدب العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

ولد الدكتور محمد أبو الأنوار - وهذا اسمه الأول - في ٩ يونيو ١٩٣٢م في فاقوس بمحافظة الشرقية بمصر، وهو يعمل الآن أستاذا في قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة.

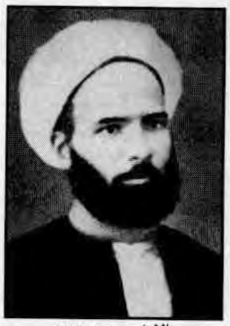
حفظ القرآن الكريم ودرس أحكام تجويده قبل الثانية عشرة، وتحول من الدراسة الابتدائية القديمة إلى الدراسة بالأزهر، وحصل منه على الشهادة الثانوية. ثم حصل على ليسانس دار العلوم ١٩٦٠م في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية. وكان طالبا ضمن طلبة الليسانس الممتازة الذين يدرسون مادتين زيادة على زملائهم، ويشترط نجاحهم في جميع المواد الحصول بحد أدنى على ٨٠٪ من الدرجة. وعند تخرجه عام ١٩٦٠م صدر تنظيم جديد للجامعة ألغى هذا النظام حتى بالنسبة للطلبة الذين درسوا عليه جميع السنوات السابقة وهو منهم.

حصل على درجة الماجستير في الدراسات الأدبية - فرع تاريخ الأدب العربي - عام ١٩٦٦م وموضوعها «مصطفى لطفي المنفلوطي الكاتب» من قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم، وحصل على الدكتوراه في الدراسات الأدبية فرع تاريخ الأدب سنة ١٩٧١م وموضوعها «المعارك الأدبية حول الشعر: قضاياها الموضوعية ودلالاتها الفكرية، وآثارها الفنية، من بداية القرن العشرين إلى قيام الحرب العالمية الثانية» من قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم.

فور حصوله على درجة الليسانس وفرت الكلية له منحة تفرغ للبحث بقسم الدراسات الأدبية بكلية دارالعلوم، ثم عين معيدا في القسم ، فمدرسا مساعدا بعد حصوله على الماجستير، وتدرج في الوظائف الأكاديمية حتى أصبح أستاذا في القسم في أغسطس ١٩٨٥م. بعد ذلك عُيِّن رئيسا للقسم لمدة ثلاث سنوات، أعير بعدها للعمل في المملكة العربية السعودية، أستاذاً للأدب العربي في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى أوائل العام الدراسي ١٤١٥هـ، كما عمل معارا لجامعة أم درمان الإسلامية ورئيسا لقسم الدراسات العليا في كلية البنات بها.

عمل مستشارا ثقافيا بجامعة القاهرة (٨٠ - ١٩٨٨م)، حيث شارك في العديد من الندوات العلمية المتخصصة في المواسم الثقافية للجامعة، كما كان عضوا في اللجنة العليا الخاصة بالتخطيط للموسم الثقافي.

الاحتفال بذكرى الإمام محمد عبده



الإمام محمد عبده

تنظم الهيئة العامة لقصور الثقافة بالتعاون مع جامعة الإسكندرية فرع دمنهور مهرجانا كبيرًا في الذكرى التسعين لوفاة الإمام محمد عبده، يستمر شهرًا.

يتم خلال المهرجان إصدار كتاب تذكاري عن إنجازات الإمام في مختلف المجالات، إضافة إلى طباعة كتابي العقاد ود.عثمان أمين عنه، ومسابقة مفتوحة عن الإمام الراحل في الفن التشكيلي، إلى جانب معرض للكتاب، وندوات فكرية.

مؤتمر الفيوم الأدبي الأول

نظم المجلس الأعلى للثقافة والهيئة العامة لقصور الثقافة - مؤخرًا - مؤتمر الفيوم الأدبي الأول.

تضمن المؤتمر دراسات وأبحاثًا في محاور الشعر والقصة، والمسرح إضافة إلى معرض تشكيلي لأبناء المحافظة، كما تم خلاله تكريم المبدعين من أبناء الفيوم، وفي مقدمتهم الأديب شوقي عبدالحكيم، والفنان التشكيلي صلاح عبدالكريم، والصحافي الراحل صلاح حافظ.

مؤتمر عن اللغة الإسبانية وآدابها

تنظم كلية الآداب بجامعة القاهرة مؤتمرًا دوليًا بعنوان «اللغة الإسبانية وآدابها في مصر: آفاق المستقبل» خلال الفترة من ٢٥ إلى ٢٧ ذي القعدة الجاري (٢٥ - ٢٧ أبريل ١٩٩٥م) بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء قسم اللغة الإسبانية بالكلية.

وسيناقش المؤتمر سبل تطوير تعليم اللغة الإسبانية وآدابها في الجامعات المصرية، وكلغة ثانية في المرحلة الثانوية، حيث يناقش كيفية تحديث مناهج التعليم في هذا المجال، والترجمة ودور المشتغلين بالدراسات الإسبانية في تنشيطها، والأدب الإسباني، والأدب الإسبان - أمريكي.

يشارك في المؤتمر عدد من الأكاديميين والمفكرين المصريين والإسبان.

أول متحف للموزاييك

تتخذ حاليا خطوات إنشائية لإقامة أول متحف للموزاييك في العالم بالقرب من معبد الرأس الأسود في الإسكندرية.

ويُنتظر أن يضم المتحف المقتنيات التي اكتشفت خلال البحث عن مكتبة الإسكندرية القديمة. وسيراعى في عملية تخطيط إنشائه اتباع أحدث الوسائل العلمية والتقنية في العالم.

محاضرات وندوات

«خواطر بغدادية» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الكوفة في لندن د. محمد مكية.

«التراث الديني وحرية الفكر» عنوان ندوة أقيمت في صالون إحسان عبدالقدوس بمؤسسة روز اليوسف الصحفية بالقاهرة، شارك فيها د. محمد البلتاجي، ومحمود أمين العالم.

«النظرية اللغوية المعاصرة وتطبيقها في مجال اللغة العربية» عنوان محاضرة ألقاها في مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس د. هارد ويزر.

«المشروع الحضاري الإسلامي» عنوان ندوة نظمتها رابطة التربية الحديثة في القاهرة، تحدث خلالها فهمي هويدي، وأدارها د. حامد زهران.

«صراع حضارات أو خلافات في التعريف» عنوان محاضرة ألقاها في فرع جمعية خريجي الجامعة الأمريكية ببريطانيا، إدوارد سعيد.

«الإيمان والعلم الحديث» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الأدبي د. مصطفى محمود.

«مستقبل العمل العربي المشترك في بيئة متغيرة» عنوان محاضرة ألقاها في المجمع الثقافي بأبو ظبي د. عصمت عبدالمجيد.

«إمكان تحقيق الدولة الإسلامية العصرية» عنوان محاضرة ألقاها في فندق تشيستر فيلد بلندن د. روبرت حداد، بدعوة من فرع خريجي الجامعة الأمريكية بلبنان.

الحركة الثقافية في شهر

فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية

أصدر معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - مؤخرًا - فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية.

يتكون الفهرس من تسعة أقسام، تضم مجموعات نادرة من المخطوطات، ومن بينها مجموعة مهداة من قصر عابدين عام ١٩٤٤م، وشارك في إعداده مجموعة من المتخصصين منهم د.يوسف زيدان، ود. عبدالفتاح سليم.

مجلة «مصر»

صدرت - مؤخرا - باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية مجلة دولية شاملة تحمل اسم «مصر» عن وزارة الإعلام.

توزع المجلة من خلال المكاتب الإعلامية، وتتناول الملامح المصرية في شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والفنية والأدبية.

كتب جديدة

«اللغة العربية في رحاب القرآن»، تأليف د. عبدالعال سالم مكرم، صدر عن دار عالم الكتب.

«إبراهيم عبدالقادر المازني»، تأليف د. عبدالبديع عبدالله، صدر ضمن سلسلة «نقاد الأدب»

«الأزهر في ألف عام»، تأليف بيار دودج، صدر ضمن سلسلة «الألف كتاب الثاني».

«هذا يخصك سيدتي»، (أدب وجداني)، تأليف الكاتب عبدالله الجفري.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

«الضعف والخطاب الديني في مصر»، تأليف شحاته صيام، صدر عن دار سينا في القاهرة.

«مازالت عندي أغنية»، ديوان للشاعر محمد بخيت الربيعي، صدر عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

«من مجمرة البدايات»، مختارات من قصائد قديمة للشاعر محمد عفيفي ، مصر، صدرت عن دار شرقيات في القاهرة.

«عوليس»، رواية جيمس جويس، ترجمها إلى اللغة العربية د. طه محمود طه، وصدرت عن الدار العربية للنشر.

«قبس من سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم»، تأليف د. عمر يوسف حمزة، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

«النمل الأبيض»، رواية للأديب عبدالوهاب الأسواني، صدرت عن

«العالم العربي وتحديات التسوية» عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي العربي بلندن د. إلياس سابا.

«القيروان في مرآة الحضارة» عنوان محاضرة نظمتها رابطة الشرق الأوسط في لندن، وألقتها الأديبة التونسية د. صبيحة خمير.

«ابن خلدون وسيطًا بين الإسلاميين والعروبيين» عنوان محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي بلندن د. محمد جابر الأنصاري.

«أفضل طرق الاستذكار للطالب الجامعي» عنوان محاضرة ألقاها في إسكان الطلاب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض د. زكي محمد إسماعيل.

«السلف والقرآن» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد سعيد بن جبير بحي الكندرة في جدة د. عبدالله الشنقيطي.

«تقنية المعلومات» عنوان محاضرة ألقاها في كلية الهندسة والبترول بجامعة الكويت البروفسور روجرفان أوفرسترانت.

«أدب الرحلة في القصة القصيرة السعودية» عنوان محاضرة ألقتها في رابطة أديبات الإمارات د. أمل الصباغ.

«الآباء والأبناء في ميزان الطب» عنوان محاضرة ألقاها في فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بحائل د. صالح عبدالرحمن العليان.

«الحياة الثقافية في مصر العثمانية بين النور والظلام» عنوان ندوة نظمها مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية بضاحية الدقي في الجيزة بمصر تحدثت فيها د. نيللي حنا.

«صورة الإنسان في الفن الإسلامي» عنوان محاضرة ألقاها في رابطة العالم الإسلامي د.محمود إبراهيم.

مؤسسة دار الهلال.

الأردن

ديوان شعر على شريط فيديو

أصدرت الشاعرة صفاء العتوم، أول ديوان شعر على شريط فيديو تحت عنوان «جراسيا» وهو الاسم القديم لمدينة جرش. قامت الشاعرة باختيار عدة أماكن لإلقاء قصائدها راعت فيها المناسبة والمكان

كتب جديدة

«شجرة الفهود.. تقاسيم الحياة»، رواية لسميحة علي خريسي، صدرت عن دار الكرمل للطباعة والنشر في عمان.

«مكان أمام البحر»، مجموعة قصصية لجمال حمدان، صدرت عن دار أزمنة.

لبنان

صدور «الحكمة» و«إشارات» و«كراس»

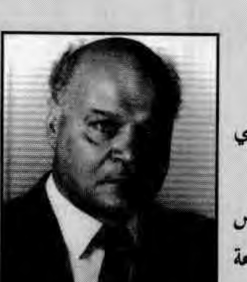
ولدت - مؤخرا - ثلاث مجلات جديدة لتضاف إلى رصيد لبنان الإعلامي والثقافي.

إذ عاودت مجلة «الحكمة» الصدور بشكل جديد وأسماء جديدة بعد احتجاب طويل دام سنوات، ويرأس تحرير المجلة في عهدها الجديد د. أميل كبا، ويشرف عليها رئيس معهد الحكمة، وتضم هيئة تحريرها: كلود أبو شقرا وجورج سعد وريتا شبير.

وأصدر اتحاد الكُتّاب اللبنانيين مجلة تحمل اسم «إشارات» لم يتضح بعد إذا كانت ستصدر فصلية أم سنوية، حيث طبعت على نفقة الأمين العام للاتحاد د.روحي بعلبكي، ويشرف على تحريرها عصام نور الدين.

وصدرت مجلة «كراس» التي أوضحت افتتاحيتها أنها تتخذ الإبداع والفن المغاير شعارًا لها، حيث أشار مدير تحريرها أحمد محمد سليمان تحت عنوان «بيان أول» إلى أن الكتابة أقوى من أي شعار، لذا يجب ألا تؤطر بتسمية.

د. حمدي سيد أحمد السكّوت



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية (بالاشتراك) في الأدب العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

نال شهادة إتمام الدراسة الثانوية بالأزهر عام ١٩٥١م، وليسانس في اللغة العربية وآدابها مع مرتبة الشرف من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة عام ١٩٥٥م، ودبلوم في التربية من معهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس عام ١٩٥٦م. أما درجة الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة كمبردج بإنجلترا عام ١٩٦٥م.

بدأ حياته الوظيفية مدرسًا بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة من سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٧٠م حيث درّس الأدب الجاهلي والأدب الإسلامي والأدب الأندلسي والأدب العربي الحديث.

وكان معارًا للجامعة الأمريكية سنة ١٩٦٧م، ثم أستاذا بها من سنة ١٩٧٠م حيث درّس أمهات كتب التراث، وتطور فن التراجم في الأدب العربي (من طبقات ابن سعد للعصر الحديث)، والرواية العربية الحديثة والقصة القصيرة والمسرح والشعر العربي الحديث والنقد الأدبي قديما وحديثا.

عمل عام ١٩٧١م مشرفًا على قسم الأبحاث بمركز الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بالاشتراك مع د. مارسدن جونز أولا. ثم منفردًا بالإشراف، كما أشرف على إصدار سلسلة «أعلام الأدب العربي المعاصر» منذ عام ١٩٩٢م، وهو مدير المركز منذ عام ١٩٩١م.

سبق له العمل أستاذا زائرا بجامعة كاليفورنيا بأمريكا (٧٣ - ١٩٧٤م)، ومشرفا على برنامج الجامعة الأمريكية لتأهيل المعيدين في أقسام الإنسانيات بالجامعات المصرية للبحث العلمي الحديث (٧٤ - ١٩٨٠م)، وأستاذا زائرا بجامعة واشنطن (٧٥ - ١٩٨١)، وزميلاً زائرا بجامعة كمبردج بإنجلترا (٨٠ - ١٩٨١م) وعضوا مدى الحياة بكلية كليرهول بالجامعة نفسها، وعضو لجنة القصة ولجان منح جوائز الدولة بمصر في القصة (٨١ - ١٩٩٣م)، ومدير مشروع CATA لاستخدام الكمبيوتر في تحليل مضامين الأعمال القصصية في فترة العشرينيات (٨٣ - ١٩٨٥م)، ومستشارا زائرا بجامعة السلطان قابوس، والمسؤول عن إنشاء شعبة الآداب بها، حولت فيما بعد إلى كلية الآداب (٨٥ - ١٩٨٧م)، ومدير مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية (٨٧ -١٩٨٩م) ومشرفا على البرنامج الثقافي العربي للجامعة الأمريكية بالقاهرة (١٩٨٧م).

والدكتور السكّوت عضو في المجلس الأعلى للثقافة والإعلام، أحد المجالس القومية المتخصصة بمصر، وعضو غير متفرغ بالمجلس الأعلى للتعليم، وعضو اللجنة العليا لتطوير دار الكتب المصرية وتحديثها، وعضو لجنة تقويم برنامج اللغة العربية وآدابها بجامعة العين بدولة الإمارات العربية المتحدة.

كتب جديدة

«مدار اللحظة»، مجموعة قصصية لسونيا بيروتي، صدرت عن دار النهار للنشر.

«مساء الأربعاء»، مجموعة قصصية لبدرية البشير.

«كنس الشمس عن السطوح»، مجموعة قصصية لحنان الشيخ.

صدرت المجموعتان السابقتان عن دار الآداب في بيروت.

«السياسة الأمريكية تجاه مصادر المياه في الشرق الأوسط»، تأليف جويس ستار، ودانييل ستول، ترجمة محمد الفقير، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الجزائر

وفاة ميموني وولد عبدالرحمن

توفي في الجزائر - مؤخرا - الكاتب رشيد ميموني (٥٠عاما)، والكاتب المسرحي ولد عبدالرحمن عبدالقادر (٦١عامًا)

وُلد ميموني في نوفمبر ١٩٤٥م، وهو روائي تمحورت موضوعاته حول إدانة الفساد والانتهازيين، وقدم أول كتاب له عام ١٩٨٢م تحت عنوان «النهر المنحرف»، كما صدر له «تومبيزا» و«شرف القبيلة» وكان عنوان آخر كتبه «اللعنة»، ويروي فيه المعاناة اليومية للجزائريين.

أما ولد عبدالقادر فهو من مواليد ١٩٣٤م، وبدأت ميوله المسرحية منذ طفولته المبكرة، حيث شارك في فرقة تابعة للكشاف المسلم الجزائري وهو دون العاشرة، بعدها صار واحداً من أبرز كُتّاب المسرح الجزائري ومخرجيه، وكان آخر منصب تولاه رئاسة أوبرا وهران.

المغرب

دور ميسون يفوز بجائزة الحسن الثاني

تسلم الكاتب والأكاديمي الفرنسي جان دور ميسون جائزة «الحسن الثاني للحكام الأربعة» عن كتابه «لادون دومير».

وتكافئ الجائزة كل عام أحد الكتاب الذين نالوا صوتًا على الأقل خلال تسليم الجوائز الأدبية الأربع في فرنسا وهي «جونكورن»، و«رونودو»، «فيمينا»، و«انترالي».

وقد أنشأها الكاتب جان بيار دوريان عام ١٩٥٦م، وارتبطت باسم العاهل المغربي عام ١٩٨٦م.

الفائزون بجائزة الأطلسي

مُنح الأديب المغربي إدريس الشرايبي جائزة الأطلسي الكبير لعام ١٩٩٥/٩٤م عن روايته «صاحب الكتاب» المنشورة باللغة الفرنسية.

كما تقاسم الشرايبي جائزة المؤلفين مع الكاتبة المغربية أمينة الحسائي عن مسرحيتها «نور»، ونال محمد الوكيرة جائزة الشعر عن ديوانه «حبات من الصحراء»، وخصصت جائزة المسرح لرائد المسرح المغربي الطيب الصديقي عن مسرحيته «موليير أو حب الإنسانية».

يُذكر أن الجائزة منحت للمرة الأولى عام ١٩٩١م بمبادرة مشتركة بين الجمعية المغربية للكتاب والنشر والسفارة الفرنسية في الرباط.

كتب جديدة

«لمسة وفاء»، ديوان للشاعر السوداني كمال شرف، صدر في الرباط.

«الإنسان وشكل التصحر في المناطق الجافة»، تأليف إدريس الفاسي.

«علاقات المغرب بأفريقيا: ملاحظات أولية»، تأليف د.عبد الله العروي.

«شعر الصحراء»، تأليف د. عباس الجراري.

«مأساة شيخ المعرة»، تأليف د. أمجد الطرابلسي.

«المغرب العربي وآفاق الاندماج الاقتصادي»، تأليف د. حبيب المالكي.

«التكرار في القرآن: تأسيس فوائده، وأسراره»، تأليف التهامي الراجي الهاشمي.

«المغرب والأندلس والمجال المتوسطي:

مـقـدمـات أوليـة ومـلاحظات»، تـأليف د.محمد القبلي.

صدرت الكتيبات السبعة السابقة عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ابن زهر، وهي محاضرات ألقيت في الكلية من قبل.

بروناي

جائزة للدراسات الإسلامية باسم سلطان بروناي

خصصت سلطنة بروناي جائزة دولية إسلامية تمنح سنويًا للأفراد أو الهيئات تقديرًا للتفوق في مجال البحوث والدراسات حول الإسلام أو العالم الإسلامي.

تحمل الجائزة اسم «الجائزة الدولية للسلطان حسن بلقيه الخاصة بالمنح الدراسية»، ويشرف على إدارة الجائزة مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية، وتقتصر الترشيحات لنيلها في عامها الأول على العلماء المتخصصين في الحديث النبوي الشريف.

إيران

اكتشاف آثار مدينة ساسانية

اكتشفت آثار لمدينة ترجع إلى عصر الساسانيين الذين حكموا بلاد فارس بين القرنين الثالث والسابع الميلاديين، بالقرب من بورازجان.

وأظهرت النتائج الأولية للتنقيب أن المدينة كانت تمتد على مساحة مائة ألف هكتار، وضمت قرابة ١٤ ألف نسمة.

ووجدت فيها بقايا حصن ومعبد، ومصنع زجاج، وسدّ من الطين مقام على نهر دالكي.

الهند

موسوعة إسلامية بلغة المالايا لامية

صدر - مؤخرا - المجلد الأول من الموسوعة الإسلامية باللغة المالايا لامية (إحدى اللغات الرئيسة المنتشرة في الهند» مرتبًا هجائيًا وفقا للموضوعات.

تتكون الموسوعة من عشرة مجلدات إضافة إلى مجلد للفهرس، ويرأس تحريرها د.حسين رانداتاني، ويقع المجلد الأول في نحو ألف صفحة، وقد صممت لتلبية حاجات القراء بلغة المالايا لامية من طلبة وباحثين ومتخصصين وعامة، فيما يخص أمور دينهم ودنياهم من خلال القرآن الكريم

رسائل جامعية

«صورة الفلاح في الرواية العربية في مصر من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٣م» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها مصطفى إبراهيم الضبع.

«تحقيق ودراسة القسم الثاني من مختصر خلافيات البيهقي» عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها إبراهيم بن صالح الخضيري.

«المشكلات التربوية والاجتماعية لخروج المرأة للعمل» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم التربة الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدمت بها حياة عبدالعزيز نيازي.

«التربية للعمل في الإسلام» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة أم القرى، تقدمت بها هدى عبدالرحيم قاسم الميمني.

«دراسة وصفية للاحتياجات التدريبية التعليمية للمؤسسات التعليمية بوزارة البرق والبريد والهاتف» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم المناهج وطرق التدريس بجامعة أم القرى، تقدم بها محمد حنش الشهري.

«الآثار الإسلامية في منطقة القصيم» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود في الرياض، تقدم بها عبدالعزيز جارالله الجارالله.

«مفهوم الذات لدى الأطفال ذوي الظروف الخاصة» عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك سعود بالرياض، تقدمت بها موضي حمدان الزهراني.

«الألقاب وأسماء الحرف والوظائف في ضوء البرديات العربية» عنوان رسالة ماجستير، نوقشت في كلية الآثار بجامعة

والأحاديث النبوية الشريفة والفقه، كما تناولت موضوعات فلسفية ولغوية وتاريخية وفنية وأدبية وعلمية وتقنية.

إسبانيا

إحياء مدرسة المترجمين في طليطلة

بعد مرور عشرة قرون على إنشاء المسلمين مدرسة المترجمين في طليطلة، قررت إسبانيا إعادة إحيائها.

ومن المقرر أن تفتح المدرسة خلال شهر ذي القعدة الحالي في قصر الملك دون بيدرو في طليطلة، بمبادرة من جامعة كاستيا ـ لامانتشا، وبلدية طليطلة، واللجنة الأوربية المنبثقة عن المؤسسة الأوربية للثقافة.

ومن المتوقع أن تنظم المدرسة اعتبارا من الربيع الحالي عدة ندوات عن الترجمة.

فرنسا

معرض «ألوان من تونس»

استضاف معهد العالم العربي في باريس ـ مؤخرا ـ معرضًا تراثيا تونسيا تحت عنوان «ألوان من تونس: ٢٥ قرنًا من الحرفيات».

يحكي المعرض تاريخ صناعة الفخار التونسي، من خلال معروضاته التي تعود إلى عصور مختلفة بدءًا من العصور القديمة وانتهاءًا بالعصر الحديث.

ميراث الأندلس

بدأت اعتبارًا من شهر شوال الماضي عملية ثقافية سياحية تساندها اليونسكو تهدف للكشف عن روائع إسبانيا في عصر الإسلام تحت شعار «ميراث الإسلام».

افتتحت العملية بلقاء أقيم في مقر منظمة اليونسكو العالمية، وتضم العملية اثنتي عشرة رحلة سياحية و١٤ معرضا، وتوزيع مطبوعات مختلفة تتضمن ثقافات أندلسية.

ومن المقرر أن تبدأ أولى الرحلات خلال شهر ذي القعدة الجاري.

معرض لمؤسس علم الجغرافيا الحديثة

تقيم منظمة اليونسكو العالمية معرضًا لأهم أعمال الجغرافي الفلمني جيراردميركاتور بمناسبة مرور أربعمائة عام على وفاته، وذلك خلال الفترة من ٢١ نوفمبر إلى ٣ ديسمبر ١٩٩٥م.

يشتمل المعرض الذي يقام في باريس على أول أطلس جغرافي في التاريخ قام جيرار بوضعه، إضافة إلى بعض الخرائط التي قام بتصميمها لمختلف مناطق العالم، وبعض مؤلفاته العلمية.

راي يفوز بجائزة جونكور

منح الشاعر الفرنسي ليونيل راي جائزة جونكور الأدبية عن ديوانه «القصر المشؤوم». والجائزة التي تحمل اسم الكاتب الفرنسي إدموند جونكور (١٨٢٢ ـ ١٨٩٦م) تأسست عام ١٩٠٢م، وتمنح سنويا.

وفاة إيمانويل روبليس

توفي ـ مؤخرًا ـ الكاتب الفرنسي إيمانويل روبليس، عضو أكاديمية جونكور، عن عمر

القاهرة تقدم بها سعيد مغاوري محمد.

«الخواص الجبرية لزمر كوكستر المنتهية» موضوع رسالة دكتوراة نوقشت بكلية العلوم التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات بالمنطقة الشرقية، تقدمت بها نورة بنت علي عبداللطيف الصالح.

«الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري: دراسة وتقويمًا» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها سهيل محمد صابان.

«الأواني الفخارية النبطية» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود، تقدم بها فهد بن سليمان السليم.

«الشعر الإسلامي بين محمد عبدالمطلب، وأحمد محرم» موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بأسيوط، تقدم بها عبدالرحيم أحمد عبدالمولى.

«فكرة النور بين الكتاب والسنة والبحث الصوفي» عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة المنيا في مصر، تقدمت بها إلهام محمد خليل.

يناهز ٨١عامًا.

وُلد رويليس في وهران بالجزائر عام ١٩١٤م، وفي العاصمة الجزائرية تعرف الكاتب الكبير ألبير كارو، ونمت بينهما جذور صداقة قوية، وله نحو أربعين مؤلفًا بين رواية ومسرحية وشعر، ونال كتابه «مرتفعات المدينة» المستوحى من ثورات سطيف جائزة «فيمينا» الأدبية عام ١٩٤٨م.

ومن أبرز مؤلفاته: «مونسيرات»، «السكاكين»، «هذا يسمى فجرًا»، «الحقيقة ماتت»، «الدفاع عن التمرد»، «صعود النهر».

أحدث الكتب

«كلام الإسلام (مجموعة أقوال وكتابات لأعلام في التاريخ والفكر الإسلامي)» جمعها ناصر خمير، وصدرت عن دار ألبان ميشال.

«الأعمال الكاملة لرولان بارت، الجزء الثاني»، إشراف إيرك مارتي، صدر عن دار نشر إيتابلي.

إيطاليا

هل كان ماركوبولو كاذبًا؟

تحتفل مدينة البندقية في العام الميلادي المقبل بـ «عام ماركو بولو» تكريما لذكرى الرحالة الشهير.

يجيء الاحتفال في وقت ارتفع صوت الباحثة الإنجليزية فرانسيز رود أمينة قسم الصين في المكتبة الوطنية ببريطانيا يتهم ماركو بولو (١٢٥٤ - ١٣٢٣م) باختلاق رحلته إلى الصين، مؤكدة أنه لم يزر الصين قط، بدليل عدم وصفه أو إيراده شيئا عن سورها العظيم، وإطلاقه مسميات فارسية على مدنها، واستنتجت الباحثة من ذلك أن كل ما أورده ماركو بولو عن رحلته إلى الصين محض اختلاق، مشيرة إلى أنه استقى معلوماته من شخص زامله في السجن عام ١٢٩٧م كان معروفا بخياله الواسع، وموهبته في نسج الروايات.

بريطانيا

معرض ومؤتمر دولي للكتاب الإلكتروني

أقيم في قاعة أولمبيا بشمال لندن معرض ومؤتمر دولي للكتاب الإلكتروني، استمر ثلاثة أيام في مطلع شهر شوال الماضي،

شاركت في المؤتمر مجموعة من كبريات شركات الحاسب الآلي والاتصالات والنشر والتلفاز، حيث ناقش المؤتمرون مستقبل الكتاب الإلكتروني، وأكدت المناقشات أن عام ٢٠٠٠م سوف يشهد انطلاقة الكتب الإلكترونية والناطقة عبر خطوط وقنوات

سلمى الحفار الكزبري

الفائزة (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

ولدت في دمشق في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ١٣٤٠هـ (غرة مايو /أيار لسنة ١٩٩٢م، وهي ابنة الوطني السوري لطفي الحفار والسيدة مسرة السقطي) تلقت العلم في دمشق حيث درست اللغة وقرأت القرآن الكريم على شيخة فاضلة، ثم أكملت الدراسة الابتدائية والإعدادية والثانوية في معهد الراهبات(دار السلام) الآن، واتقنت إلى جانب العربية الفرنسية والإيطالية والإنجليزية ثم الإسبانية، حيث نالت دبلوما عن اللغة الإسبانية وتاريخها وآدابها في سنة ١٩٦١م، وتخصصت فيها، وألقت بها محاضرات متعددة في إسبانيا، وظلت تتعاون في الحقل الثقافي مع المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد.

درست العلوم السياسية بالمراسلة من سنة ١٩٤٤م حتى ١٩٤٨م، والأدب العربي على أيدي أساتذة أخصائيين بدمشق.

شرعت في الكتابة والنشر باللغة العربية وهي في السابعة عشرة من العمر وبكتابة الشعر باللغة الفرنسية، وحاضرت ولاتزال تحاضر في العواصم العربية، والمعاهد الثقافية في أوربا وأمريكا وكندا.

منحتها الدولة الإسبانية وسام «شريط السيدة» في سنة ١٩٦٥م تقديرا لجهودها في الدراسات العربية الأندلسية، ومحاضراتها باللغة الإسبانية في كل من مدريد وقرطبة وبرشلونة. وفي سنة ١٩٨٠م تسلمت من جامعة صقلية وناديها الأدبي جائزة البحر المتوسط الثقافية إثر ترجمة كتابها «الشعلة الزرقاء» إلى اللغة الإيطالية، وترجمة أشعارها باللغة الفرنسية إلى الإيطالية التي قدم لها المستشرق المشهور فرنشيسكو غبرييلي.

فورية، مما قد يعني نهاية عصر الكلمة المطبوعة، وبروز جيل المكتبة الإلكترونية.

كما شهد المؤتمر نقاشا موسعًا حول حقوق النشر الإلكتروني وعيوب الكتاب الإلكتروني وأبرزها افتقاره إلى سهولة الحمل ووضوح القراءة.

معرض للفنون الإسلامي

نظم اتحاد الجمعيات الطلابية الإسلامية بالتعاون مع الجمعية الإسلامية بجامعة كمبردج معرضًا للفنون الإسلامية في كينجز كوليدج في كمبردج في مطلع شهر شوال الماضي بمناسبة عيد الفطر المبارك.

شاركت في المعرض مجموعة من الفنانين العرب والمسلمين، حيث عرضت مقتنيات أثرية ومصنوعات تراثية إسلامية تشكل مدخلاً لتذوق التيارات الحديثة في الفنون الإسلامية المعاصرة.

أحدث الكتب

«أيام الخزي والعار (عن الحرب العالمية الثانية)» تأليف جون كسنيللو، صدر في لندن.

«أخوة الإسلام: المملكة العربية السعودية ومسلمو البوسنة والهرسك»، كتاب خاص وثائقي صدر عن السفارة السعودية في لندن.

«العلاقات السعودية ـ الإيرانية ١٩٣٢ ـ ١٩٨٣م»، تأليف سعيد باديب، صدر عن دار الساقي ومركز الدراسات الإيرانية العربية.

«الرواية الإنجليزية الحديثة، تأليف مالكوم براديوري»، صدر عن دار نشر بنجوين.

ألمانيا

الفائزون بجوائز جوته

أعلنت ـ مؤخرًا ـ أسماء الفائزين بجوائز معهد جوته في ميونيخ للمبدعين الذين يسهمون بأعمالهم، ونشاطاتهم في التعريف باللغة الألمانية وفي التبادل الثقافي العالمي.

نال الجائزة هذا العام ست شخصيات هي: المترجمة ليلى نعيم (الأردن)، الصحافي الإذاعي أدابرودسكي (إسرائيل)، والصحافي والمترجم التلفازي خوسيه ماريا بيريز أجاي (المكسيك)، والمؤرخ السينمائي ناؤوم كلايمن (روسيا)، والمؤرخ هرمان فالتر خون ديردونك (هولندا)، والمؤلف الموسيقي يون أزانخ (كوريا ـ ألمانيا).

الولايات المتحدة الأمريكية

استعادة مخطوطات مفقودة للشاعر ويتمان

عادت إلى مكتبة الكونجرس أربع كراسات من مذكرات الشاعر الأمريكي والت ويتمان (١٨١٩ـ ١٩٨٢م) كانت قد فقدت إبان الحرب العالمية الثانية.

تحتوي الكراسات على مسودات ومخطوطات لأهم قصائد ويتمان، ومن بينها قصيدتا «أوراق الحشائش» و «أغنية ذاتي».

وفاة مؤرخ العصور الوسطى

توفي ـ مؤخرًا ـ مؤرخ العصور الوسطى كينيت سيتون عن عمر يناهز ٨٠ عاما.

ويعد سيتون أحد أبرز المتخصصين في تاريخ العصور الوسطى، ومن أبرز كتبه كتاب النظام البابوي ما بين ١٢٠٤ ـ ١٧٥١م الذي استغرق العمل فيه قرابة عقدين من الزمن، وكان قبل وفاته يقوم بإعداد كتاب بعنوان «تقارير بريطانية من إسطنبول خلال القرن ١٨م»

وفاة جيمس بيريل وباتريشيا سميث

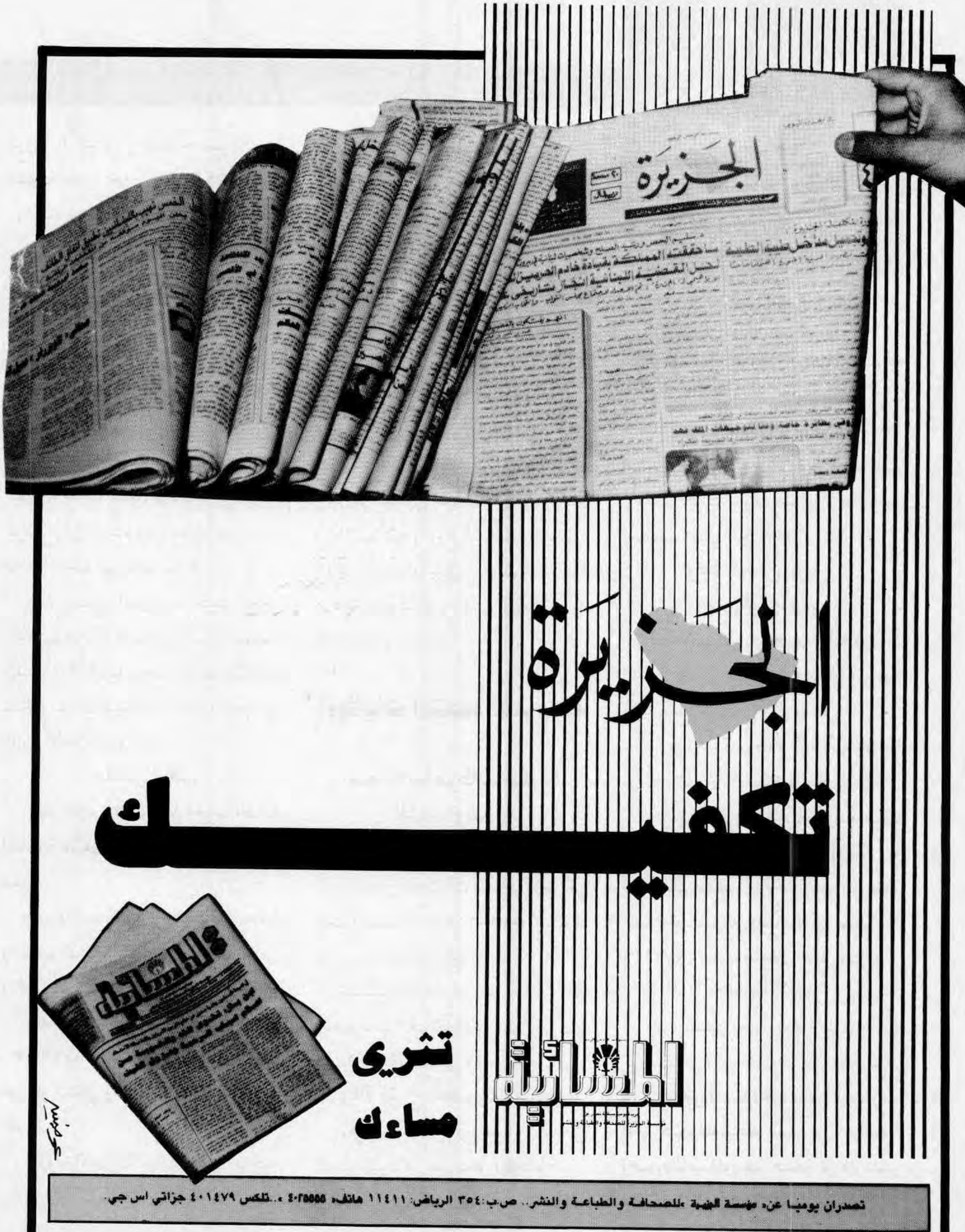
فقد الأدب الأمريكي اثنين من أعلامه بوفاة الشاعر جيمس ميريل (٦٨ عاما)، والروائية باتريشيا هاي سميث (٧٤عاما).

وميريل شاعر وكاتب قدم للمكتبة الأدبية ١٤ كتابا بين شعر ونثر، ونال جائزة بوليتزر في مجال الشعر.

أما باتريشيا، فقد اشتهرت بقصصها البوليسية، وقدمت عشرين رواية، وأربع مجموعات قصصية، وتُرجم نتاجها إلى معظم اللغات العالمية المعروفة، منذ أن نشرت عام ١٩٤٩م أول أعمالها «مجهول القطار السريع».

أحدث الكتب

«ثورة المثقفين وخيانة الديموقراطية»، تأليف كريستوفر لاش، صدر عن دار نشر ويست نورتون. **«العودة: سقوط صناعة السيارات الأمريكية وصعودها»، تأليف بول أنجرا سيا وجوزيف ب. هوايت، صدر عن دار نشر سايمون وشوستر في نيويورك.**


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر». ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ »..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث

كتاب يشتمل على دليل أدبي مفهرس، «ببليوجرافيا» للأدب الإسلامي، قام بإعداده د.عبدالباسط بدر، استجابة لتوصية المؤتمر الأول لرابطة الأدب الإسلامي العالمية الذي عقد عام ١٩٨٦م في الهند.

يقتصر الكتاب على الأدب الإسلامي المكتوب باللغة العربية، نظراً لصعوبة حصر كل ماكتب باللغات الأخرى، تتوزع مادة الدليل جغرافيا بين الأقطار العربية، وفنيًا بين الكتاب، والبحث، والمقالة، والشعر، والقصة، والرواية، والمسرحية، والنقد، والدراسة، وأدب الأطفال.

يقع الكتاب في ١٣٨ صفحة من القطع الوسط، وقد صدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية، وقامت بنشره دار البشير في عمان، الأردن ١٩٩٣م.

الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية

الكتاب رقم ١٤٥ من سلسلة «دعوة الحق» التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي، تصدى فيه المؤلف أحمد أبو زيد لثلاث روايات أدبية أثارت سخط العالم الإسلامي وغضبه نظرًا لما فيها من استهداف للإسلام، وغيره من الأديان، وتشويه معالمها، وهجوم على المقدسات من كتب ومعتقدات، وتطاول على الرسل والأنبياء.

الروايات الثلاث هي: «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ، وهي الرواية التي كتبها صاحبها عام ١٩٥٩م، واحتج عليها الأزهر، وقام بمصادرتها، ومنع نشرها، ثم طفت على السطح مرة أخرى عام ١٩٨٨م، عندما حصل نجيب محفوظ على جائزة نوبل في الأدب، «أولاد حارتنا»، من أسباب منحه الجائزة، كما أعلنت اللجنة الخاصة بها. والرواية الثانية هي «الآيات الشيطانية» التي كتبها سلمان رشدي وهو مسلم هندي الأصل بريطاني الجنسية، وأحدثت روايته ضجة عالمية وصلت إلى المستوى السياسي والعلاقات الدولية في مطلع عام ١٩٨٩م.

وأما الرواية الثالثة فهي «مسافة في عقل رجل» أو «محاكمة الإله» وهي الرواية التي كتبها علاء حامد، أحد منسوبي مصلحة الضرائب بالقاهرة - مصر، وبسبب هذه الرواية قدم للمحاكمة، وقضت محكمة الدولة الجزئية بسجنه ٨سنوات، مطلع عام ١٩٩١م.

أفرد أحمد أبو زيد فصلاً كاملاً لكل رواية من هذه الروايات الثلاث، في كتابه المشتمل على ستة فصول، وأورد تعريفًا وافيًا بمؤلفي الروايات الثلاث، والظروف التي تمّ فيها التأليف، كما قدم شرحًا لمضامين كل رواية، والآراء المختلفة التي تعرضت لها مدحًا وذمًا.

وأما الفصول الثلاثة الأخرى من الكتاب فتناقش حرية العقيدة والفكر والرأي، والهجوم على الإسلام قديما وحديثًا، وحكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، واستغلال الأدب في سب الإسلام.

يقع الكتاب في ١٦٣ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٥هـ.

مظاهر العملية الإبداعية في تجربة الكتابة الأدبية بالبحرين

بحث استقصائي في عناصر الإبداع ومصادره وفقًا لتجربة الكتابة لدى عدد من الشعراء وكتاب القصة في دولة البحرين، يرتكز البحث أساساً على إجابات سبعة أدباء وجهت إليهم الباحثة أنيسة فخرو ٢٠ سؤالاً تدور حول مايتصل بفعل الكتابة من عادات وحالات. تقول الباحثة إنها اختارت هذه النماذج لاعتبارات الخبرة الطويلة في تجربة الكتابة، والشهرة في مجالهم الإبداعي، وغزارة الإنتاج، والاستمرارية في ممارسة فعل الكتابة. والأدباء السبعة الذين استقصت الباحثة آراءهم حول قضية الإبداع هم: قاسم حداد، و د. علي عبدالله خليفة، وعلي الشرقاوي، وفوزية السند من الشعراء، وأمين صالح ومحمد عبدالملك، وعبدالقادر عقيل من كتاب القصة، وقد عبر كل واحد منهم عن تجربته الذاتية لخطة الإبداع.

وفي خلفية إجابات الأدباء تناقش الباحثة مفهوم الإبداع ودوافعه ومعاييره، ومصادره (إن كان إلهامًا أم حدساً أم غير ذلك)، والمراحل التي يمر بها، والعوامل المؤثرة فيه، إضافة إلى علاقة الإبداع بالتدريب، وعلاقة المبدع بالواقع. والبحث بهذا المفهوم لايعقد موازنات بين نتاجات الأدباء السبعة (شعرًا وقصة)، كما لايعمد إلى تحليل تلك النتاجات أو تقويمها عن طريق النقد.

الكتاب صدر في البحرين ١٩٩٣م، ويقع في ١٨١ صفحة من القطع الصغير، وقدم له أ.د.محمد جابر الأنصاري بكتابة تصدير علمي عن الحركة الأدبية المعاصرة في البحرين.

حفظ العمر

كتاب يشتمل على تحقيق رسالة «حفظ العمر» للإمام الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ. عثر المحقق محمد رياض المالح على نسخة من «مخطوط الرسالة» تجمع إلى الندرة قدم العهد، كتبت سنة ٩١٢هـ، فعمد إلى توثيق بعض النصوص وتوضيح العبارات المبهمة، إضافة إلى تخريج الأحاديث النبوية الواردة في النص، كما قدم ترجمة للمؤلف الإمام ابن الجوزي، ولبعض الأعلام الذين جاء ذكرهم في الرسالة.

ورسالة «حفظ العمر» محتشدة بكثير من المواعظ التي تحذر من التفريط في العمر، وصرفه فيما لايفيد، وتضمنت قبسًا من سلوك السلف الصالح في توظيف الوقت وعدم إهداره، وفي ذلك يقول الإمام ابن الجوزي: إني رأيت العمر بضاعة للآدمي فعجبت من تفريط الناس فيه، وكأنهم ما علموا أن الدنيا ميادين سباق، وأن غاية العمر الغاية، إلا أن التفاضل في السباق على مقدار الهمم، وتفاوت الهمم على قدر الإيمان بالآخرة، فمن صدق يقينه جدّ، ومن تيقن طول الطريق استعد، ومن قلّت معرفته تثبط، ومن لم يعرف المقصود تخبط».

قام المحقق بترتيب موضوع الكتاب في ثلاثة أبواب، فخصص الباب الأول لبيان شرف العمر والحث على اغتنامه في الخير، والباب الثاني: في ذكر من كان يبادر العمر ويبالغ في حفظ لحظاته، والباب الثالث، في ذكر سبب تضييع العمر.

يقع الكتاب في ٤٨ صفحة من القطع العادي، وقد صدر في دولة الإمارات العربية المتحدة عن مؤسسة علوم القرآن الكريم - عجمان - الشارقة.

مسابقة مجلة الفيصل

١- جوائز المسابقة :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد (٢١٨)

ج ١ : نهى الإسلام عن موالاة الكفار والأعداء، وورد ذلك في آيات عديدة من كتاب الله الكريم، منها: البقرة:١٦٥، آل عمران:٢٨، ١١٨، النساء:٩٨، ١٣٩، ١٤٤، المائدة:٥١، ٥٧، الأنعام:١٤، التوبة:٢٣، الكهف:٥١، الفرقان:١٨، ٢٨، العنكبوت:٤١، الجاثية:١٠، المجادلة:٢٢، الممتحنة:١.

***

ج ٢ : لايحل سب أموات المسلمين ولاذكر مساويهم، لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتسبُّوا الأموات فإنهم أفضوْا إلى ماقدّموا». أما المسلمون المعلنون بفسق أو بدعة، أو عمل فاسد فإنه يباح ذكر مساويهم إذا كان فيه مصلحة تدعو إليه؛ كالتحذير من حالهم والتنفير من أقوالهم وترك الاقتداء بهم، وإن لم تكن فيه مصلحة فلا يجوز، فقد روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «مرُّوا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وجَبَتْ. ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً، فقال: وجبت. فقال عمررضي الله عنه: ماوجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار. أنتم شهداء الله في الأرض».

***

ج ٣ : اكتشف البنسلين، البكتريولوجي الأسكتلندي السير ألكسندر فلمنج (١٨٨١-١٩٥٥م). ففي عام ١٩٢٨م لاحظ أن عفناً لوّث مستنبتاته البكتيرية فأباد الجراثيم منها. سمّى المادة التي تنتج من هذا العفن«البنسلين». اقتسم جائزة نوبل للفسيولوجيا والطب (١٩٤٥م) مع آخرين لبحوثهم في البنسلين. ويمنع البنسلين تكاثر عدد من الجراثيم مثل المكورات العنقودية والسبحية، وثبت نجاحه في علاج الالتهاب السحائي والرئوي والسيلان والزهري. وكان الكشف عنه حافزاً للبحوث التي كشفت الكثير من المضادات الحيوية.

***

ج ٤ : الليتوجراف، نوع من الطباعة يتم باستخدام الحجر الجيري، أو ألواح معدنية محببة بالتحضير الكيماوي، لذا تُسمّى أيضاً: طباعة الحجر. يُنفذ الرسم باستعمال قلم خاص وأحبار تحتوي على مواد دهنية. ولتنفيذ صور ليتوجراف باللون، فإن كل لون يتطلب حجراً منفصلاً.

***

ج ٥ : قائل البيتين، هو شاعر العربية الأكبر أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبدالصمد الجُعفي (٣٠٣-٣٥٤هـ). ولد بالكوفة ونشأ فيها، وتعلم القراءة والكتابة في صباه، ثم خرج إلى البادية، وخالط فصحاء البدو، فأخذ عنهم اللغة، ثم عاد إلى وطنه ولازم الوراقين وقرأ كثيراً من الكتب. يقال إنه ادعى النبوة، وتبعه من البدو خلق كثير، فقُبض عليه وسُجن، ثم أُطلق وقد لصق به لقب المتنبي. جال أبوالطيب بعد ذلك في أمصارالشام يمدح الولاة والعظماء، فيجزلون له العطاء، حتى اتصل بسيف الدولة علي بن أبي الهيجاء الحمداني أمير حلب في سنة ٣٣٧هـ، فصار أكبر شعرائه، ومدحه بقصائد كبار من خيرة شعره. وبقي أثيراً عند سيف الدولة حتى حسده بعض حاشيته، فخرج إلى حلب، وجال في بعض نواحي الشام وفلسطين، ثم اتصل بكافور الإخشيدي في مصر ومدحه، ثم تغيّر عليه وهجاه بعد

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

أن يئس من أن يحصل منه على مبتغاه، وكان قد سأله أن يوليه ولاية. اتصل بعد خروجه من مصر بأبي الفضل بن العميد، وعضد الدولة بن بويه، فمدحهما، وأجزلا له العطايا. خرج من شيراز من لدن عضد الدولة ومعه من الأموال والنفائس شيء كثير، ولما قرب من بغداد خرج عليه جماعة من البدو، فقتلوه عند دير العاقول، وقتلوا معه ابنه مُحسَّدًا، وغلامه مُفلحا، وانتهبوا ماكان معه من الأموال والنفائس، وذلك في أواخر رمضان سنة ٣٥٤هـ.

***

نتائج مسابقة العدد (٢١٨)

أ ▬ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ريال سعودي، ناجية عبدالحميد الأحدب - الخبر - المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، مريم عبدالله عبدالحميد - العين - الإمارات العربية المتحدة.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، عبدالسلام صديق محمد، كسلا - السودان.

ب ▬ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١- مصطفى غلمان، مراكش - المغرب.

٢- سماح دياب محمد دياب، الزقازيق - مصر.

٣- سمية عبدالقادر لحجوجي، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٤- أشرف أحمد محمد الجالودي، عمان - الأردن.

٥- خالد رمزي، دمشق - سورية.

ج ▬ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١- محمد أحمد طلبة شعبان، الشرقية - مصر.

٢- وفاء محمد صالح رمضان، حلب - سورية.

٤- عبدالفتاح أحمد يوسف حبايب، الزرقاء - الأردن.

٥- هائل محمد هائل مكشم، الحديدة - اليمن.

٦- علي متعب يحيى الشامي، الرياض - المملكة العربية السعودية.

٣- مصطفى عبدالغني الشعار، حماة - سورية.

٧- بدرالدين الطيب عمارة، كسلا - السودان.

٨- آلاء عبدالله العجارمة، عمان - الأردن.

٩- لولوة محمد سلطان، المحرق - البحرين.

١٠- محمد علي إسماعيل شراقي، الدقهلية - مصر.

د ▬ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١- صبحي أحمد إبراهيم، حلب - سورية.

٢- أحمد توفيق بصل، المحلة الكبرى - مصر.

٣- محمد عبدالله مفتاح، بيشاور- باكستان.

٤- يوسف محمد بحر بلال، كسلا - السودان.

٥- عبدالله بن محمد سافر الغامدي، جدة - المملكة العربية السعودية.

***

أسئلة مسابقة العدد (٢٢١)

السؤال الأول:

نهى الإسلام عن زواج المحلّل، وهو الذي يتزوج امرأة ليُحلّها لزوجها الأول دون أن يدخل بها. ووردت أحاديث شريفة كثيرة في ذمِّه ولعنه. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

***

السؤال الثاني:

صحابي جليل، هاجر إلى الله ورسوله مفتديًا دينه ونفسه بماله، وحين لقيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له مبشرًا: «ربح البيع...». فمن هو؟ صهيب سابق الروم

***

السؤال الثالث:

عرف العرب قبل الإسلام أحلافًا كثيرة بين القبائل، وهناك قبيلتان تعاقدتا على حرب غيرهما من القبائل، وسُمُّوا «لَعَقَة الدم». ماالقبيلتان، ومتى كان ذلك؟

***

السؤال الرابع:

أحد ولاة الدولة الأموية الأشداء، كثرت حوله الأقاويل بين مادح وقادح. قال عن نفسه: «إن أمير المؤمنين نثر كنانته، فوجدني أعجمها عودًا...». فمن هو؟

***

السؤال الخامس:

الرمي بالقوس والسهم رياضة عرفتها شعوب العالم قديما وحديثا، وبرع فيها العرب خاصة. متى أُدرجت - أول مرة - ضمن الألعاب الأولمبية الحديثة؟

***

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال

هَوْ يَشُوبُ وَيَرُوبُ

يضرب هذا المثل للشخص الذي يخطئ ويصيب، والرَّأب: الإصلاح، وأصله يَرْؤُب، ولكن قالوا يَرُوب مكان يشوب.

قال أبو سعيد الضرير: يشوب يدفع من قولهم «فلان يشوب على أصحابه» أي يدافع، ويروب من قولهم «راب يروب» إذا اختلط رأيه، ورجل رائب، وروبان، وقوم روبى.

ويُروى: «هو يَشُوب ولايَرُوب» قاله الأصمعي، ومعناه يخلط الماء باللبن، أي يخلط الصدق بالكذب، ولايَرُوب لأنه إذا خالط اللبن الماء لم يَرُب اللبن.

من أمثال الشعوب

حب الخير هو أدب القلب (مثل فرنسي)

بالنار امتحان الذهب، وبالذهب امتحان الرجال (مثل صيني)

ثلاثة أشياء لايمكن تعلّمها: الكرم، والشعر، والصوت الطروب. (مثل إيرلندي)

صفو الوداد

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلاخير في ود يجيء تكلفا
ولاخير في خل يخون خليله
ويلقاه من بعد المودة بالجفا

قدوة

حين جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس، ورأى الحرم، وحوله أوساخ، لم يضع وقته في إلقاء محاضرة، بل قام بنفسه لينظفه.. وتبعه الناس.

أسرع المخلوقات

يعد النسر الذهبي أسرع الطيور، بل أسرع المخلوقات جميعًا، حيث تصل سرعة طيرانه إلى نحو ١٦٠ كيلو مترًا في الساعة، وفضلاً عن ذلك بإمكانه الطيران لمسافات طويلة دون توقف.

أقدم معاهدة سلام

تعد المعاهدة التي وقعها فرعون مصر رمسيس الثاني، والملك فيتاراز، ملك الحيثيين في آسيا الصغرى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أقدم معاهدة سلام عرفها العالم.

وقد دونت المعاهدة باللغة البابلية على الجدار الجنوبي لمعبد آمون في الكرنك بمدينة الأقصر، وتنص على تعاهد الطرفين على نبذ الحروب بينهما.

بين الخليل وابن المقفع

التقى الخليل بن أحمد وعبدالله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة، فلما تفرقا، سئل الخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ قال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه.

السلامة من الناس

حين قدم حاتم الأصم إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، قال له الإمام: أخبرني كيف السلامة من الناس؟ قال حاتم: بثلاثة أشياء: تعطيهم من مالك ولا تأخذ من مالهم، وتقضي لهم حقوقهم ولاتطالبهم بحقوقك، وتصبر على أذاهم ولاتؤذهم.

التواضع زينة الحكماء

نصح حكيم ابنه فقال: أينما ذهبت تحل بالأدب. وإذا دعيت إلى طعام لاتكن شرهًا، وإذا جلست مع شره لاتقلده، وعليك بالتواضع، فإنه زينة الحكماء.

أغرب عملية جراحية

من أغرب العمليات الجراحية، تلك التي أجراها أطباء روس لمريض في مستشفى سمولتسك بوسط روسيا، حيث استخرجوا من أحشائه ١٧٩ مسمارًا وقطعة عملة معدنية، و١٦٥ ملعقة، واستغرقت العملية ساعتين كاملتين.

عزيز بلاعشيرة

قال بعض العارفين: من أخرجه الله من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه بلا مال، وأعزه بلاعشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسر من العمل، ومن زهد في الدنيا أثبت له الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه وبصره، وأخرجه منها سالمًا إلى دار السلام.

إياك والكبر

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه: يابني إياك والكبر، وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خُلقت، والرحم الذي منه قُذفت، والغذاء الذي به غُذيت؟!

لم ينصفوه

يروى أن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان صعد يومًا المنبر وقال: ألا تنصفونا يامعشر الرعية؟ تريدون منا سيرة أبي بكر وعمر، ولم تسيروا في أنفسكم ولا فينا بسيرة رعية أبي بكر وعمر!

سبب وسبب

سئل الإسكندر الأكبر يومًا: ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب حياتي الباقية.

قصة قصيدة

كان أشعب يروي على مضيفه قصة فقال: كان هناك رجل.. ثم فجأة لمح مائدة الطعام قد أعدت للغداء فسكت وسال لعابه ولم يكمل جملته، فسأله مضيفه ثم ماذا يا أشعب؟ فأجابه الأخير وعيناه تتابعان المائدة: ثم مات الرجل.

هكذا كانوا

قدم الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام لتفقد الجيوش الإسلامية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، فقال عمر لأبي عبيدة: اذهب بي إلى بيتك، وأدرك أبو عبيدة أن عمر يريد أن يرى كيف يعيش قائده، فقال: وما تصنع عندي، ماتريد إلا أن تعصر عينيك عليّ؟ إلا أن عمر أصر على رؤية بيت أبي عبيدة، وكان له ماأراد، حيث دهش حين وجده خاليًا من أي متاع، فسأل قائده: أين متاعك وأنت أمير الجيوش؟ فقام أبو عبيدة إلى مشنة فأخرج منها كسيرات، فبكى عمر وقال: غيرتنا الدنيا كلنا، غيرك أنت يا أبا عبيدة، فأنت كما أنت أو أقل.

عادة غريبة

من العادات الغريبة لقبيلة وابكامو في شرق أفريقيا أنها تعد الرجل غير مؤهل للزواج إلا إذا قتل تمساحًا!

خير الخدم

قال بهاء الدين العاملي: خير الخدم من كان كاتم السر، عادم الشر، قليل المؤونة، كثير المعونة، صموت اللسان، شكور الإحسان، حلو العبارة، درّاك الإشارة، عفيف الأطراف، عديم الأتراف.

أقدم مسرح

يعد تياترو (اوليمبيكو) بمنطقة فيسترا الإيطالية أقدم مسرح في العالم، حيث بني عام ١٥٨٣م، وصمم على الطراز الروماني.

ومايزال هذا المسرح يحتفظ بحالته الأصلية إلى اليوم.

موعظة

دخل طاووس بن كيسان على الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك فقال له: هل تدري من أشد الناس عذابًا يوم القيامة؟ قال سليمان: مَنْ؟ قال: من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه.

فاستلقى سليمان على سريره، ومازال باكيا حتى قام جلساؤه.



أطلال قرية صيادي اللؤلؤ (القرن الثاني عشر الهجري) بجزيرة المسلمية.



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

مغامرة العقل وسكان الكواكب الأخرى*

مروان صبحي عريف

مواليد : اللاذقية ، سوريا ١٩٧٤ م
طالب في المعهد المتوسط التجاري.

ارفع رأسك إلى الأعلى وحدّق عبر الظلام - في ليلة غير مقمرة - بتلك البقع الضوئية التي تراها منتشرة أمام ناظريك، وستشعر فورا بشيء يكتنف مشاعرك يشبه السقوط من سريرك وأنت نائم. وإذا كنت تعرف بعض الأرقام حول حقيقة هذه البقع، فسوف يكون شعورك مماثلا لشعور مكتشف آثار يقف أمام جدث مومياء قديمة.

فأنت تنظر إلى أعظم الأسرار وأكثرها إثارة للغموض في الفكر البشري بعد الموت. وبالرغم من أن رؤيتنا ستكون متواضعة بالموازنة مع محتويات الكون الحقيقي، إلا أنها تكفي لتعطينا ذلك الشعور الذي دفع جدنا الفلكي الأول لطرح أول الأسئلة حول الكون. وجدنا الفلكي الأول هو أول الناس الذين نظروا إلى الأعلى، ولابد أنه أعاد الكرة أكثر من مرة، وصار يحاول تعميق فهمه لماهية هذه الأجرام حتى إني لا أستطيع منع نفسي من تخيله واقفا على أحد المرتفعات متسلقا شجرة محاولاً لمس النجوم، ومن الواضح أنه قد فهم مدى صعوبة هذا الأمر بغض النظر عن الوقت الذي صرفه ليفعل ذلك. وشاء الله أن يكون المخلوق الذي فعل ذلك شكلاً من أشكال الحياة نسميه البشر، وهو مخلوق ورثنا عنه موهبة تتجلى في أننا نلمس بعقل بصيرتنا مالا نستطيع لمسه بيدنا، إذ نستعمل وسيطا آخر للاتصال بمجاهل الكون، وهو الخيال.

وبالطبع لم يتعرف أحد بصاحبنا الفلكي الأول، ولم أتعرف بأحد فعل ذلك، ولكن من الواضح أن محاولته قد لاقت قبولا واستحسانا في نفسه؛ لأنه أعاد الكرة ثانية محاولا تطوير فهمه كلما شعر بأنه لايمتلك شيئا آخر ليصرف وقته بعد أن انتهى من تناول وجبته من مراقبة رفاقه النائمين.

اتفق معظم علماء الأساطير (الانتربولوجيا) على أن أفكار أسلافنا البدائيين حول الكون والوجود تكونت خلال هذه الفترة [عندما لايكون لديه مايفعله] فاستعمل خياله في تكوين مفاهيم بدائية أعطته شيئا من الاستقرار الفكري والرضى في شرح علة الكون والوجود، ونحن الآن بعد عدة أحقاب نطلق على هذه المفاهيم اسم الأسطورة.

وبالرغم من أن أيام الأسطورة قد ولت، إلا أن الخيال استطاع الحفاظ على مكانة جيدة داخل العقل البشري مثبتا أن الإبداع، كوسيلة لفهم العالم، ليس مجرد صفحة في التاريخ قد طويت إلى الأبد، وانتهت عندها آخر فصول الخيال.. ففي هذا الزمان تساءل أحد الناس: أليس من الممكن أن تكون هنالك حياة ذكية في تلك الكواكب؟ فكان بذلك نسخة حديثة عن صاحبنا الفلكي الأول، بالإضافة إلى أن هذا السؤال لايمكن التأكد العملي منه كسؤال أجدادنا عن ماهية النجوم عندما نوازن تقنياتنا التي تعتبر بدائية بفكرة السفر إلى النجوم، إلا أنه - أي السؤال - قد فعل فينا نفس ما فعله سابقه في عقول أجدادنا إذ لاقى قبولا واسعا في الفكر بدليل أنه لايوجد أحد منا لم يفكر بوجود الحياة على سطح كوكب آخر.

فالإنسان عاش بصمت داخل الكهوف واستعمل خياله رغم بدائيته بالتفكير في هذه الأجرام السماوية كحاجة لفهم المحيط، ولعل هذه الحاجة هي التي دفعته فيما بعد إلى بناء أعظم الصروح والمنشآت في تاريخ

* تم اختصار المقالة نظراً لضيق المساحة.

البشرية، ولكنه بقي عاجزًا لأنه لم يقم بزيارتها أبدا، ونحن الآن نعيش في قلب أعظم حضارة، ومازلنا نمتلك ذلك الحس البدائي الذي يصرخ في داخلنا متعطشا للمعرفة وكشف الغموض حول الأجرام السماوية، فالقدماء اعتبروا النجوم مخلوقات ربانية حية لها صلة قوية في أقدارنا.(١)

نحن نحس بالكبرياء عندما نقرأ عن هذه الأفكار التي آمنوا بها، ولكننا نتحدث فيما بيننا عن الحياة في الكواكب الأخرى، فالصورة لم تتغير جذريا، فليس هنالك فرق فعلي بين كوكب حي وكوكب (مادته حية)، كما أنه في الحالتين ليس هنالك وسيلة لإدخال صيغة اليقين أو النفي عن حياة (أو الحياة) في الكواكب النجمية الأخرى.

والحديث في هذا المجال ينقسم إلى شطرين: الأول: هو احتمال الحياة في الكواكب الأخرى، والثاني: هو أن تكون هذه الحياة قد تطورت لتصبح عاقلة وقادرة على إرسال مركبات مأهولة إلينا.

- هل هنالك حياة في بقع أخرى من الكون؟

في البداية يجب أن نفهم ولو قليلاً هذا الشيء الذي نبحث فيه عن الحياة أي الكون، ونحن نعيش في زاوية شبه منسية من هذا الكون هي كوكب معطاء حنون وهش نسميه الأرض، وتتبع هذه الأرض بالإضافة إلى عدة كواكب أخرى مسارات فلكية بالغة في الكبر حول نجم محلي نسميه الشمس، وأقرب نجم من نجمنا هو النجم ألفا سنتوري الذي يبعد عنا ٤,٣ سنة ضوئية أي ٣١٧٣٦٠٨٠٠٠٠٠٠٠كم (٢)

شمسنا وجارها البعيد هذا مجرد نجمين من ٤٠٠ مليارنجم يشكلون جزيرة هائلة في المادة الكونية اسمها مجرة درب التبانة (MILKY WAY)، ونجمنا مجرد مثال مفرط في البساطة بين أنواع غريبة جدا من النجوم التي تفصل بينها مسافات بالغة الكبر، حتى إن احتمال أن نجد أنفسنا على أو قرب نجم ما سيكون أقل من واحد من مليار ترليون ترليون إذا مادخلنا الفضاء الكوني مصادفة، أي واحد وعلى يمينه ٣٣ صفرا، ومن كل هذه العوالم لايعرف سكان الأرض إلا نجما واحدا هو الشمس. وفي الكون المرصود يوجد حوالي ١٠ مرفوعة للقوة ١١ مجرة، ، وفي كل مجرة يوجد مئة مليار نجم في المعدل، أي إنه يوجد عشرة مرفوعة لقوة اثنين وعشرين، أو - عشر مليارات ترليون - وبما أن نجمنا متوسط فإن ثقالته كانت مناسبة جدا لاحتواء عدد من الكواكب، واحد منها على الأقل فيه حياة، ولهذا فإن المعدل المتوسط للنجوم التي سوف يكون فيها كوكب واحد على الأقل مناسب لقيام الحياة هو عشرة مليارات ترليون كوكب، فلماذا كنا نحن المحظوظين فقط من بين كل هذه الأجرام في وجودنا على كوكب مناسب للحياة تماما؟

وقد يخطر ببال أحدنا أنه كان للمصادفة الدور الأكبر في جعل كوكبنا ملائمًا تماما للحياة، حيث الطقس المعتدل، والماء السائل، والجو الأكسجيني، وغير ذلك، وأن هذه الشروط قد لاتتوافر في الكواكب الأخرى، وإذا لم تتوافر فليس هنالك حياة فيها؛ وهذا خلط بين السبب والنتيجة، فنحن إنما نشكل ذروة تطور أحيائي تكيف بشكل مثالي مع بيئة كوكبنا، حيث إن نشوءنا كان أصلا في كوكب فيه المواصفات السابقة، وبالتالي فلايشترط أن تكون الحياة في الكواكب الأخرى مشابهة تماما لشكل الحياة التي تكون على الأرض، بل ستكون متكيفة مع الظروف التي نشأت فيها هذه الحياة.

فتعال نفترض أن كوكبنا قد تغيرت فيه الظروف الأحيائية تماما، ومضت ملايين السنين فسنرى أنواعا مختلفة من الحياة تسود على الأرض، وقد تكيفت أعضاؤها مع ظروفها الأحيائية المحلية.

فالعناكب والعقارب والصراصير والكثير من أنواع الحشرات تستطيع الصمود أمام جرعات ضخمة من الإشعاع، فلو قامت حرب نووية دمرت كل أشكال الحياة على الأرض، وتوافرت سلسلة أحيائية بدائية تناسب ما بقي من حشرات من حيث الغذاء والظروف المعيشية الأخرى، ونظرنا إلى الكوكب بعد ملايين السنين فسنرى أنواعا مختلفة كليا من الأنواع الحشرية، وقد نجدها قد تطورت إلى حيوانات قد بدأت منذ فترة قصيرة بالنظر إلى أعلى.

ولانستطيع أن نكون موضوعيين عندما نكون مرتبطين بفكرة أننا، كأذكياء، يجب أن تكون المخلوقات الذكية الأخرى مشابهة لنا، ولابأس ببعض تلك الإضافات الكاريكاتورية التي أضافها مخرجو (السينما) عندما تصوروا المخلوقات القادمة من العوالم الأخرى بل لابد أن يكونوا مختلفين عنا.

فأهل المريخ مثلا سيبدون أغبياء بالنسبة إلينا إذا ما انتظروا منا التنفس بحرية على سطح كوكبهم، لأننا لا نتنفس سوى الهواء الأكسجيني، أما هم فسيتنفسون مايحتويه هواء كوكبهم، لذلك يجب أن نتخلى نهائيا عن فكرة (البشرية العاقلة) عندما نريد البحث بشكل علمي عن الحياة.

حتى الآن تبدو الدلائل العلمية متجهة نحو تأكيد تلك الظواهر التي تحدثت عن الزوار من الكواكب الأخرى والأطباق الطائرة، ولكن للأسف فإن العلم الذي يؤكد وجود الحياة على الكواكب الأخرى يؤكد تماما عدم إمكان التواصل معها.

الهوامش :

(١) مغامرة العقل الأولى: فراس السواح - دمشق

(٢) بلوغ سن الرشد في المجرة: تمثي فرس - دار الكتب الأردنية

التعليق

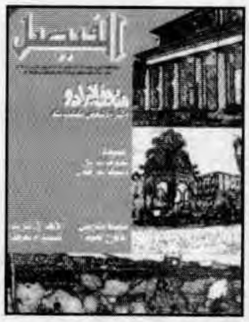
لقد نجح الكاتب الشاب في شد انتباه القارئ إلى موضوع يبعد به عن واقع يعيش فيه حياته مع الناس. ويتوق بخياله إلى هذه العوالم البعيدة المغلَّفة بالغموض.

الموضوع خيال علمي خصيب نسجت حوله قصص كثيرة وأخرجت عنه أفلام عديدة، وأعطى لسكان الكواكب الأخرى (المفترضين) قوى هائلة، ووسائل علمية مذهلة... ولكن يبقى سؤال العلم قائمًا: هل هناك حياة ما على غير هذا الكوكب الأرضي؟ ... سؤال ردده العلماء، ومايزالون يشعرون بالعجز عن الإجابة عنه... وقد وُفِّق الكاتب الشاب في بسط موضوعه بلغة علمية واضحة تحاول أن تحيط بجوانب الفكرة على أسس فلكية ورياضية غدت بمنزلة المعارف العامة الثابتة.

قدرة الكاتب اللغوية حسنة، وينصح له بأن يزيد من عنايته بضبط الكتابة من حيث الدقة في رسم الهمزات، وتجنب بعض الأخطاء النحوية وإن كانت قليلة جدًا.

عاصم البيطار

نريد خطوة عملية



قرأت المقال المنشور بالعدد ٢٠٦ في باب «على موعد»، في بداية الأمر قراءة عادية، لأنني قلت لنفسي حينها إن هذا الموضوع بقدر ماهو مهم وحيوي فهو لن يجد طريقة للعبور على الجسر الموصل إلى المسؤولين عن التربية والتعليم الابتدائي في وطننا العربي، ولهذا لم أرسل أي رسالة أو تعليق حول هذا الموضوع المهم. وبالفعل لم أجد حتى الآن ردا واحدا حول هذا الموضوع من قبل أحد المسؤولين العرب عن التربية والتعليم الابتدائي على صفحات مجلة «الفيصل»، أو إحدى المطبوعات الأخرى الكثيرة في الوطن العربي.

ولكن الذي دفعني إلى كتابة هذه الأسطر المقالات التي نُشرت في باب « مناقشات وتعليقات» ردًا على المقال المذكور، وذلك في الأعداد: ٢١٠ و٢١٤ و ٢١٥ و٢١٦. فالمقال الأول تحت عنوان «تربية جديدة للمعلمين» بقلم الأستاذ عبدالغفور الخطيب، والثاني تحت عنوان «لاتظلموا المدرسين، فليسوا المسؤولين كليا» بقلم الأستاذ عبداللطيف جلاب، والثالث رد على الأول بعنوان «هل هو تعصب نسائي؟!» بقلم المدرّسة الآنسة فادية العمر، والرابع رد على المقال المذكور وعلى المقال الأول بعنوان «حتى لاندفع الثمن: أفكار أخرى». بقلم الأستاذ سعد مهدي بني هميم، والخامس جاء تحت عنوان «معلمة تكتب عن معاناة أهل المهنة: كيف يبني المعلم والمجتمع يهدم؟» بقلم الآنسة أمية أحمد الأسعد.

لقد جاءت هذه الكتابات والمقالات - والحمد لله - لصالح الطفل العربي أولاً وآخرًا، فالطفل هو عماد الوطن المستقبلي - وهو الأساس في بناء مجتمع عربي سليم، ولكن ما الأساس الذي يجب أن يبنى عليه هذا الأساس للنهوض بالأمة العربية بشكل علمي وعملي؟

إننا جميعنا كنا أطفالاً، وكُلُّنا تلقّى علومه الابتدائية والإعدادية والثانوية وحتى الجامعية، وبعودة بسيطة إلى الذاكرة يمكن لأي منا أن يتعرف على حقيقة المشكلة، نعم مشكلة الأطفال والتعليم الابتدائي، وإذا لم تكن مشكلة فإنها قضية عربية، حلها وعلاجها في أيدي العرب.

إننا بتحليل ذاتي نجد أننا نغالط أنفسنا ونغالط المجتمع، وأننا قد أخطأنا مرتين: مرة حينما صدقنا أنفسنا، ومرة حينما نتكلم عن هذا الصدق إلى الناس.

إذًا لماذا لانترك الأطفال يتكلمون ويفصحون عما في داخلهم من كلمات وأسرار صادقة حول عملية التعليم؟

إن هذا العمل لايكلفنا الكثير إذا ماأردنا أن نحصل على جيل عربي مستقبلي بعيد عن الغربة الغربية قريب من الذات العربية، وهو يتلخص في إنشاء أو تشكيل لجان تقوم بدراسة واقع التعليم الابتدائي في وطننا العربي، ومقارنة العملية التعليمية بين المدرسات والمدرسين في مدرستين مختلفتين، إحداهما تديرها مدرسات والأخرى يديرها مدرسون.

إن هذه العملية قد تأخذ وقتًا طويلاً أو لاتأخذ، وذلك بحسب تفهم الفكرة ووضوحها والاقتناع بها من قبل المسؤولين عن التعليم الابتدائي في وطننا العربي.

فكيف يمكن أن نقوم بعملية أساسية تعليمية لجيل يتراوح عمره من ست سنوات إلى عشر سنوات من قبل مدرسين ومدرسات أو مساعدين ومساعدات حديثي التخرج، وليس في جعبتهم أي نوع من الخبرة أو التمرين على هذا النوع من العمل، وليس لديهم القدرة على تقديم ماهو أساسي لهذا الجيل المستقبلي؟

وكيف نترك أصحاب الخبرات والمتمرسين الذين يمكنهم صنع أجيال وأجيال على أساس متين وقوي الهيكل والبنيان، لنعتمد على جيل من المدرسين والمدرسات هم بحاجة إلى أساس علمي لعملية التدريس؟

يسرني أن أورد هنا ثلاثة آراء خاصة حول تلقي الأطفال علومهم الابتدائية من قبل مدرسات حديثات التخرج أو مدرسات ذوات خبرة:

الرأي الأول: إذا كانت المعلمة جديدة في حقل التعليم الابتدائي، ولديها الموهبة والقدرة على إعطاء الأطفال العلوم الابتدائية بالشكل المطلوب والصحيح حسب خطة دراسية ناجحة تتبعها، وتكون ذات أسلوب رشيق وشيّق في تقديم الدروس، إضافة إلى مظهرها ولباسها الجيد وأخلاقها الحميدة، عندها تكون قد استكملت متطلبات عملها معلمة في القسم الابتدائي، ومن ثم تنشئ جيلا عربيا

مستقبليا بصحة جيدة.

الرأي الثاني: أن الطفل بطابعه الطفولي البريء قد يرى أن المعلمة هي أمه الثانية في الصف (قاعة التدريس) وبالتالي يمكن أن يكون قريبا منها أكثر مما لو كان مُلقي العلوم والدروس مدرّسًا أو معلّمًا، فالمعلمة بطبيعتها أكثر حنانًا وعاطفة من المعلم.

الرأي الثالث: وهو شخصي جدًا: أنه إذا توافرت الشروط المطلوبة في مُدرِّسة أو معلمة المرحلة الابتدائية فإنها يمكن أن تؤسس وتنشئ جيلا عربيا، أساسه متين وقاعدته صلبة ولايمكن لأحد أن يزعزعه، ففي هذا كل الصلاح والخير للجيل وللمعلمة وللمجتمع، بشرط أن تحافظ المعلمة على شروط العمل كمعلمة فقط.

محمد رضوان الأنظامي
دمشق - سورية

الحقيقة التي وحدها خالدة



بشغف واهتمام كبيرين قرأت موضوع الأستاذ محمد منذر لطفي: «في النقد الأدبي وهمومه» العدد ٢١٦ من مجلة «الفيصل» الرائدة. عالج الكاتب فكرة النقد على بساط البحث طارحًا القناع عما يشوبها ويكتنفها، هواجس تراود الكاتب ولسان حاله: أين النقد المبرّأ من الهوى والغرض والمتاع الرخيص، يخفق فوق الذرا لايعبأ بالعاصفة قد تطوّح به أو تأتي على بنيانه من القواعد، يستوي لديه المدح والذم؟! لقد غدا النقد - للأسف - رياء وسمعة وتفاخرا بين النقاد أنفسهم يرفعون هذا ويخفضون ذاك، لكأنهم في ميدان الوغى لأيُلقى فيه السلاح حتى تشرع كل طائفة في إحصاء عدد القتلى والجرحى، هاتفة: ما أقل الضحايا. لاجرم، غدًا الوقيعة الكبرى! وتُهرع سيارات النجدة لتقل من تقل حيث العناية المشددة، لَمَّا تلتفت للمغمورين الذين لايجدون ما ينفقون، الذين يتولون وأعينهم تسفح دمعًا مدرارًا، ليلفظ من شاء منهم أنفاسه الأخيرة أو يقتل من شاء منهم نفسه، يغمد يراعه في صدره!

لقد أحسن الأستاذ الكاتب، بيد أنه قفز قفزة عالية زاغت عنها - هنالك - الأبصار. وقبل أن أسطر الذي عليه الحق أقرر بأن ما أكتبه ليس إلا كلمة أخطها على جناحي طائر، ولعل الله يمنّ عليّ بالصحة فأنهض مفندًا الدعاوى التي تلصق زورًا بـ (الالتزام) وذلك في مقال.

قد تكون الدعوة للالتزام مثيرة، وتتجلى إثارتها في صداها الذي لم يزل يدوي ، ولكن المثير حقًا أن نذهب بعيدًا فنحط من قيمة هذه الكلمة، نرضى عنها عندما تحقق غايتنا، ونتولى عنها حيث تبخس قدر هذا الكاتب أو ذاك (أي حين تقيّده فلايسعه الفكاك منها)، إن للالتزام تبعات حتى للذين يلتزمون نمطًا معينًا، ثم ماذا يعني الالتزام؟ هذا إذا رغبنا أن نصيب عين الحقيقة لايمنعنا الحياء من أن نشير بأصابع الاتهام إلى المجرم ولو كان من ذوي القربى!

لقد التزم نزار في شعره المرأة التي هي أم وأخت.. وانطلق يسطر ماتوحي به شياطين الإنس قبل الجن، وليس لأحد أن يطاله أو يعلن النكير عليه، والتزامه واضح لا لَبْس فيه ولاغموض بل هو عين الالتزام! أما من التزم الفكر النزيه والأدب الرائد فهو مطروح (مُدان) وغير مُجد تعيين أيّ محام. نعم، إن للكتّاب والنقاد بالضّرورة الحق كله في التزام أيّ ضرب من ضروب التفنن لتشويه معالم صورته بل وتمزيقها. لماذا؟ لأنه لم يشأ إلا الأدب (معنى ومبنى) ولم يبصر إلا الفضيلة، يأبى أن يكون مداد قلمه من ذلك الماء الآسن، خلافًا لمن التزم الأدب العاري (إن جاز معنى الأدب هنا) بله من أعلن الكفر البواح واستباح المقدسات. إنه الشاعر لأنه رفض صلفًا وغرورًا أن يقيد أدبه بقيود ليست من صنعه هو، إنه الشاعر حتى وهو يخبط خبط عشواء

لقد استحب نزار العمى على النور، وليس في التزامه (معذرة لتكرار كلمة الالتزام) غضاضة عند الذين يتعاهدون شعره بغبطة، عند نزار نفسه إذا اصطفى «اللون» الأحمر على غيره تأثرًا وهاتفًا في آن معًا: أنا حر وأنتم لستم أحرارًا! ولكن لماذا اصطفى (القباني) الأحمر، لماذا سلك ذلك الطريق؟ لأنه مهوى الأفئدة ومحط الأنفس، لأنه الممنوع.

والممنوع مرغوب أيًا كان. ولم يحد عنه خلا مواطنَ، وهو في هذه المواطن يرعد ويزبد متهما العرب. أليس لنا أن نتساءل جميعًا: كم قطرة سالت من دمه الحار؟ كم.. وهو يتقدم الجيوش لايشق له غبار؟ كم.. ونحن نتجاهل - ربما عن عمد - جسده المثخن بالجراح؟

حبذا لو تكلم الأستاذ محمد منذر لطفي عن الذي يجب «ألا يغرب عن البال أني هنا في هذه الكلمات القليلة المكثفة لن أتعرض بالحديث عن الأسباب والدوافع التي حدت بكل منهم لاختيار لونه المفضل وتبنّيه له، وإيثاره

على بقية الألوان، ذلك أن هذا الانتقاء نابع عن الذات، وله جذوره التي تعود إلى مجموعة من العوامل النفسية والاجتماعية، بالإضافة إلى عاملي البيئة والاستعداد الشخصي، والتي لا مجال لشرحها الآن أو ذكرها بشيء من التفصيل، أو تسليط الأضواء عليها بغية سبرها واكتشاف ينابيعها ومصباتها». حبذا ثم حبذا فهي من الأهمية بمكان، وحسبه حسبه بكلمات «مكثفة».

وأخبرني - نشدتك الله - أنّى لي أن أطرح اللائمة عنه وهو لم ينفك يدور في خبل حول المرأة - فدتك نفسي أيتها الأم - كيف وهو يديم النظر إلى جهة واحدة - ملتزمًا - غافلاً عن الجهات الأخرى؟! هل نحصي تلك الكتب التي تفيض بالحديث عن الحب، والكتب التي ترتدي ثوب العلم بل ثوب الحضارة؟ هَلُمّ أيها القارئ وتقدم منهم - ذكرانًا وإناثًا - بين يديك قصيدتان: الأولى أدبية سامية، والثانية (... ...) للشاعر المقدام... ...؟

وتحت هذا العنوان «سؤال يسيء إليك» استشهد الكاتب الكريم بالشاعرحامد حسن معروف: «للأدب والفن أخلاقيتهما، هذه الأخلاقية تحدد سلوكية الأديب ورجل الفن، وإذن ليس لك أن تسألني هل أنت ملتزم «مُنتم»». جميل جميل ولكن هل نحظى بهذه الأخلاقية في شعر نزار، هل يوصف بأخلاقية ما؟ بدهي أننا نتحدث هنا عن الملاك.. الجنس اللطيف. ويمضي ناقلاً: «هذا السؤال، مجرد هذا السؤال. يسيء في نظري إليك إلى مفهومك للأدب والفن. لك أن تقول: إن لكل أدب قضاياه، لكل أثر أدبي قضيتهُ، فما هي القضية هنا؟!».

لن أتوجه بالإساءة، ولن أغمز من قناة عيني، هامسًا: أين هي قضية أدب العري والفحش والكفران.. أين أين ثمراته (آثاره)؟ لنتابع مايقوله الأستاذ الشاعر حامد: «لكن - مع هذا - أظل منسجمًا مع ذاتي، وذلك خير ألف مرة من غيرية وازدواجية مكذوبتين!». إن الثنائية ملفوظة بل ممقوتة أيًا كانت، والمعوّل عليه أولاً وآخرًا (الصدق). ها أنذا أطرح السؤال: هل تبرأ نزار من تلك الغيرية والازدواجية؟ هل سلم منها معًا وهو رغيب بذلك «اللون»، هل هو - حقًا - الأقرب لنفسه (ليس بين القوسين فرجة)؟! لو شمخ نزار عنهما لظل اسمه مغمورًا لايشار إليه إلا على استحياء!

لقد ظفر الكاتب المصري نجيب محفوظ بجائزة نوبل، ولم يظفر بها من هو أحق منه. وبالأمس القريب نال الزعيم ياسر عرفات (الكتف) من جائزة نوبل. ترى، هل يأتي ذلك اليوم فيخطف الشاعر نزار قباني جائزة نوبل؟ أقول عن المرأة؟ لقد نال جائزة الشاعر «سلطان العويس»، وإن كان بين الجائزتين بون كبير كبير.

حسبي، ولن أفصل القول تفصيلا - الآن - عن عشاق نزار عشاق الهوى حيث دار، فقد كان محمد عمر شوبك هو الأديب الألمعي في أعينهم حتى إذا اقتحم سجف نزار وهتكها غدا مكروها. لاضير!

وما من كاتب إلا سيفنى
ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء
يسرّك في القيامة أن تراه

ختامًا، لابد منها شهادة - لو وسعني لدونتها بماء الذهب - أهتف بها من أعماق أعماقي: طوبى لكم أيها الأستاذ الفاضل زيد، طوبى لكل يد تصنع لبنة في هذا الصرح الإبداعي الممتاز «الفيصل»، وأبقى الله هذا المنبر «مناقشات وتعليقات» نتفيأ ظلاله. والسلام.

محمد عمر شوبك
حلب - سورية



محاولة خاطئة

كتب مبارك عزام في العدد ٢٠٨ الصادر في نوفمبر ١٩٩٤م مقالة بعنوان «زكي نجيب محمود: أي تجديد للفكر؟» وأود أن أوضح أولاً أنني من أشد المعارضين لمنهج زكي نجيب محمود الفلسفي والمنطقي الذي ظل يدعو إليه طيلة حياته، ألا وهو المذهب الوضعي المنطقي. ولكنني حينما نظرت إلى الجانب الآخر من فكر زكي نجيب محمود وجدته مملوءا بالتنوير لأمتنا، واعتززت به مفكرا عربيا قديرا. وأدركت كيف أخذ على عاتقه تنوير هذه الأمة والدعوة إلى المعاصرة وإلى الاعتزاز بالماضي وبالتراث، وليس كما يظن بعضهم عكس ذلك، ومن خلال وجهة نظرهم الضيقة ومن خلال عدم إلمامهم بفكر هذا المفكر العربي.

وإنني أود أن أبين للقارئ، ومن خلال كتاب واحد فقط من كتب زكي نجيب محمود يضم بعض مقالاته، أنه لم يدع مطلقًا إلى نبذ التراث وكل ما هو قديم. وأسوق لكم بعض العبارات التي ذكرها في كتابه «نافذة على فلسفة العصر» لكي أزيل أي غموض حول فكر هذا الرجل.

أولاً: نجده يطرح علينا هذا السؤال المهم ويجيب عليه: كيف يتاح للعربي المعاصر أن يتابع السير على طريق العربي القديم، لتجيء عصريته عصرية وعربية معًا؟

والإجابة المقترحة هنا هي: أن يكون ذلك باتخاذ الوقفة نفسها التي وقفها سلفه، لينظر للأمور بالعين نفسها، ولا على الاكتفاء بالتراث القديم لذاته، فإذا كانت قد عرضت للأقدمين - مثلا - مسألة (الكبائر) ومرتكبيها، أيعدُّون كفارًا لارتكابهم الكبائر، أم يظلون على إيمانهم برغم ما اقترفوا؟ فهل يجوز - والكلام هنا للمفكر العربي المعاصر - أن يقف من الأمر عند حد تلاوة هذا الخبر مرة وألف مرة، ليزعم أنه بذلك يحيي التراث؟ كلا، بل الإحياء الصحيح هو أن يأخذ العربي المعاصر من موقف العربي القديم صورته لامادته، فيأخذ مثل هذه الوقفة العاقلة المتَّزنة المتوسطة بين مشكلة مرتكب الكبائر ليطبقها بعد ذلك فيما يعرض له هو من مشكلات عصره.

ونجده يحدثنا ويحثنا على الاهتمام بتاريخ أمتنا تحت عنوان «لكل أمة تاريخها» فيقول: لكل أمة تاريخها، لكل أمة ماضيها الذي أصبح - أو يجب - أن يكون جزءًا من حاضرها، فمثقفو اليوم بغير تراث ينظرون إليه، هم حبات مفردة يعوزها الخيط الذي يسلكها في عقد واحد، وكذلك لو هبط علينا التراث بغير مثقفين يتناولونه تناولا خلاّقا فيه مشاركة وإبداع، سيظل قشرة دون لباب.

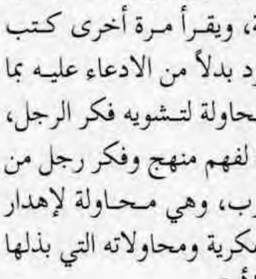
ونجده يحثنا على الاهتمام بالتراث الفكري لكي نكون أمة الاعتدال في الفكر والعمل فيقول: في العصر الذي اشتدت فيه عنصرية اللون والجنس والدين، وازداد البطش واتسع الظلم، نجد في تراثنا الفكري مايضع بين أيدينا وقفة مثلى، فيها التسامح وفيها العدل والاعتدال، وفيها المساواة وفيها تدرج القيم من الأعلى إلى الأدنى، خطة للسلوك السوي، ولو نسجنا من هذه الخيوط نسجا ثقافيا يتناول قضايا عصرنا، لكان لنا بذلك مايصح أن نوصَفَ بسببه بأننا أمة الاعتدال في الفكر والعمل، أمة تجمع بين العقل والدين، وبين الدنيا والآخرة، بين الفرد والجماعة، أمة لو سار حاضرها على نهج ماضيها جمعت بين ثقافة الروح وحضارة العيش.

ونجده مرة أخرى يطالبنا عند تناولنا التراث القديم وتناولنا الفكر الغربي. ألا نكون أحد رجلين، فيقول: نحن أحد رجلين: فإما ناقل لفكر غربي، وإما ناشر لفكر عربي قديم. فلا النقل في الحالة الأولى، ولا النشر في الحالة الثانية يصنع مفكرًا عربيًا معاصرًا، لأننا في الحالة الأولى سنفقد عنصر (العربي)، وفي الحالة الثانية سنفقد عنصر المعاصرة، والمطلوب هو أن (نستوحي) لنخلق الجديد، سواء عبرنا المكان لننقل عن الغرب، أو عبرنا الزمان لننشر عن العرب الأقدمين.

من هنا، ومن خلال هذه المقتطفات السريعة من فكر هذا الرجل أقول إلى من يهمه الأمر: عليه أن يراجع بعناية، ويقرأ مرة أخرى كتب زكي نجيب محمود بدلاً من الادعاء عليه بما يقوله الآخرون في محاولة لتشويه فكر الرجل، وتلك محاولة خاطئة لفهم منهج وفكر رجل من أعظم مفكري العرب، وهي محاولة لإهدار مجهوده ومكانته الفكرية ومحاولاته التي بذلها في سبيل تنوير هذه الأمة.

محمد هاشم عبدالسلام
السويس - مصر

هناك فكر مستقل



«نعم هناك فكر مستقل» هذا عنوان مقالة نشرتموها في العدد ٢١٦ في باب «على موعد» وفي تلك المقالة يتحدث الكاتب عن وجود الفكر المستقل عند الإنسان في غياب الانتماء والتبعية، وذلك ردًا على زميلين له أشارا عليه بضرورة الانتماء، والآخر عجز عن فهم الانتماء الحقيقي له.

وبما أن الحوار وسيلة للتفاهم والتواصل بين البشر ووسيلة لتذليل الصعاب وإماطة اللثام عن الغامض من الأمور وتحطيم الحواجز بين العقول والقلوب بهدف الوصول إلى رأي مشترك أو وجهة نظر موحدة مبنية على الحجة البينة والدليل الساطع، فقد لجأت إلى الحوار مع الكاتب حتّى نصل وإياه إلى رأي مشترك في براءة الانتماء وإخراجه من قفص الاتهام.

لقد عُرف الانتماء منذ الحياة الأولى للبشرية حيث النسب إلى الأب والأم، ثم ارتقى الانتماء في مراحل لاحقة، وتوسعت دائرته ليصبح انتماء الإنسان إلى العشيرة والقبيلة حيث الحماية والأمن والاستقرار، ثم كان انتماء الإنسان إلى الأرض والوطن والأمة. وقد احتوت سجلات التاريخ صورًا شتى تروي لنا قصة الانتماء وتاريخه

ومراحل تطوره ودوره في حماية الفرد والجماعة.

ولن أقف في هذه العجالة عند التفاصيل الكثيرة أو رواية هذه القصة بكاملها، إلا أنني أُذَكِّرُ الكاتب ببعض هذه الصور التي اختزنتها الذاكرة. ففي الديانات السماوية صور واضحة لانتماء الأفراد لعقيدة آمنوا بها ودافعوا عنها، وإلا فكيف تحطمت أصنام مكة؟ وكيف وصل العرب إلى الأندلس وجنوب فرنسا وسمرقند لولا انتماء أفراده إلى العقيدة الإسلامية والإيمان بها والدفاع عنها، وهل تتذكر كيف احتاج نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم في بدايات الدعوة إلى سند وعون في سبيل نشر دعوته (من جَدّه ثم عمه وزوجته أم المؤمنين خديجة)؟ وبلال رضي الله عنه الذي افتقر إلى وجود القبيلة التي تحميه كيف حلّ به العذاب نتيجة إعلان إيمانه بالدعوة الجديدة، حيث عُذِّبَ أبشع عذاب في سبيل الدعوة.

فالانتماء في حياة البشرية حالة طبيعية وصحية ليست مرضية - كما يعتقد الكاتب - والإنسان بطبيعته يميل إلى الاجتماع ويطمح إلى حياة رحبة يسودها الاستقرار والطمأنينة ويبحث عن مستقبل أفضل في إطار الجماعة، فنجده يسلك سلوكا يتوافق وحاجاته النفسية والاجتماعية والصحية وطبيعة الانتماء أو شروطه.

فالانتماء الواعي لاينفي إطلاقًا شخصية الفرد أو يمسخها، بل يؤكد هذه الشخصية ويسهم في بنائها البناء الصحيح.

وإذا سمح لي الكاتب بسؤاله: لماذا عجز صديقك الذي حاول بكل وسائله الفكرية عن معرفة حقيقة انتمائك وتبعيتك؟

كُلنا نعرف أن من سمات الكاتب أو الشاعر وصاحب الفكر المستقل الصدق والوضوح والابتعاد عن الغموض والضبابية، كي لايُسهم في ضياع من يقرأ له أو يستمع إليه، لأن الكلمة يمكن أن توظف لصالح الخير أو الشر، ولها من الخطورة الشيء الكثير، فصاحب الكلمة مسؤوليته كبيرة بل أكبر من حامل البندقية، ومن هنا نقول لصديقنا : لماذا أنت عصي على الفهم - كما تقول - وأنت الكاتب وصاحب الكلمة والفكر المستقل الذي يجب أن يصل إلى العقل والقلب بأقصر الطرق وأقل الجهد؟

أما قرأت في كتاب الجاحظ «البيان والتبيين»: «لايكون الكلام بليغًا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلايكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك» فلماذا ياصديقي تقول: «فكان من المستحيل عليه ولو قضى سنوات من النقاش والأخذ والرد معي، أن يصل إلى معرفة الفئة التي أتبعها...»، ويتابع الزميل قوله: «فأنا أتبع فقط الإنسان والأمة والوطن والخير والحق والعدالة». فهل من ينتمي إلى الإنسان والوطن عصيٌ على الفهم ويحتاج إلى معجزة كي يُفهم سره؟

لا أعتقد أن الأمر كذلك، فلم نحتج إلى معجزة كي نعرف انتماء بدر شاكر السياب إلى الوطن والأرض حين يقول:

قرأت اسمي على صخرة
على أجرة حمراء
هنا في وحشة الصحراء

وكذلك انتماءه إلى أرض الرافدين إلى جيكور إلى بيته الطيني المتهدم:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

وهذا الشاعر العربي الكبير نزار قباني يعبّر عن انتمائه للأرض للوطن للشام:

هذي البساتين كانت بين أمتعتي
حين ارتحلتُ عن الفيحاء مُغتربا
فلاقميص من القمصان ألبسُه
إلا وجدت على خيطانه عنبا

أليس هذا هو الانتماء؟ ألم نصل إليه ونلحظه دون عناء كبير؟

وها نحن أمام بلاغة الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري الذي يعبر عن انتمائه للأهل للشعب للأرض بقوله:

شممت تربك أستاف الصبا مرحًا
والشمل مؤتلفًا والعقد مؤتلقا
وسرت قصدك لا كالمشتهي بلدًا
لكن كمن يشتهي وجه من عشقا

ولا أعتقد أن أحدًا يحتاج إلى سنوات طويلة تحول بينه وبين فهم انتماء الشاعر إلى أهله وأرضه ووطنه. ثم نأتي لنقول للزميل العزيز الذي يسخر من صديقه الذي نصحه بالانتماء إلى جماعة تؤازره: ما الضير في طلب المؤازرة من فرد أو جماعة تنتمي إليها؛ فهذا نبي الله موسى عليه السلام يتوجه إلى خالقه بالدعاء ليجعل له وزيرًا من أهله ﴿واجعل لي وزيرًا من أهلي هارون أخي أشدُدْ به أزري وأشركه في أمري﴾ طه ٢٨ - ٣١.

فلماذا السخرية من صديقك وأنت صاحب الفكر المستقل الذي يملك الاستقامة والموضوعية والنزاهة كما تقول.

ويعبر الكاتب أيضا عن رفضه التبعية ويجعلها ضد الاستقلالية، فلا نعلم المعايير التي يضعها لأحكامه هذه التي يطلقها، ويتناسى أنه في كثير من وجوهها تُعَدُّ ضرورة حيوية يتعلم فيها الجاهل من المتعلم والصغير من الكبير والتلميذ من أستاذه والطفل من أبيه. فهل في تعلم الطفل من أبيه المشي وهو يتبعه هنا وهناك رفض لاستقلاليته وتقييد لحريته؟ ألم يرد في القرآن الكريم قول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت إني جاءني من العلم ما لم يأتك فاتّبعني أهدك صراطًا سويا﴾ (مريم٤٣).

إذا فنحن نقول: نعم هناك فكر مستقل، ولكن في إطار الانتماء الواعي للإنسان، لأن الاستقلالية في غياب الانتماء الواعي ضياع، ولانريد أن نقع في شرك الاستقلالية التي هي أشبه بدعوة النظرية العبثية في الفن التي لم يجد الفنان فيها انتماءً إلى التراث إلى العقيدة ولا إلى الوطن، بل حالة ضياع في غياهب المجهول وضياع للشخصية. وأظن أن هذه هي حالة العبودية.

لطوف العبدالله
دمشق - سورية

ردود خاصة

الأخ حسن بن البشير التونسي - مكة المكرمة:

عناوين الأدباء الذين ذكرتهم هذا بيانها: الأستاذ عبدالله بن خميس: ص.ب ١٧٩٨ الرياض. الدكتور حسن بن فهد الهويمل: ص.ب ٨٧٣ بريدة. الدكتور إبراهيم العواجي: وزارة الداخلية، الرياض. أما الدكتورة أسماء أبو بكر محمد فلايتوافر لدينا عنوانها.

الأخ محمد سعيد الحامدي - المكلا - حضرموت - اليمن:

شكرا على الملحوظات المهمة التي ذكرتها في رسالتك حول توزيع المجلة في حضرموت، وقد أبلغ القسم المختصُ شركة التوزيع ذات العلاقة تلك الملحوظات.

الأخ برقا عبدالقادر بن علي - ورقلة - الجزائر:

نرحب بمقالاتك، ولايمكننا تحديد مدى ملاءمتها للنشر إلا بعد الاطلاع عليها، ومعذرة لعدم الرد عليك بشكل خاص حسب رغبتك.

الأخوين: الطاوسي محمد - سيدي سليمان - المغرب، هارون أبو بكر أندولو - الخرطوم - السودان:

يمكنكما مراجعة الملحق التعليمي في السفارة السعودية في بلديكما للاستفسار حول إمكانات الدراسة في المملكة العربية السعودية أو الحصول على منحة دراسية وشروط ذلك.

الأخ مولع محمد الأسمري - باللسمر - أبها:

يتعذر علينا تزويدك «ببعض عناوين دور النشر والثقافة والتوزيع في المملكة العربية السعودية والبلدان العربية» - حسب تعبيرك - لأن الطلب عام جدا، وما لم يتم تحديد المطلوب يكاد يستحيل علينا التجاوب معك، فمعذرة!

في الطريق إليك قائمة بمنشورات دار الفيصل الثقافية، أما منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فيمكنك طلبها بالكتابة إليه مباشرة، وعنوانه البريدي موضح في مكان آخر داخل العدد. أما عناوين الكتب التي نشرت في باب «كتب وردت إلى المجلة» فيصعب جمعها في قائمة وتزويد القراء المهتمين بها، ولكن يمكن الرجوع إلى أعداد المجلة السابقة أو الكشاف العام الذي صدر مؤخرًا للتعرف عليها.

الإخوة والأخوات: فاتن عودة الخالدي - جدة، معد عبدالله العلو - حلب - سورية، ابن أحمد علي بن صالح - تزنيت - المغرب:

الأعداد المطلوبة في طريقها إليكم إن شاء الله.

الأخوين: محمد ياسر - حلب - سورية، الطاوسي محمد - سيدي سليمان - المغرب:

أسئلتكم أحيلت إلى الشيخ صالح بن سعد اللحيدان، وستجدون الإجابات عليها في الأعداد المقبلة بمشيئة الله تعالى.

الأخ أحمد بن مغربي - الأغواط - الجزائر:

عنوان مجلة «الشرق» السعودية هو الآتي: المراسلات الخاصة بالشؤون الإدارية والمالية (كالاشتراكات) توجّه إلى: ص.ب ٢٦٦٢ الدمام ٣١٤٦١ المملكة العربية السعودية، والمراسلات الخاصة بشؤون التحرير توجّه إلى: ص.ب ٢٦٦٣ الدمام ٣١٤٦١ المملكة العربية السعودية.

ملاحظات عامة

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢- ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣- حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤- أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥- الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

الفيصل
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيصل الثقافية

الأخ خالد عبدالعزيز العثمان ـ الرياض

نظرًا لوجودك في الرياض ـ نقترح عليك الاتصال هاتفيا بقسم خدمات المعلومات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (رقم الهاتف ٤٦٢٢٣٧٥) لتزويدك بما تحتاجه من معلومات حول موضوع بحثك «المرأة ودورها في الدعوة»، وذلك لوجود قاعدة معلومات متكاملة عن «المرأة»، وهي إحدى قواعد المعلومات المتخصصة بالمركز المتاحة للباحثين والدارسين. وللمهتمين بهذه القواعد يمكنهم مراسلة المركز أو الاتصال به مباشرة.

الأخت هويدا حسين ورشانة ـ الإسكندرية ـ مصر:

طبيعة هذه المجلة (ثقافية شهرية) لاتتطلب وجود محررة لها أو مراسلة في الإسكندرية بمصر، لكننا نرحب بأي إنتاج فكري أو صحفي مناسب للنشر في «الفيصل».

الأخ محمد عبدالحميد أمين ـ المنيا ـ مصر:

لانملك قناة مباشرة يمكن من خلالها إيصال الرسالة التي أرفقتها مع رسالتك للمجلة إلى «الجهة» التي تود مخاطبتها. وأفضل طريقة هي الكتابة إليها مباشرة، أو عن طريق السفارة السعودية في بلدك.

الأخ عبداللطيف غنكاني ـ جدة:

المسابقات الشعرية المقامة في الوطن العربي كثيرة ومتعددة، وحبذا لو حددت سؤالك كي نتمكن من تقديم إجابة واضحة ومفيدة. وعموما يمكنك متابعة أخبار بعض هذه المسابقات من خلال باب «الحركة الثقافية في شهر» في هذه المجلة.

الأخ العيد كمال ـ الجلفة ـ الجزائر:

لاننصحك ـ وبقية الإخوة القراء ـ بإرسال أي مبالغ مالية بالبريد، لأنها عرضة للضياع وهذه وسيلة غير مضمونة، والأنظمة البريدية في بعض الدول لاتسمح بتداول النقود بواسطة البريد، والطريقة المثلى هي إرسال شيك أو حوالة مصرفية.

الإخوة: مقبل لوناس ـ بجاية، محمد محبوب ـ تلمسان، كنودة عبدالقادر ـ الجلفة، أحمد بن مغربي ـ الأغواط ـ الجزائر:

لاتتوافر لدينا الكتب التي ذكرتم في رسائلكم، والمجلة ليس من عادتها تزويد قرائها بالكتب، سواء بمقابل مادي أو دون مقابل، ماعدا إصدارات دار الفيصل الثقافية التي تصدر عنها المجلة.

الأخ حوتية عثمان ـ غرادية ـ الجزائر:

جاء في رسالتك أنك «مؤخرا علمت أن العدد الخاص بشهر رمضان المعظم يوزع مجانا في سبيل الله وفي سبيل نشر المعرفة أي الجهاد العلمي!» ونحن نتساءل مع بقية القراء الذين يقرؤون كلامك: من أين علمت بهذا ؟! مع العلم بأن عبارة «غير مخصص للبيع» التي تطبع على أغلفة بعض نسخ المجلة تعني أنها ليست للبيع، وإنما هي نسخ مخصصة للمشتركين فقط.

الأخ المبروك مبروك ـ الجلفة ـ الجزائر

شكرا على التهنئة ونرحب بك صديقا للمجلة

الإخوة: ريان العمري ـ المدينة المنورة، جعفر إبراهيم جمعة ـ البحرين، عبدالرحمن حسن علي ـ حجة ـ اليمن، عامر أبو زيد سائي ـ الخرطوم ـ السودان، إبراهيم براهيمي ـ تبسة ـ الجزائر، جباري الطاهر ـ الطارف، أعزيز جمال ـ المسيلة ـ الجزائر، حميوي محمد ـ بني ملاك، صليح أحمد ـ تارودانت ـ المغرب:

قسم التوزيع سوف يحيطكم بمدى إمكان تزويدكم بالأعداد المطلوبة.

العنوان

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ
٤٦٤٧٨٨٤ ـ
فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الأسعار:

السعودية ٨ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧دراهم ـ قطر ٧ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠بيسة ـ الأردن ٥٠٠فلس ـ اليمن ٢٥ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦دراهم ـ تونس ٦٠٠مليم ـ الجزائر ١٠دنانير ـ العراق ٤٠٠فلس ـ سورية ٢٠ليرة ـ ليبيا ٨٠٠درهم ـ موريتانيا ١٠٠أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠شلن ـ جيبوتي ١٥٠فرنكًا ـ لبنان مايعادل ٤ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

على موعد

الكتاب الجيد

هذا الحبيب المفقود (المقرود) !!



فهد العريفي

يحيِّرني أمر البعض من أُدبائنا ومثقفينا عندما يكررون (فرية) لاتستند إلى شيء من الحقيقة والواقع تقول: إن المواطن العربي لايقرأ!!

هذه الفرية قالها في ذات يوم «موشي دايان» صدقها هذا البعض من بني أمتنا ووطننا العربي! لكن الواقع يقول: إن الوطن العربي من محيطه إلى خليجه يضع على رأس قائمة الممنوعات (الكتاب)!. تدخل ساحة الكثير من المطارات والموانئ ومكاتب التفتيش على حدود قطر عربي فلايسألك موظف الجمارك عن شهادة الخلو من (الايدز)؟! ولا عن المخدرات بمختلف أنواعها، فهذه لها تفتيش خاص، ولها كلاب بوليسية سبق أن شمموها كل أنواع المخدرات من حشيشة (الكيف)، ولاأدري كيف يكون (كيف)!! كما يسمونه، ويسمونها قديمًا في العراق (الترياق). فقد زرنا قبل خمسة وأربعين عامًا فندقًا في شارع الرشيد ببغداد فقال لنا صاحبه وهو يرينا قطعة صفراء يمسكها بيده كما تمسك الأم الحنون جنينها: هذه قطعة ترياق أهداها لي شاب عربي. فهربت منه خشية أن تمسك بي الشرطة!!، مرورًا بحبوب (الهلوسة) ولاأدري -أيضًا- كيف يعشق الصحاح الهلوسة، ويسعون إلى شرائها بالمال على طريقة (كيف يسعى في جنون من عقل)؟! وإلى المورفين والكوكائين زادنا الله بها جهلاً!

بل يسألون القادم حتى من الأقطار العربية السؤال الضروري الأول الخطير: هل معك كتب؟!، ياويلك!! حيث يسودُّ وجه المفتش ويكفهر، وتبدأ عملية جراحية في بطون الحقائب وظهورها وجوفها فأحشائها حتى يحيلون الحقائب إلى ضحايا كوارث طبيعية مختلفة!!

حتى وإن كانت هذه المحتويات من الكتب تتحدث عن قصة (الزير سالم) و (أبي زيد الهلالي سلامة) و (حي بن يقظان) التي لطشها مؤلف (روبنسون كروزو)، و(رسالة الغفران) الذي سطى عليها المدعو (دانتي)! ولايهم المفتش (الهمام) أن تُلطش كل كتب التراث العربي! ولكن همه ينحصر في خنق عنق هذا الكتاب المولود الذي ولد (سفاحًا) أو كأنه لقيط في نظره قبل أن يتبين أو يتحقق بأن هذا الكتاب نافع أو غير نافع، أو أن الكتاب من الممنوعات الموضوعة على القائمة السوداء (وكل وطني في العالم العربي من حقه أن يحمي بلاده من أية سموم فكرية ضارة)، لكن المفتشين أو بعضهم يوجد بينه وبين الكتاب عداوة وثأر قديم متجدد!! وبعضهم يتمسك دائمًا أبدًا بنظرية (الشك) التي دافع عنها (كانت) للوصول إلى الحقيقة!! فيحيل الكتاب (المقرود) إلى جهات وجهات!! وإلى قراء يقرؤون الآية الكريمة: ﴿ولاتقربوا الصلاة..﴾ !!ويتركون بقية الآية ليقرأها صاحب الكتاب في صلاته، وفي غدوه ورواحه.

والمفتش (النبيه) في وطننا الكبير لايملك الوقت، وقد لايملك بعضهم (الفهم) للفرز أو للمعرفة أو التفريق بين كتاب (كليلة ودمنة) للفيلسوف الهندي (بيدبا)، وقد عَرّبه عبدالله بن المقفع والذي يتحدث على ألسنة الحيوانات فظن المفتش (الذكي) بأنه حديث في السياسة المحرمة فصادره إلى اليوم! لايفرق بينه وبين رواية (سبارتكوس) المشهورة!! و (رأس المال)!

العرب يقرأون، ولكن ماذا يقرأون؟! وماهي نوعية الكتب المتوفرة لهم؟! كتب أخونا الدكتور غازي القصيبي في العدد الخامس من مجلة (الثقافية) الجيدة يقول: (يسألني البعض: لماذا نحن شعوب لانقرأ؟)، وقد ذكرني الأخ غازي بقصة ذلك الابن المدلل في مدينة من مدن القصيم قبل ستين أو سبعين عامًا مع رفيقه من أبناء الفقراء، كان يقول له في صباح شتاء بارد: اذهب يارفيقي إلى دارك وتناول فطورك الدسم، والبس -فروتك- الجديدة، واخرج لنلعب سويًا!! فضحك ابن الفقراء وقال: لانفطر إلا على الماء، ولا أملك (فروة) ولا (جوخة).

أخونا غازي في لندن، وفي لندن الكتب أكثر من رمال الدهناء لايحجبها حاجب، ولايمنعها مانع!! ولايتحكم بشأنها عالم أو جاهل!!

وفي البلاد العربية يسمح بدخول كل أنواع المعلبات التي يكاد الصدأ والمواد الحافظة ان تحيلها الى سموم قاتلة، قد تظهر آثارها سرطانًا مدمرًا -لاسمح الله- بعد وقت طويل أو قصير، ويسمح بدخول الأغنام التي تعلف جيف المواشي النافقة بعد حرقها وخلطها بنشارة الخشب!! ويأكلها معظم السكان في العالم الثالث!! ولايحسون لها بطعم أو ذوق!! وتدخل كل ألوان وأنواع الغذاء والملابس والأدوية ومعظمها فاسدة، أو خطرة الاستعمال صدر تحريم باستعمالها داخليًا، وكتبوا عن البعض منها (يمنع استعمالها للأوادم)!!، وأباحوا، بل شجّعوا على تصديرها إلى (المحرقة) أو العالم الثالث إلى (غير الأوادم) في نظرهم، وقناعتهم!!

المشكلة ليست مشكلة عدم وجود من يقرأ؟! أو تفشي (الأمية) في الوطن العربي كما يقول الدكتور غازي.. فكم من أُمّي في العالم ثقف نفسه من خلال القراءة والمتابعة. ولكنها مشكلة (المصادرة) ومحدودية توزيع الصالح من الكتب المفيدة مضمونًا لا شكلاً.

أعطني كتابًا نافعًا مطبوعًا على ورق (إسمنت) أو جلد ثعلب، وخذ قراء يحنون ظهورهم ليلاً ونهارًا!!

أما حكاية (القاه في اليم) وقال له: اقرأ، حتمًا سيقول: (ما أنا بقارىء)!